المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

التناسق الموضوعي في سورتي الممتحنة والصف

دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

محمد بن فهد بن عيد الذبياني

الرقم الجامعي (٤٣١٨٠٢٠٧)

إشراف فضيلة الشيخ:

أ.د. جمال مصطفى عبد الحميد النجار

الأستاذ في قسم الكتاب والسنة – بكلية الدعوة وأصول الدين – في جامعة أم القرى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: التناسق الموضوعي في سورتي الممتحنة والصف.
اسم الباحث: محمد بن فهد بن عيد الذبياني.
الدَّرجة: مقدَّمة لنيل درجة الماجستيرمن قسم الكتاب والسنة.
من أسباب تأليف الرِّسالة وأهمِّيتها: ١ /الطمع في عطاء الله وهبته، في أن يرزق الباحث فهماً في كلام الله تعالى، والله عند ظن العبد به. ٢/المساهمة ولو باليسير في ميدان الخيرية، الذي أعلن عنه ﷺ بقوله: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)، ٣/حاجة الناس الماسة إلى فهم كلام الله، وتقريب معانيه، وإبراز هداياته.
محتويات الرِّسالة: اشتملت الرِّسالة على: مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة.
المقدمة: وتشتمل على :بيان أهمية الموضوع وأهدافه و بيان أسباب اختيار الموضوع وبيان الجهود والدراسات السابقة و خطة البحث .
التمهيد: التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة لغة واصطلاحاً.
الباب الأول: بعنوان: سورة الممتحنة والتناسق الموضوعي بين موضوعاتها، ويشتمل على فصلين:
الفصل الأول: بين يدي السورة الكريمة ، ويشتمل على ثمانية مباحث ١/اسم السورة وما اشتهر لها من أسماء،٢/ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها،٣ / عدد آيات السورة،٤/ تاريخ نزول السورة، ٥/ مكية السورة أو مدنيتها ، ووجه اختصاصها بما اختصت به،٦/ مقاصد السورة ٧/ الوحدة الموضوعية للسورة،٨/ مناسبات السورة الكريمة.
الفصل الثاني: التناسق الموضوعي لموضوعات سورة الممتحنة، ويتكون من ستة مباحث كل مبحث فيه ستةمطالب:١/ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة، ٢/التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق، ٣/سبب النزول(إن وجد)، ٤/التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع، ٥/المعنى الإجمالي لآيات الموضوع، ٦/ ما ترشد إليه آيات الموضوع.
الباب الثاني: بعنوان: سورة الصف والتناسق الموضوعي بين موضوعاتها،ويشتمل على فصلين:
الفصل الأول: بين يدي السورة الكريمة ، ويشتمل على ثمانية مباحث ١/اسم السورة وما اشتهر لها من أسماء،٢/ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها،٣ / عدد آيات السورة،٤/ تاريخ نزول السورة،٥/ مكية السورة أو مدنيتها ، ووجه اختصاصها بما اختصت به،٦/ مقاصد السورة ٧/ الوحدة الموضوعية للسورة،٨/ مناسبات السورة الكريمة.
الفصل الثاني: التناسق الموضوعي لموضوعات سورةالصف ويتكون من أربعة مباحث كل مبحث فيه ستة ١/ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة،٢/التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق،٣/سبب النزول(إن وجد)،٤/التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع،٥/المعنى الإجمالي لآيات الموضوع،٦/ ما ترشد إليه آيات الموضوع.
ثم خاتمة الرسالة وتشمل نتائج البحث، وتوصيات الباحث، وكان من أهم النتائج: ١ / يعد مصطلح (التناسق الموضوعي) مصطلحاً حادثاً كمصطلح مركب من هاتين الكلمتين، ولكنه قديم من حيث وجوده مبثوثاً في كلام المفسرين الأوائل، وكتبهم،٢ / عناية جمع من المفسرين قديماً، وحديثاً بإبراز التناسق بين موضوعات السورة الواحدة، وكذلك المناسبة بين آياتها، وجملها،٣ / إن إبراز التناسق بين موضوعات السورة الواحدة، والتناسب بين آياتها، وجملها يزيد يقين المؤمن بعظمة هذا القرآن الذي أحكمت آياته من لدن حكيم خبير، ثم الفهارس العلمية للرسالة،، والله الموفق،،،،

الباحث

Abstract

Title : Qoranic substantive consistency In Surats Almmtahnah and Alsaf Researcher Name: Mohammed bin Fahd bin Eid Alzobiani . to Introduction to get the Master's degree from the Department of the Quran and Sunnah.

Reasons making this Thesis and

1 - greed in the tender God gave him, in that kicking researcher in understanding the word of God the Almighty God when he thought slave.

2 - contribute though easy in the field right , who announced his peace be upon him, saying: (Abest right to learn the Quran and knowledge).

3 - the urgent need for people to understand the word of God and bring the sense and highlight Hadayate.

Contents of the Thesis : the thesis included: Introduction & preface and two chapters then a conclusion, provided: include: statement of the importance of the subject and its objectives and the statement of reasons for choosing the topic and a statement of efforts and previous studies and research plan.

Preface:Definition substantive substantive consistency Sura language and idiomatically

Chapter I: entitled: Sura Almotahda and consistency objective of subjects and includes two chapters: the first chapter: in the hands of the sura stones, and includes eight Detectives 1 / Name Sura and best known of their names 2 / what was the virtue of the sura or some verses 3 / number of verses Sura, 4 / Descending Sura 5 / Makiya sura or Mdnitha, and the face of its jurisdiction, including specialized, 6 / purposes and objectives of the Sura 7 / substantive unity Sura 8 / Sura occasions stones Chapter II: consistency substantive topics Sura Allah forbids consists of six admonishing every Study of the six demands 1 / connecting thread axis basic Sura 2 / consistency between this and previous topic 3 / reason down (if applicable) 4 / proportionality between the strings and the verses in Version 5 / Meaning gross verses Thread 6 / The most important guiding him verses topic.

Chapter II, entitled: Surat Alsaf and consistency objective of subjects and includes two chapters: the first chapter: in the hands of the sura stones and includes eight Detectives 1 / Name Sura and best known of their names 2 / what is stated in preferred sura or some verses 3 / number of verses in Sura 4 / Join the descent of Sura 5 / Makiya Sura or her madininaiah , and the face of competence including singled him 6 / purposes Sura and goals, 7 / Unit substantive Sura 8 / occasions Sura stones, Chapter II: consistency substantive topics Surat row consists of four topics each Study of the six 1 / linking the main axis of Sura 2 / consistency between this topic and the topic Previous 3 / disembark reason (if any) 4 / proportionality between the strings and the verses in Version 5 / overall meaning of the verses Thread 6 / the most important guiding him verses topic.

Then Conclusion message and include the search results, and recommendations of the researcher and one of the main results: 1 / longer term (consistency objective) codeword incident as a term composite of these two words, but Old in terms of the presence in the words of the commentators first, and their books, 2 / attention collection of commentators, past and present highlighting the consistency between subjects per Sura as well as appropriate between verses and / highlight the consistency between subjects per sura, and proportionality between verses and them sentenaces\ of the more than convinced believer in the greatness of this Quran which tightened verses from Wise, then indexes scientific expert for the message.

Allah success Us . **The Researcher**

الإهداء

إلى الكريمين، الأصيلين، أبي وأمي، جزاهما الله عني خير ما جزا والدين حفيين عن ابنهما.

أهدي هذا الجهد المتواضع، الذي أسأل الله أن يثقل به ميزانهما " رب ارحمهما كما ربياني صغيراً".

وإلى الكريمة بنت الكرام، زوجي أم عبد الرحمن، والتي حملت على عاتقيها البيت بما فيه خصوصاً فترة الدراسة المنهجية فلها مني خالص الدعاء، ووافر الثناء، جزاك الله خيراً أم عبد الرحمن.

وإلى أساتذتي، ومشائخي، من شرح الله صدورهم، وأنار بصائرهم، وشرَّفهم بتسنم رتبة التعليم، والتربية، وأخص بالذكر شيخي ووالدي أ.د./ جمال مصطفى النجار الذي كان بحق رمزاً للعالم الرباني، الذي أحسبه والله حسيبه قد أفنى وقته وكله خدمة للعلم وأهله، فجزاه الله عني خير ما جزا شيخاً كريماً متفضلاً عن طلابه.

شكر وتقدير

انطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم في ما صح عنه: **(لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يشكر الناس)** أتوجه بعد شكر الله تعالى، والثناء عليه بما هو أهله سبحانه، حيث يسر، وأعان على إتمام هذا العمل، أتوجه بالشكر لكل من ساهم في إتمامه، وإنجازه بأي نوع من أنواع المساهمة، وأخص بالذكر والدتي الكريمة، الفاضلة، الشريفة، التي لم تفتر مدة دراستي وبحثي عن الدعاء واللهج لي بالتوفيق، والسداد، وقد كنت والله أجد أثر دعائها في جميع مراحل الدراسة، والبحث، كما أشكر زوجتي، وصاحبتي بالجنب أم عبد الرحمن على صبرها وجلدها معي، وتحملها أضعاف مهامها حتى تم المراد من هذه المرحلة، كما أشكر هذا الصرح الشامخ، والمورد العذب الزلال من موارد العلم والتربية جامعة أم القرى، ممثلة في قسم الكتاب والسنة من كلية الدعوة وأصول الدين، ورئيسه المفضال أ.د. غالب الحامضي، على إتاحة الفرصة، وتذليل الصعاب، لاستكمال مرحلة الطلب والتحصيل، كما أشكر أساتذتي ومشائخي الذين شرفت بالدراسة على أيديهم في هذه المرحلة، فقد أفدت من علمهم، ورويت من موردهم، ونهلت من ينابيعهم، وأخص بالذكر الشيخ الكريم الشهم النبيل المربي الفاضل أ.د. عبد العزيز عزت والذي ابتدأت معه البحث في الرسالة، فكان بحق في مقام الوالد الكريم مع كبر سنه، ورقة عظمه، إلا أن الهمة في أوجها، فلقد رأيت من علمه، ورسوخه، وأدبه، وسمته، ما يفوق الوصف، فله مني دعوة في ظهر الغيب أن يطيل الله في عمره، ويمتعه بالعفو والعافية، وأن يحسن لنا وله العاقبة في الدنيا والآخرة، والشكر موصول لمن أكملت معه مشروع الرسالة، فكان خير خلف لخير سلف، فإني والله أحسب أن الله أكرمني، وأحسن إلي حين جعل إكمال رسالتي مع الشيخ الفذ النبيل الكريم حساً ومعنى، أ.د. جمال مصطفى النجار، الذي لم يأل جهداً في نصحي، وإرشادي، ومعونتي في إتمام هذه الرسالة، فجزاه الله عني خير الجزاء وأوفره.

المقدمـــــة

المقدمة

أولاً : أهمية الموضوع

ثانياً : أسباب اختيار الموضوع

ثالثاً : الدراسات السابقة

رابعاً : منهج البحث

خامساً : هيكل البحث

المقدمـــة

الحمد لله القائل ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[1] والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبينا محمد القائل (**ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**)[2]، لقد تفضل الله على عباده، وأحسن إليهم حين أنزل عليهم هذا الكتاب العظيم، أعظم كتبه بياناً وأحسنها نظاماً، وأبينها حلالاً وحراماً، فكان المنة الكبرى، والنعمة العظمى التي امتن الله تعالى بها على عباده، وصدق الله القائل﴿ **لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ** ﴾[3] لقد أنزله تعالى ليبقى، فهو المعجزة الخالدة، لأجل ذا جاء القرآن على أحسن نظام، وأبدع بيان، فانكب العلماء والأجلة بدءاً من أصحاب رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم وإلى زماننا هذا على دراسة آياته، واستنباط هداياته والوقوف على أسرار بيانه ونظمه، فأخرجوا منه دراً، وقيدوا فوائد وفرائد تزيد المؤمن يقيناً بعظمة هذا الكتاب الذي أنزله سبحانه على خير أمة وأكرم رسول، وطمعاً في استنباط بعض درره، والمشاركة ولو باليسير في استخراج بعض هداياته، استخرت الله مراراً، واستشرت من يوثق برأيه، ويؤنس بمشورته، وفي مقدمتهم شيخنا وأستاذنا الأستاذ الدكتور جمال مصطفى – وفقه الله – فانتهى المطاف إلى الكتابة والبحث في موضوع (التناسق الموضوعي في سورتي الممتحنة والصف) سائلاً الله المعونة والتوفيق، والهداية والتسديد.

---

(١) سورة هود: ١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب "فضائل القرآن"، باب (كيف نزل الوحي، وأول ما نزل)، رقم: (٤٩٨١).

(٣) آل عمران: ١٦٤.

أولاً: أهمية الموضوع

تبرز أهمية الموضوع من خلال ما يلي:

١ / أهمية هذا الموضوع تكتسب من أهمية متعلقه، وهو النظر والتأمل في كلام الله تعالى.

٢ / في البحث في التناسق الموضوعي، رد على دعاوى بعض المغرضين، من المستشرقين وغيرهم، ممن يطعنون في كتاب الله بأنه غير متناسق المواضيع، بل يسردها سرداً غير متسق في زعمهم.

٣ / في مثل هذه الدراسات تظهر روعة وجلال القرآن، وكيف أنه يبدو مع تنوع موضوعاته وكثرة آياته كالعقد المنتظم في أبهى صورة، وأجمل نظم.

٤ / يعد التناسق الموضوعي طرحاً جديداً في تفسير كلام الله، يركز على إبراز جانب الترابط بين موضوعات السورة، أو السور والاجتهاد في إبراز الهدايات القرآنية.

٥ / في البحث في التناسق الموضوعي إظهار عدد من أوجه إعجاز القرآن الكريم، والوقوف على جملة من هداياته.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

١ / الطمع في عطاء الله وهبته، في أن يرزق الباحث فهماً في كلام الله تعالى، والله عند ظن العبد به.

٢ / المساهمة ولو باليسير في ميدان الخيرية، الذي أعلن عنه ﷺ بقوله: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[١].

٣ / حاجة الناس الماسة إلى فهم كلام الله، وتقريب معانيه، وإبراز هداياته.

٤ / أهمية هذا الموضوع للأسباب المذكورة آنفاً في شأن أهميته.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب "فضائل القرآن" باب (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) حديث رقم (٥٠٢٧) .

ثالثاً: الدراسات السابقة

لم يتطرق الباحثون لسورتي الممتحنة والصف ـ حسب علمي القاصر ـ من ناحية التناسق الموضوعي فيهما، ولهذا فقد تناولها الباحثون في كتبهم على اختلاف مناهجهم، فمنها التفسير التحليلي، والإجمالي، والبلاغي، و الإعجازي و غيرها ..

بل إن غاية ما تناوله الباحثون هو الأغراض و المقاصد و الأهداف فيها، و ذلك مختلف عن موضوع بحثي في هاتين السورتين، و لعل أقرب من تناول سور القرآن الكريم كاملة من ناحية من نواحي التفسير الموضوعي موسوعة (التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم) والذي أعده نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف الدكتور/ مصطفى مسلم من جامعة الشارقة، و قد ذكر مشرفه في مقدمة الكتاب المنهج الذي سار عليه في بحثه و هو كالتالي :

أ / بين يدي السورة :

وذكر فيها اسمها، وفضلها، و مكيتها أو مدنيتها، و عدد آياتها، ومناسباتها ..

ب / المعنى الإجمالي، وذلك بعد كل مقطع .

ج / ذكر بعض هدايات الآيات المستنبطة من كل مقطع .

وبالنظر إلى تناول هذا المشروع لسورتي الممتحنة والصف اتضح لي الآتي:

١ / وقوع الحديث عن السورتين في حدود الأربع والخمسين صفحة، مما يدل على

الاختصار، وعدم التوسع.

٢ / عدم التعرض لمقاصد السورتين وأهدافهما.

٣ / عدم الإشارة إلى مناسبة كل موضوع من موضوعات السورة للموضوع الذي يليه، والذي قبله.

٤ / اقتصار الموسوعة على بيان المعنى الإجمالي للآيات، دون التعريض للتناسق الموضوعي في السورة.

ومن هنا أجد أن المشروع مع ضخامته، وعظم الجهد المبذول فيه، إلا أنه يختلف عن منهج دراستي للتناسق الموضوعي في سورتي الممتحنة والصف، خصوصاً أن بين التفسير الموضوعي، والتناسق الموضوعي فرقاً لا يخفى على ذوي الاختصاص.

وفي أثناء بحثي في الشبكة العنكبوتية وجدت رسالة مسجلة بعنوان (الولاء والبراء كما تصورها سورة الممتحنة) للباحث علي عبده الجمالي، وهي رسالة مسجلة في جامعة الجزيرة بالسودان، وقد بحثت بما هو فوق الطاقة للحصول على أي معلومات عنها ولكني لم أوفق لذلك، ويبدو لي ومن خلال عنوانها أنها لا تسلك منهج التفسير الموضوعي، وقد وقفت على رسالة أخرى بعنوان: موقف الإسلام من خصومه كما تصوره سورة الممتحنة، وهي رسالة ماجستير للباحثة لولوة بنت عبد الكريم المفلح، من كلية التربية بالرياض، وحين الوقوف على محتوى الرسالة وجدتها لا تتطرق للتناسق الموضوعي في السورة البتة، ففصولها على

النحو التالي:

الفصل الأول تحدثت فيه عن قضيتين:

١- معنى الخصومة وبيان من هم خصوم الإسلام.

٢ - موقف الإسلام من منافق العقيدة.

الفصل الثاني وعنوانه الولاء وما يتعلق به من أحكام .

الفصل الثالث : البيعة .

الفصل الرابع : دراسة لما ينشأ من موالاة الكفار من أخطار .

الفصل الخامس : مناقشة ما ادعاه المدعون من أن الأمر بموالاة المؤمنين والنهي عن موالاة الكافرين إنما هو من قبيل التعصب المذموم.

رابعاً: منهج البحث

سأتبع ـ بعون الله تعالى وتوفيقه ـ في هذا البحث المنهج الوصفي، وسأبرز جانب التناسق بين موضوعات السورة، والتناسب بين السور محل البحث، والوحدة الموضوعية لكل سورة، والتناسب بين جمل وآيات السورة بناءً على الخطوات التالية:

١/ دراسة المصطلحات الأساسية والمفردات المتعلقة بهذه الدراسة، والقيام بوصفها وصفًا شاملا مفصلا .

٢/ التعريف الكامل بالسورة ، وبيان مقاصدها وأهدافها .

٣ / بيان الوحدة الموضوعية للسورة.

٣ / تقسيم السورة إلى موضوعات ، ووضع عنوان مناسب لكل موضوع .

٤ / كتابة الآيات الخاصة بالموضوع ، وذكر جميع الروايات التي قيلت إنها من أسباب نزول السورة والآية ، وترجيح الرواية الصحيحة والصريحة في ذلك ، ومحاولة معرفة المناسبة بين كل موضوع وآخر ، وربط كل موضوع بما قبله وما بعده.

٥ / تفسير آيات الموضوع تفسيرا وسطا بين الإيجاز والإطناب .

وقد راعيت في هذا التفسير ما يلي :

أ / ربط موضوع الآيات بمحور السورة الأساس.

ب / بيان تناسق الموضوع مع الموضوع الذي قبله.

ج / بيان الصلة والتناسب بين جمل الآية الواحدة بإيجاز .

د / بيان الصلة والتناسب بين آيات الموضوع الواحد .

ه / بيان بلاغة التعبير القرآني في الموضوع الذي يخدم هدف السورة، أو محورا من محاورها.

٦ / التعرض بتوسع للقضايا البارزة في آيات الموضوع الواحد .

٧ / ختم آيات كل موضوع ببيان الهدايات التي ترشد إليها الآيات .

٨ / مناقشة الموضوعات الرئيسية في السورة من خلال الأدلة والاستعانة بآراء العلماء .

٩ / التعريف بالأعلام والأماكن والفرق ونحو ذلك.

١٠ / وضع الفهارس التفصلية المناسبة في آخر البحث.

خامساً: هيكل البحث

يشتمل البحث على : (مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة) .

المقدمة : وتشتمل على :

- بيان أهمية الموضوع وأهدافه .
- بيان أسباب اختيار الموضوع .
- بيان الجهود والدراسات السابقة .
- خطة البحث .

التمهيد : التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة لغة واصطلاحاً .

الباب الأول : بعنوان : سورة الممتحنة والتناسق الموضوعي بين موضوعاتها.

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول :

بين يدي السورة الكريمة ، ويشتمل على ثمانية مباحث :

المبحث الأول: اسم السورة وما اشتهر لها من أسماء . وفيه مطلبان :

المطلب الأول: التعريف بالسورة لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني: اسم السورة وما اشتهر لها من أسماء .

المبحث الثاني: ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها . وفيه مطلبان :

المطلب الأول: الأهمية من معرفة فضائل السور .

المطلب الثاني: ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها .

المبحث الثالث: عدد آيات السورة واختلاف العلماء في ذلك .

المبحث الرابع: تاريخ نزول السورة .

المبحث الخامس: مكية السورة أو مدنيتها ، ووجه اختصاصها بما اختصت به ، ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول :المكي والمدني من السورة وفائدة معرفته ، وفيه ثلاثة أمور :

الأمر الأول : تعريف المكي والمدني من السورة.

الأمر الثاني : فائدة معرفة المكي والمدني في القرآن .

الأمر الثالث : المكي والمدني في السورة .

المطلب الثاني : وجه اختصاص السورة بما اختصت به من موضوعات ومحاور.

المبحث السادس: مقاصد السورة.

المبحث السابع: الوحدة الموضوعية للسورة.

المبحث الثامن: مناسبات السورة الكريمة ، ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها ، وفيه ثلاثة أمور :

الأمر الأول : الفائدة من معرفة المناسبات بين السور والآيات .

الأمر الثاني: مناسبة السورة لما قبلها.

الأمر الثالث: مناسبة السورة لما بعدها .

المطلب الثاني : مناسبة اسم السورة لموضوعها .

المطلب الثالث : مناسبة فاتحة السورة لموضوعها .

المطلب الرابع : مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها .

الفصل الثاني: التناسق الموضوعي لموضوعات سورة الممتحنة.

ويتكون من ستة مباحث.

المبحث الأول :بعنوان: البراء من الكافرين.(الآيات من ١ـــ٣) ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

المطلب الثاني : سبب النزول.

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.

المطلب الخامس: ما ترشد إليه آيات الموضوع .

المبحث الثاني: بعنوان: نموذج سام للولاء والبراء ، (الآيات من ٤ـــ ٧)

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

المطلب الثاني : التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق.

المطلب الثالث: سبب النزول.

المطلب الرابع: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الخامس: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.

المطلب السادس: ما ترشد إليه آيات الموضوع .

المبحث الثالث: بعنوان:قاعدة إسلامية في العلاقات الفردية والدولية.(الآيتان ٨،٩)

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

المطلب الثاني : التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق.

المطلب الثالث: سبب النزول.

المطلب الرابع: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الخامس: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.

المطلب السادس: ما ترشد إليه آيات الموضوع .

المبحث الرابع: بعنوان: قطع الوشيجة بين المؤمنة وزوجها الكافر (الآيتان ١٠،١١)

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

المطلب الثاني : التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق.

المطلب الثالث: سبب النزول.

المطلب الرابع: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الخامس: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.

المطلب السادس: ما ترشد إليه آيات الموضوع .

المبحث الخامس: بعنوان:مبايعة النساء على العقيدة ،ومقومات الحياة السعيدة (الآية١٢).

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

المطلب الثاني : التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق.

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.

المطلب الخامس: ما ترشد إليه آيات الموضوع .

المبحث السادس: بعنوان: النهي عن موالاة اليهود (الآية : ١٣).

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

المطلب الثاني : التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق.

المطلب الثالث: سبب النزول.

المطلب الرابع: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الخامس: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.

المطلب السادس: ما ترشد إليه آيات الموضوع .

الباب الثاني: سورة الصف والتناسق الموضوعي بين موضوعاتها.

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول بعنوان: بين يدي السورة الكريمة ..،ويتكون من ثمانية مباحث.

المبحث الأول :اسم السورة، وما اشتهر لها من أسماء.

المبحث الثاني: ما ورد في فضل السورة أو في بعض آياتها.

المبحث الثالث:عدد آيات السورة.

المبحث الرابع: تاريخ نزول السورة.

المبحث الخامس: مكية السورة أو مدنيتها ،ووجه اختصاصها بما اختصت به.

المبحث السادس: مقاصد السورة .

المبحث السابع : الوحدة الموضوعية للسورة.

المبحث الثامن: مناسبات السورة الكريمة، ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول :مناسبة السورة للسورة التي قبلها.

المطلب الثاني:مناسبتها للسورة التي بعدها.

المطلب الثالث: مناسبة اسم السورة لموضوعها .

المطلب الرابع:مناسبة فاتحة السورة لموضوعها.

المطلب الخامس: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.

الفصل الثاني بعنوان: التناسق الموضوعي بين موضوعات سورة الصف.

ويتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول :بعنوان: الإخلاص لله شعار كون الله. (الآيات : من ١: ٤)

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

المطلب الثاني : سبب النزول.

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.

المطلب الخامس: ما ترشد إليه آيات الموضوع .

المبحث الثاني: بعنوان: الدين الحق هو دين الله جميعاً. (الآيات من ٥: ٩)

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

المطلب الثاني : التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق.

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.

المطلب الخامس: ما ترشد إليه آيات الموضوع .

المبحث الثالث: بعنوان: التجارة الرابحة ، مقوماتها ، وثمراتها (الآية ١٠).

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

المطلب الثاني : التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق.

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.

المطلب الخامس: ما ترشد إليه آيات الموضوع .

المبحث الرابع : بعنوان: قدوة حسنة ، ونصر مبين (آية ١٤).

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

المطلب الثاني : التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق.

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.

المطلب الخامس: ما ترشد إليه آيات الموضوع.

الخاتمة :

وتشمل : ١ــ نتائج البحث.

٢ــ توصيات الباحث .

الفهارس: وتشمل كل الفهارس المطلوبة في هذا البحث العلمي .

هذا وبالله التوفيق ، فهو ولي ذلك والقادر عليه.

تنبيه

هذه الخطة قابلة للتغيير والتعديل حسب حسب ما يكشف عنه الباحث ومقتضياته.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

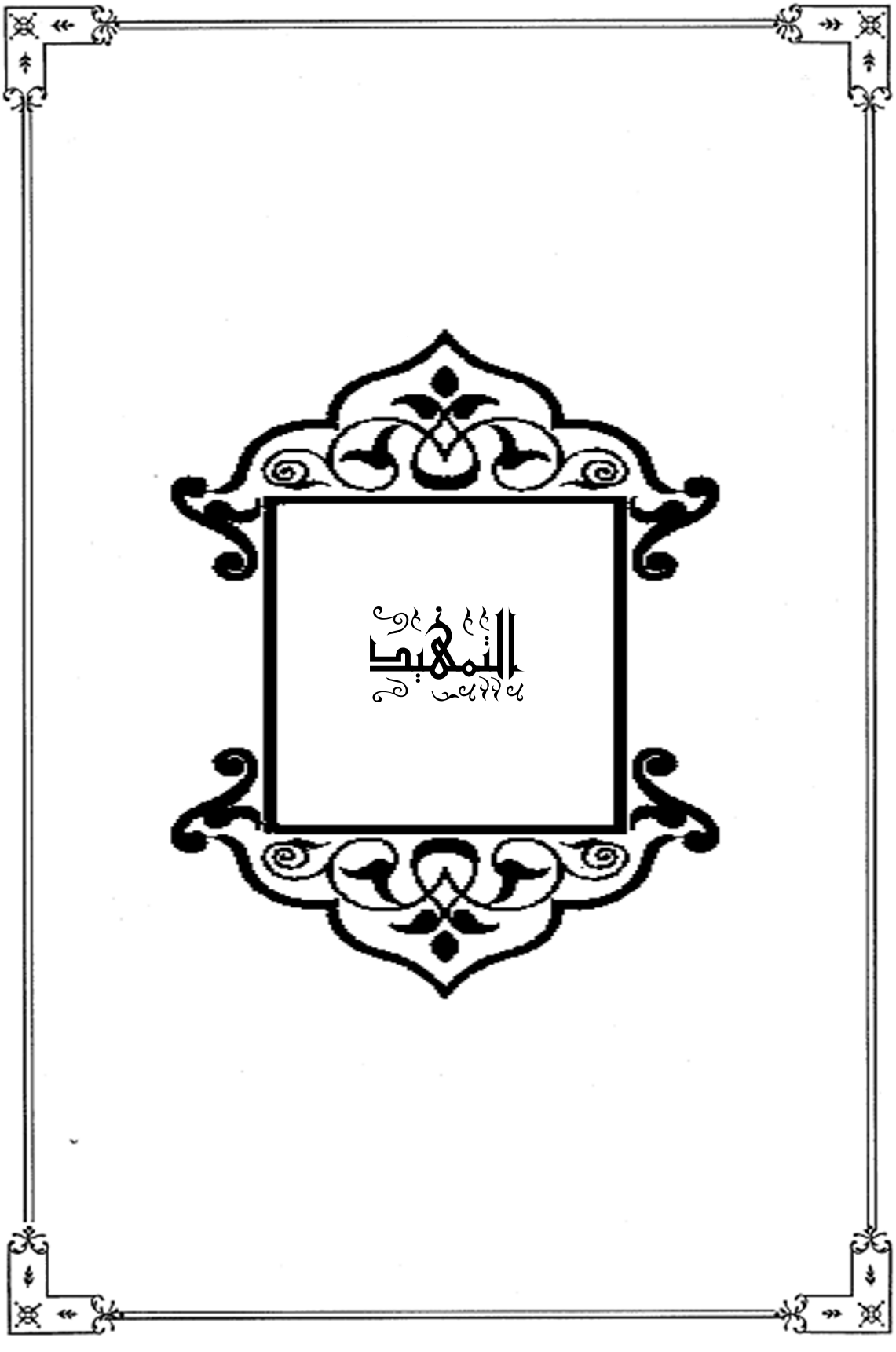
التمهيد

التمهيد

التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة لغة واصطلاحاً

التمهيد: التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة لغة واصطلاحاً.

التناسق في اللغة:

تدور مادة الفعل الثلاثي (نسق) حول المعاني الآتية:

أولاً: الانتظام وعدم الاختلاف والتناقض، قال الخليل بن أحمد[١] رحمه الله في كتاب العين: النَّسَقُ من كل شيء: ما كان على نظام واحد عام في الأشياء[٢] .

وقال ابن سيده[٣] رحمه الله: نسق الشيء يَنْسُقهُ نسقاً، وَنسَّقَهُ: نَظَّمه على السواء

ونَسَقُ الأسنان: انتظامها في النبتة، وحسن تركيبها[٤] .

وقال الجوهري[٥] رحمه الله: ثغر نَسَقٌ، إذا كانت الأسنان مستوية، وخرز نَسَقٌ:

---

(١) الخليل الإمام، صاحب العربية، ومنشئ علم العروض، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري، أحد الأعلام، كان رأسا في لسان العرب، دينا، ورعا، قانعا، متواضعا، كبير الشأن، يقال: إنه دعا الله أن يرزقه علما لا يسبق إليه، ففتح له بالعروض، وله كتاب: العين، ولد سنة مئة، ومات سنة بضع وستين ومائة، وقيل: بقي إلى سنة سبعين ومائة. انظر سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٢٩).

(٢) العين (٨١/٥) .

(٣) قال الذهبي: ابن سيده إمام اللغة، أبو الحسن، علي بن إسماعيل المرسي، الضرير، صاحب كتاب المحكم في لسان العرب، وأحد من يضرب بذكائه المثل له كتاب " العالم في اللغة "، نحو مئة سفر، بدأ بالفلك، وختم بالذرة، أرخ صاعد بن أحمد القاضي موته في سنة ثمان وخمسين وأربع مئة. انظر سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٤٤).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم - (٦ / ٢٣٩) لابن سيده.

(٥) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر: أول من حاول (الطيران) ومات في سبيله، لغوي، من الأئمة، وخطه يذكر مع خط ابن مقلة، أشهر كتبه (الصحاح) مجلدان، وله كتاب في (العروض) ومقدمته في (النحو) توفي: ٣٩٣هـ. الأعلام للزركلي - (١ / ٣١٣).

منظم، قال أبو زبيد[١]: في وجْهِ ريمٍ وجِيدٍ زانَه نسَقٌ يكادُ يُلْهِبُه الياقوتُ إلْهابا.

والنَسَقُ: ما جاء من الكلام على نظام واحد[٢].

ثانياً: التتابع، قال ابن الأثير[٣] رحمه الله: (نسق) في حديث عمر (**ناسِقوا بين الحجِّ والعُمرة**)[٤] أي تابِعوا[٥].

ثالثاً: العطف، لأن الكلام المتسق يجري مجرى واحدا، قال الزبيدي[٦] رحمه الله: "نسَق الكَلامَ نسْقاً : عطَف بعضَه على بعْض ، نقَلَه الجوهريّ، وقال اللّيثُ[٧]: النّسْق كالعطْفِ على الأوّل، وقال ابنُ سيده: والنّحويّون يُسمّون حُروفَ العطْف حروفَ النّسَقِ لأنّ الشيءَ إذا عطَفْتَ عليه شيئاً بعدَه جرَى مجْرى واحداً "[٨] .

---

(١) حرملة بن المنذر بن معدي كرب بن حنظلة الطائي: أبو زبيد: شاعر معمر عاش في الجاهلية والإسلام، وكان من زوار ملوك العجم، عالما بسيرها، توفي: نحو٦٢هـ. الأعلام للزركلي - (٢ / ١٧٤).

(٢) الصحاح (٤ / ١٥٥).

(٣) المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، أبو السعادات، مجد الدين: المحدث اللغوي الأصولي، توفي:٦٠٦. الأعلام للزركلي - (٥ / ٢٧٢).

(٤) لم أجد لهذا الحديث أصلا، ولعل المعنى المراد يؤخذ من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (حجج تترى، وعمر نسقا تدفع ميتة السوء، وعيلة الفقر) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه باب (فضل الحج) حديث رقم (٨٨١٥).

(٥) النهاية في غريب الأثر - (٥ / ١١٦).

(٦) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدى، أبو الفيض، الملقب بمرتضى: علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين، توفي:١٢٠٥هـ. الأعلام للزركلي - (٧ / ٧٠).

(٦) الليث بن المظفر بن نصر بن سيار صاحب الخليل، كان من أكتب الناس في زمانه بارع الأدب بصيرا بالشعر والغريب والنحو وكان كاتبا للبرامكة وكانوا معجبين به. ينظر معجم الأدباء (٥/ ٢٢٥).

(٨) تاج العروس من جواهر القاموس - (٢٦ / ٤١٨).

رابعاً: الكلام المسجَّع الذي ينساق في المسمع دون تكلف، قال ابن منظور[1] رحمه الله: والكلام إذا كان مسجَّعاً قيل له نَسق حسن، قال ابن الأَعرابي أَنسَقَ الرجلُ إذا تكلم سجعاً[2].

ومن يمعن النظر في آيات القرآن، ويتأمل ترابط موضوعاته في السورة الواحدة، بل تناسق كلماته في الآية الواحدة، يجد هذه المعاني بارزة جلية فالموضوعات منتظمة، والمقاصد متتابعة وتثنية الموضوعات وعطف بعضها على بعض بارز جلي، كل ذلك بأسلوب بلغ الغاية في الروعة، والكمال في الأداء.

وذلك لون من ألوان الإعجاز القرآني، الذي يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن القرآن كلام الله سبحانه وبحمده، ولا يمكن للبشر ولو اجتمعوا وتضافروا مهما أوتوا من فصاحة وبلاغة أن يأتوا بشيء من مثله، قال الزرقاني[3] رحمه الله مبينا شيئاً من حكمة إنزال القرآن منجماً: الحكمة الرابعة: الإرشاد إلى مصدر القرآن، وأنه كلام الله وحده وأنه لا يمكن أن يكون كلام محمد ﷺ ولا كلام مخلوق سواه، وبيان ذلك أن القرآن الكريم تقرؤه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال آخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة

---

(١) محمد بن عبيدالله بن محمد، أبو بكر ابن منظور القيسي: أديب، من أعلام القضاة، أصله من إشبيلية، من بيت علم وفضل، نشأ بمالقة، ثم كان قاضيها وخطيبها، وتوفي فيها بالطاعون، توفي ٧٥٠هـ. الأعلام للزركلي (٦ / ٢٦٠).

(٢) لسان العرب - (١٠ / ٣٥٢)

(٣) محمد عبد العظيم الزرقاني: من علماء الازهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث، وتوفي بالقاهرة سنة:١٣٦٧ه . الأعلام للزركلي - (٦ / ٢١٠).

واحدة، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك، ولا تخاذل، كأنه حلقة مفرغة أو كأنه سمط وحيد[١]، وعقد فريد، يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جمله وآياته، وجاء آخره مساويا لأوله، وبدا أوله مواتيا لآخره[٢].أهـ

الموضوعي في اللغة: الموضوعي نسبة إلى الموضوع، وهي مصدر للفعل الثلاثي (وضع)، قال ابن فارس[٣] رحمه الله: الْوَاوُ وَالضَّادُ وَالْعَيْنُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْخَفْضِ لِلشَّيْءِ وَحَطِّهِ، وَوَضَعْتُهُ بِالْأَرْضِ وَضْعًا، وَوَضَعَتِ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا[٤].

وعرَّف الجرجاني[٥] رحمه الله الموضوع بقوله: (الموضوع: هو محل العرض المختص به، وقيل: هو الأمر الموجود في الذهن)[٦].

وفي المعجم الوسيط: (الْمَوْضُوع: الْمَادَّة الَّتِي يبْنى عَلَيْهَا الْمُتَكَلّم أَو الْكَاتِب كَلَامه)[٧].

---

(١) السِّمْطُ : الخَيْطُ الواحِدُ المَنْظَومُ تاج العروس من جواهر القاموس - (١٩ / ٣٨٠).

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٦٠).

(٣) ابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، الإمام، العلامة، اللغوي، المحدث، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي، اللغوي، نزيل همذان، وصاحب كتاب (المجمل)، توفي سنة ٣٩٥ه. سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠٣).

(٤) مقاييس اللغة (٦/ ١١٧).

(٥) عَلِيّ بن مُحَمَّد بن عَليّ الْحَنَفِيّ الشريف الْجرْجَانِيّ، قَالَ الْعَيْنِيّ فِي تَارِيخه: عَالم بِلَاد الشرق؛ كَانَ عَلامَة دهره، وَكَانَت بَينه وَبَين الشَّيْخ سعد الدّين مباحثات ومحاورات فِي مجْلِس تمرلنك؛ وَله تصانيف مفيدة، مِنْهَا: شرح المواقف للعضد، وَشرح التَّجْرِيد للنصير الطوسي، وَيُقَال إِن مصنفاته زَادَت على خمسين مصنفا، ولد بجرجان سنة أربع وسبعمائة، وتوفي بشيراز سنة ست عشرة وثمانمائة. ينظر بغية الوعاة (٢/ ١٩٧).

(٦) التعريفات (ص: ٢٣٦).

(٧) المعجم الوسيط (٢/ ١٠٤٠).

التناسق الموضوعي في الاصطلاح:

يعد هذا المصطلح (التناسق الموضوعي) مصطلحاً حادثاً، ولكن لما كان المعنى الاصطلاحي يرتبط عادة بالمعنى اللغوي ارتباطا وثيقاً، يمكننا ومن خلال الربط بين المعاني اللغوية لكلمة (نسق) أن نخلص إلى تعريف اصطلاحي للتناسق الموضوعي في السورة وهو: انتظام موضوعات السورة الواحدة، وترابطها، وتتابعها، وعطف تاليها على مقدمها، بسياق رباني بديع.

قال الشيخ محمد دراز: فقديماً قال الأئمة[1]: إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة، وإنه لا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية[2].

(١) هذا الكلام فحوى كلام الشاطبي رحمه الله في الموافقات تحت مسألة أشار إليها بقوله: "فصل: وهل للقرآن مأخذ في النظر على أن جميع سوره كلام واحد بحسب خطاب العباد لا بحسبه في نفسه؟ الموافقات (٤/٢٧٤-٢٧٥).
(٢) النبأ العظيم (ص: ١٩٢).

الباب الأول

سورة الممتحنة والتناسق

الموضوعي بين موضوعاتها

الفصل الأول

الفصل الأول

بين يدي السورة الكريمة

وفيه ثمانية مباحث: -

- المبحث الأول: اسم السورة وما اشتهر لها من أسماء.
- المبحث الثاني: ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها.
- المبحث الثالث: عدد آيات السورة واختلاف العلماء في ذلك.
- المبحث الرابع: تاريخ نزول السورة .
- المبحث الخامس: مكية السورة أو مدنيتها ، ووجه اختصاصها بما اختصت به.
- المبحث السادس: مقاصد السورة.
- المبحث السابع: الوحدة الموضوعية للسورة.
- المبحث الثامن: مناسبات السورة الكريمة .

* * * * * *

المبحث الأول

اسم السورة وما اشتهر لها من أسماء

وفيـــه مطلبان: –

- المطلب الأول: التعريف بالسورة لغة واصطلاحاً .
- المطلب الثاني: اسم السورة وما اشتهر لها من أسماء.

* * * * * *

المطلب الأول: التعريف بالسورة لغة واصطلاحاً.

السورة في اللغة: السورة في لغة العرب استعمالات بينها وبين المراد من السورة القرآنية تناسب لا يخفى على المتأمل، فقد تكون مأخوذة من سور المدينة لأجل إحاطتها بآياتها قال جرير[١] :

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ ... سُورُ المَدِينَةِ، والجِبالُ الخُشَّعُ[٢].

وألمح الزركشي[٣] إلى احتمال كون معنى السورة المرتبة، وذلك يتوافق وعلم المناسبات، قال رحمه الله: وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ مِنَ السُّورَةِ بِمَعْنَى الْمَرْتَبَةِ لِأَنَّ الْآيَاتِ مَرَتَّبَةٌ فِي كُلِّ سُورَةٍ تَرْتِيبًا مُنَاسِبًا وَفِي ذَلِكَ حُجَّةٌ لِمَنْ تَتَبَّعَ الْآيَاتِ بِالْمُنَاسَبَاتِ[٤].

وقيل مأخوذة من السؤر أي القطعة والجزء باعتبار أنها قطعة من القرآن وجزء منه، أو من سورة البناء أي مترلة منه قال ابن قتيبة [٥] رحمه الله: والسُّورَةُ تهمز ولا تهمز: فمن همزها جعلها من أسْأَرْتُ، يعني أفضَلْت، لأنها قطعة من القرآن، ومن لم يهمزها جعلها من سُورَة البِنَاء، أي مترلة بعد

(١) جَرِيْرٌ أَبُو حَزْرَةَ بنُ عَطِيَّةَ بنِ الخَطَفَى التَّمِيْمِيُّ، شَاعِرُ زَمَانِهِ، أَبُو حَزْرَةَ جَرِيْرُ بنُ عَطِيَّةَ بنِ الخَطَفَى التَّمِيْمِيُّ، البَصْرِيُّ، تُوُفِّيَ: سَنَةَ عَشْرٍ بَعْدَ الفَرَزْدَقِ بِشَهْرٍ. سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٠).

(٢) لسان العرب (٤/ ٣٨٥).

(٣) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) و (لقطة العجلان) في أصول الفقه، و (البحر المحيط) ثلاث مجلدات في أصول الفقه، ولد (٧٤٥) وتوفي (٧٩٤ هـــ) ينظر الأعلام للزركلي (٦/ ٦٠).

(٤) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٦٤).

(٥) العلامة، الكبير، ذو الفنون، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي، الكاتب، صاحب التصانيف، نزل بغداد، وصنف وجمع، وبعد صيته ينظر مشهور بالنحو واللغة، قدم الإمام القطان رحمه الله على عدم الكتابة عنه حين لقيه في رحلته ببغداد حيث لم يتبين له محله، من مصنفاته: غريب القرآن ، وغريب الحديث ، ومشكل القرآن، ومشكل الحديث.. توفي سنة ٢٨٢هـــ . الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٦٢٦/٢) وتاريخ بغداد (٤١١/١١).سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٦).

منزلة. قال النابغة[١] في النّعْمان[٢]:

أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ... تَرَى كلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ.

والسُّورَةُ في هذا البيت سُورَةُ المَجْد، وهي مستعارة من سورة البناء[٣].

ولعل هذا المعنى أقرب ما يكون للمعنى المراد من السورة لإفادته معنى الترابط والتكامل والحسن بين أجزاء السورة كترابط وتكامل البناء.

السورة في الاصطلاح:

قال الجعبري[٤]: حد السورة قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات[٥].

ونقل السيوطي[٦] عن شيخه الكافيجي[١] أنه عرفها بأنها: الطَّائِفَة من الْقُرْآن المترجمة

---

(١) زياد بن معاوية بن خباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة: شاعر جالي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها، أحد أشراف الجاهلية، وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو توفي سنة ١٨ ق.هـ. الأعلام للزركلي (٥٤/٣).

(٢) النعمان (الثالث) ابن المنذر (الرابع) ابن المنذر بن امرئ القيس اللخمي أبو قابوس: من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية، كان داهية مقداماً، وهو ممدوح النابغة الذبياني، وحسان بن ثابت، وحاتم الطائي، وهو صاحب إيفاد العرب على كسرى وباني مدينة النعمانية على ضفة دجلة اليمنى. توفي سنة ١٥ ق.هـ. بنظر الأعلام للزركلي (٤٣/٨).

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣٤).

(٤) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبريّ، أبو إسحاق: عالم بالقراآت، من فقهاء الشافعية (٦٤٠ - ٧٣٢هـ) الأعلام للزركلي (١/ ٥٥).

(٥) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٦٤).

(٦) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب، صاحب المؤلفات الجامعة والمصنفات النافعة، ختم القرآن دون الثماني سنين، ثم حفظ جملة من متون العلم كعمدة الأحكام ومنهاج النوري، وتنقل بين أجلة أهل عصره من العلماء وصنف فأبدع كماً وكيفاً ، تجاوزت مصنفاته خمسمائة مصنف منها: الدرر المنثور في التفسير، والاتقان في علوم القرآن ، توفي رحمه الله سنة ٩١١هـ ، ينظر الكواكب السائرة (٢٢٧/١) والبدر الطالع ⇦=

– أي المسماة باسم خاص – توقيفاً – أَي بتوقيف من النَّبِي ﷺ – ثم اعترض رحمه الله على هذا التعريف بقوله: وَلَيْسَ بصاف عَن الْإِشْكَال فقد سمى كثير من الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ سورا بأسماء من عِنْدهم كَمَا سمى حُذَيْفَة التَّوْبَة بالفاضحة وَسورَة الْعَذَاب وسمى سُفْيَان بن عُيَيْنَة الْفَاتِحَة بالواقية وسماها حَيّ بن كثير كافيه وسماها آخر الْكَنْز وَغير ذَلِك مِمَّا بسطناه فِي التحبير.

ثم نقل تعريفاً آخر وهو: أن السُّورَة قِطْعَة لَهَا أول وَآخر، واعترض عليه بقوله: وَلَا يَخْلُو من نظر لصدقة على الْآيَة وعَلى الْقِصَّة، ثم رجح رحمه الله بين التعريفين بقوله: ثمَّ ظهر لي رُجْحَان الْحَد الأول وَيكون المُرَاد بالتوقيفي الِاسْم الَّذِي تذكر بِهِ وتشتهر [٢].

ويربط الزرقاني[٣] في مناهله بين التعريف اللغوي والاصطلاحي بقوله: ويمكن تعريفها – أي السورة – اصطلاحا بأنها طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع، قالوا: وهي مأخوذة من سور المدينة. وذلك إما لما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة وآية بجانب آية كالسور توضع كل لبنة فيه بجانب لبنة ويقام كل صف منه على صف.

وإما لما في السورة من معنى العلو والرفعة المعنوية الشبيهة بعلو السور ورفعته الحسية وإما لأنها

---

(٣٢٨). الأعلام للزركلي (٣/ ٣٠١).

(١) محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي محيي الدين، أبو عبد الله الكافيجي: من كبار العلماء بالمعقولات. رومي الأصل. اشتهر بمصر، ولازمه السيوطي ١٤ سنة. وعرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو. (٧٨٨ – ٨٧٩ هـ) الأعلام للزركلي (٦/ ١٥٠).

(٢) ينظر إتمام الدراية لقراء النقاية (ص: ٢١) .

(٣) محمد عبد العظيم الزرقاني: من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة. من كتبه (مناهل العرفان في علوم القرآن) توفي (١٣٦٧ هـ) الأعلام للزركلي (٦/ ٢١٠).

حصن وحماية لمحمد ﷺ وما جاء به من كتاب الله القرآن ودين الحق الإسلام باعتبار أنها معجزة تخرس كل مكابر ويحق الله بها الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون، أشبه بسور المدينة يحصنها ويحميها غارة الأعداء وسطوة الأشقياء[١].

ويؤخذ من هذه التعريفات أن السورة هي: الطائفة المستقلة من آيات القرآن الكريم، ذات مطلع ومقطع، أقلها ثلاث آيات وهي سورة الكوثر، وأكثرها مائتان وست وثمانون آية وهي سورة البقرة.

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٣٥٠)

المطلب الثاني: اسم السورة وما اشتهر لها من أسماء

لكل سورة من سور القرآن اسم يختص بها، تمتاز به عن غيرها، هذا هو الأغلب في سور القرآن، وقد يكون للسورة أكثر من اسم لغاية أرادها الله، إما لمزيد بيان، أو فضل، أو تعدد مقاصد، فسورة الفاتحة على سبيل المثال تعددت أسماؤها فقد عد السيوطي رحمه الله من أسمائها خمسة وعشرين اسماً ثم قال: (فهذا ما وقفت عليه من أسمائها و لم تجتمع في كتاب قبل هذا[١].

وقد تشترك بعض السور في اسم واحد، ومن ذلك تسمية البقرة وآل عمران بالزهراوين[٢] وقد قرر ذلك السيوطي رحمه الله بقوله:(وكما سميت السورة الواحدة بأسماء سميت سور باسم واحد كالسور المسماة بـــ" ألم " أو " ألر"، على القول بأن فواتح السور أسماء لها)[٣].

ويرى جمع من أهل العلم أن أسماء السور توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه، ويدل على ذلك الآحاديث الثابتة عن النبي ﷺ والتي ينص فيها على تحديد السورة بذكر اسمها فعلى سبيل المثال لا الحصر ما روى الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله قد شبت، قال: (شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت)[٤] وكقوله ﷺ لعمر ﷺ كما في صحيح مسلم (يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٩١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (صلاة المسافرين) باب (فضل قراءة القرآن وسورة البقرة) حديث رقم (٨٠٤)، وسميتا بالزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما. شرح النووي على مسلم (٦/ ٩٠).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٩٩).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (أبواب تفسير القرآن) باب (زمن سورة الواقعة) حديث رقم (٣٢٩٧).

النساء)[١] وكقوله ﷺ كما في صحيح مسلم أيضا (اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة)[٢]

قال ابن جرير[٣] رحمه الله: (لسوَر القرآن أسماءٌ سمّاها بها رسول الله ﷺ)[٤] وقال الطاهر ابن عاشور رحمه الله: (وأما أسماء السور فقد جعلت لها من عهد نزول الوحي ، والمقصود من تسميتها تيسير المراجعة والمذاكرة ، وقد دل حديث ابن عباس الذي ذكـــر آنفا أن النبي ﷺ كان يقول إذا نزلت الآية ضعوها في السورة التي يذكر فيها كذا[٥]، فسورة البقرة مثلا كانت بالسورة التي تذكر

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفرائض) ، باب (ميراث الكلالة) حديث رقم (١٦١٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (صلاة المسافرين) ، باب (فضل قراءة القرآن وسورة البقرة) حديث رقم (٨٠٤).

(٣) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري الإمام، العلم، المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان، طلب العلم بعد الأربعين ومائتين وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، قل أن ترى العيون مثله، توفي عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاث مائة، ودفن في داره برحبة يعقوب يعني: ببغداد. ينظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧).

(٤) تفسير الطبري (١/ ١٠٠).

(٥) يشير إلى حيث ابن عباس رضي الله عنهما عند أحمد وغيره .

قال ابن عباس : قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ، وإلى براءة وهي من المئين ، فقرنتم بينهما و لم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، فوضعتموها في السبع الطوال ، فما حملكم على ذلك ؟ قال : كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو يترل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من يكتب له فيقول : ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وإذا أنزلت عليه الآيات قال : ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وإذا أنزلت عليه الآية ، قال : ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا....الحديث (مسند أحمد ١/ ٦٩).

فيها البقرة . وفائدة التسمية أن تكون بما يميز السورة عن غيرها)[١].

ومنهم من يرى أن النبي ﷺ قد سمى جملة منها وبقية السور يشير إليها بذكر أبرز ما ورد فيها ويدل عليه حديث ابن عباس الآنف "ضعوها في السورة التي يذكر فيها كذا" . ومن هنا نشأ تعدد أسماء السور بين الصحابة رضي الله عنهم كما ورد في صحيح البخاري عن سعيد بن جبير[٢] قال: قلت لابن عباس سورة الحشر قال: (قل سورة النضير)[٣] ولعل هذا القول أقرب للصواب إعمالاً لجميع الأحاديث والآثار الواردة في أسماء السور.

وسورة الممتحنة هذا اسمها الذي وردت التسمية به ولهذه التسمية (الممتحنة) ضبطان أشار إليهما القرطبي[٤] رحمه الله بقوله:

الممتحنة "بكسر الحاء" أي المختبرة ، أضيف الفعل إليها مجازا ، كما سميت سورة "التوبة" المبعثرة والفاضحة ؛ لما كشفت من عيوب المنافقين. ومن قال في هذه السورة الممتحنة "بفتح الحاء" فإنه أضافها إلى المرأة التي نزلت فيها ، وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، قال الله تعالى :

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٩٠).

(٢) سعيد بن جبير الأسدي –بالولاء– الكوفي أبو عبدالله تابعي كان أعلمهم على الإطلاق وهو حبشي الأصل، أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم، كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألوني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيداً. قتله الحجاج سنة ٩٥هـ. بنظر الأعلام للزركلي (٣/٩٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (حديث بني النضير...) حديث رقم (٤٠٢٩).

(٤) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها. من كتبه " الجامع لأحكام القرآن عشرون جزءا، يعرف بتفسير القرطبي، و " قمع الحرص بالزهد والقناعة " و " الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى " توفي سنة ٦٧١هـ. ينظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٣٢٢)".

"فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ" وهي امرأة عبدالرحمن بن عوف ، ولدت له إبراهيم بن عبدالرحمن[١].

وقد وردت تسميتها بهذا الاسم (الممتحنة) على ألسنة الصحابة ﷺ ففي الدر المنثور للسيوطي رحمه الله (أَخْرَج ابن الضريس والنحاس ، وَابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال : نزلت سورة الممتحنة بالمدينة، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله)[٢].

ووجه تسميتها بذلك ورود آية امتحان النساء المهاجرات فيها من قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٣]

ومما سميت به السورة من باب الاجتهاد:

سورة المودة: سماها بذلك الإمام النيسابوري[٤] صاحب كتاب المبسوط في القـــراءات العشر[٥]

وتابعه في ذلك الإمام ابن زنجلة[١] في حجة القراءات[٢]، والسخاوي[٣] في جمال القراء[٤]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٩).

(٢) الدر المنثور في التفسير (١٤/ ٤٠١).

(٣) الممتحنة: ١٠.

(٤) أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوريّ، أبو بكر: إمام عصره في القراآت. أصله من أصبهان وسكن نيسابور. من كتبه (آيات القرآن) و (غرائب القراآت) و (وقوف القرآن) و (الشامل) في القراآت توفي سنة ٣٨١ هـــ. الأعلام للزركلي (١/ ١١٥).

(٥) المبسوط في القراءات العشر (ص: ٤٣٤).

والفيروزآبادى في بصائر ذوي التمييزوذكر وجه تسميتها بذلك فقال: لقوله: "تُلْقُوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ" و "تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ" و "وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً"(٥).

وكـــذلك سمـــيت سورة الامتحان: سماها بذلك مقاتل بن سليـــمان(٦) رحمه الله في

تفسيره(٧) وأبو القاسم المقري(٨) في الناسخ والمنسوخ(٩)، والسخاوي في جمال القـــراء(١٠)، ووجه تسميتها بذلك ظاهر وهو قوله تعـــالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾(١١).

---

(١) عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة: عالم بالقراآت كان قاضيا مالكيا، قرأ عَلي أحمد بن فارس كتابه (الصاحبي) سنة ٣٨٢ في المحمدية (بالريّ) وصنف كتبا منها (حجة القراآت) حققه الأستاذ سعيد الأفغاني، و (شرف القراء في الوقف والابتداء) توفي سنة ٤٠٣ ه. الأعلام للزركلي (٣/ ٣٢٥).

(٢) حجة القراءات (ص: ١١٣).

(٣) علي بن محمد بن عبد الصمد الهمدانيّ المصري السخاوي الشافعيّ، أبو الحسن، علم الدين: عالم بالقراآت والأصول واللغة والتفسير، وله نظم. أصله من صخا (بمصر) سكن دمشق، وتوفي فيها، ودفن بقاسيون. من كتبه " جمال القرء وكمال الإقراء " في التجويد، و " هداية المرتاب " توفي سنة ٦٤٣ هـــ. الأعلام للزركلي (٤/ ٣٣٢).

(٤) جمال القراء وكمال الإقراء (ص: ٩٢).

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٤٦٠).

(٦) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن: من أعلام المفسرين. أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدّث بها. وتوفي بالبصرة. كان متروك الحديث. من كتبه (التفسير الكبير) جزء منه، و (نوادر التفسير) و (متشابه القرآن) و (الناسخ والمنسوخ) و (القراآت) و (الوجوه والنظائر) توفي سنة١٥٠ هـــ. الأعلام للزركلي (٧/ ٢٨١).

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٢٩٥).

(٨) هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي، أبو القاسم: مفسر، ضرير، من أهل بغداد، وبها وفاته، كانت له حلقة في جامع المنصور، له كتب منها " الناسخ والمنسوخ في القرآن " و " الناسخ والمنسوخ من الحديث " و " المسائل المنثورة " في النحو ، توفي سنة ٥٤١٠. ينظر الأعلام للزركلي (٨/ ٧٢).

(٩) الناسخ والمنسوخ للمقري (ص: ٢٤).

(١٠) جمال القراء وكمال الإقراء (ص: ٦٩١).

(١١) الممتحنة: ١٠.

المبحث الثاني

ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها

وفيــه مطلبان: –

- المطلب الأول: الأهمية من معرفة فضائل السور .
- المطلب الثانـي: ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها.

* * * * * *

المطلب الأول: الأهمية من معرفة فضائل السور.

لقد ركب الله في الإنسان محبة العمل الذي يعود عليه بالنفع والخير ولذا قل أن نجد عملاً صالحاً إلا ورتب عليه من الفضائل ما يحدو النفوس إلى المسارعة إليه والمواظبة عليه، ومن ذلك قراءة القرآن الكريم فقد استفاضت فضائله، وعظم ثواب المقبلين عليه قراءة وحفظاً وتدبراً، ولمعرفة فضائل السور فوائد منها:

١ / التحفيز والترغيب في لزوم قراءة السورة والعناية بها على الهيئة الواردة كقراءة سورة الملك كل ليلة[١]، وقراءة المعوذتين ثلاثاً صباحاً ومساءً[٢].

٢ / قد يتجاوز الأمر مجرد القراءة إلى العناية بالحفظ والضبط لما يترتب على ذلك من الفضل[٣].

٣ / الحث على تأمل ما تحويه السورة من مقاصد وهدايات.

٤/ بيان فضل هذه الأمة بما أكرمها الله بهذا الكتاب العظيم وما يحويه من فضائل.

---

(١) روى النسائي عن عن عبد الله بن مسعود قال : (من قرأ { تبارك الذي بيده الملك } كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر وكنا في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم نسميها المانعة وإنها في كتاب الله سورة من قرأ بها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب) أخرجه النسائي في السنن الكبرى كتاب (عمل اليوم والليلة) باب (الفضل في قراءة تبارك الذي بيده الملك) حديث رقم (١٠٤٧٩).

(٢) روى الترمذي في سننه عن معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه قال : (خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله صلى الله عليه و سلم يصلي لنا قال فأدركته فقال قل فلم أقل شيئا ثم قال قل فلم أقل شيئا قال قل قلت ما أقول ؟ قال قل { هو الله أحد } والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء) أخرجه الترمذي في سننه في أبواب الدعوات .حديث رقم (٣٥٧٥).

(٣) روى أحمد في مسنده عن عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال : (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ، عصم من الدجال) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) ، باب (فضل سورة الكهف وآية الكرسي) حديث رقم (٢٥٧).

٥ / التأكيد على أن القرآن مع كونه كلام الله وكله فضل ورحمة إلا أن بعض سوره أفضل من بعض خيرة من الله، واصطفاء، وذلك كالتفاضل بين الرسل عليهم السلام، والتفاضل بين أسماء الله تعالى(١).

٦ / في تحرير فضائل السور بتمييز الأحاديث الواردة فيها ببيان صحيحها من ضعيفها ذبٌّ عن سنة رسول الله ﷺ، وكشف لأحوال الوضاعين الذين تعمدوا – جهلاً ودروشة- الكذب على رسول الله ﷺ لترغيب الناس في قراءة القرآن(٢).

(١) وقد نصر القول بتفاضل سور القرآن وآياته السيوطي رحمه الله فقال في إتمام الدراسة: وهو – أي جواز التفاضل بين الآي والسور- الصواب الذي عليه الأكثر ومنهم إسحاق بن راهويه الحلومي والبيهقي وابن العربي وقال القرطبي: إنه الحق الذي عليه جماعة من العلماء والمتكلمين. إتمام الدراية لقراء الفقاية ص(٢٢).

(٢) قال مُحَمَّد بن عيسى ابن الطباع: قلت لميسرة بن عبد ربه: من أين جئت بهذه الأحاديث، من قرأ كذا فله كذا؟ قَالَ: وضعته أرغب الناس فيه. تاريخ بغداد ت (١٥/ ٢٩٧).

المطلب الثاني: ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها.

يعد باب فضائل السور من الأبواب التي تكثر فيها الأحاديث الواهية والمكذوبة على رسول الله ﷺ أياً كان سبب الوضع والكذب عليه عليه الصلاة والسلام، وإن كان أكثر من يتعمد وضعها والكذب بها كان يقصد – جهلاً وغواية – ترغيب الناس فيها وحثهم عليها، قال القرطبي رحمه الله: (ومنهم – أي من الوضاعين الكذابين - جماعة وضعوا الحديث حسبة كما زعموا، يدعون الناس إلى فضائل الأعمال، كما روي عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي، ومحمد بن عكاشة الكرماني، وأحمد بن عبد الله الجويباري، وغيرهم. قيل لأبي عصمة: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة)[١].

وسورة الممتحنة لم يثبت في فضلها حديث سوى الفضل العام الوارد في سور المفصل وهي منها ففي مسند الطيالسي عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (أعطيت مكان التوراة السبع و أُعطيت مكان الزبور المئين وأُعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل)[٢].

(١) تفسير القرطبي (١/ ٧٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٨٨/٢٨) حديث رقم (١٦٩٨٢).

المبحث الثالث

عدد آيات السورة واختلاف العلماء في ذلك

* * * * * *

عدد آيات السورة واختلاف العلماء في ذلك

اختلف أهل العلم في عدد آيات القرآن فقد نقل السيوطي عن أبي عمرو الداني[١] رحمهما الله أنه قال : (أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك فمنهم من لم يزد ومنهم من قال: ومائتا آية وأربع آيات وقيل: وأربع عشرة وقيل: وتسع عشرة وقيل: وخمس وعشرون وقيل: وست وثلاثون)[٢].

وعلماء الأمة سلفاً وخلفاً متفقون على إثبات ألفاظ القرآن وأنه لا زيادة فيها ولا نقصان ولكن الخلاف وقع في عدد الآي لاختلافهم في فواصل الآيات فالخلاف لفظي لا حقيقي قال مجد الدين الفيروزآبادى: (اعلم أَنَّ عدد سور القرآن – بالاتِّفاق مائة وأَربعة عشر سورة، وأَمّا عدد الآيات فإِن صدر الأُمّة وأَئمة السّلف من العلماءِ والقراءِ كانوا ذوى عنايةٍ شديدة في باب القرآن وعِلمه، حتى لم يبق لفظ ومعنى إِلاَّ بحثوا عنه، حتى الآيات والكلمات والحروف، فإِنهم حَصَروها وعدُّوها، وبين القرّاءِ في ذلك اختلاف، لكنَّه لفظي لا حقيقي، مثال ذلك أَنَّ قرّاءَ الكوفة عدُّوا قوله {والقرآن ذِي الذكر} آية، والباقون لم يعدّوها آية. وقراء الكوفة عدّوا {قَالَ فالحق والحق أَقُولُ} آية والباقون لم يعدّوها، بل جعلوا آخر الآية {فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ} و {لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن

(١) عثمان بن سعيد بن عثمان، أَبُو عمرو الداني، ويقال له ابن الصير في، من موالي بني أمية: أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره. من أهل دانية بالأندلس، له أكثر من مئة تصنيف، منها " التيسير " في القراءات السبع، و " المقنع " في رسم المصاحف ونقطها و " الاهتدا في الوقف والابتدا " توفي سنة ٤٤٤هـ. الأعلام للزركلي (٤/ ٢٠٦).
(٢) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢٣٢).

تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} وهكذا عدّ أهل مكّة والمدينة والكوفة والشّام آخر الآية {والشياطين كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ} وأهل البصرة جعلوا آخرها {وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأصفاد} ولا شكَّ أنَّ ما هذا سبيله اختلاف في التَّسمية لا اختلاف في القرآن، ومن هاهنا صار عند بعضهم آيات القرآن أكثر، وعند بعضهم أقلّ، لا أن بعضهم يزيد فيه، وبعضهم ينقص، فإنَّ الزّيادة والنّقصان في القرآن كفر ونفاق؛ على أنَّه غير مقدور للبشر، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}(١).

وفي ضبط عدد آي القرآن ستة أقوال وقد ذكرها أبو عمرو الداني رحمه الله في كتابه البيان وهي على النحو التالي:

١ / عدد المدني الأول: فقد ساق بسنده إلى محمد بن عيسى أنه قال: جميع عدد آي القرآن في المدني الأول ستة آلاف آية ومئتا آية وسبع عشرة آية وهو العدد الذي رواه أهل الكوفة عن أهل المدينة لم يسموا في ذلك أحدا بعينه يسندونه إليه(٢).

٢ / عدد المدني الأخير: فقد نقل عن محمد بن عيسى أنه قال: وجميع عدد آي القرآن في قول إسماعيل بن جعفر ستة آلاف آية ومئتا آية وأربع عشرة آية وهو الذي رواه إسماعيل عن ابن جماز عن شيبة وأبي جعفر(٣).

٣ / عدد المكي: فقد ساق رحمه الله بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: عدد آي

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٥٥٨).
(٢) البيان في عد آي القرآن (ص: ٧٩).
(٣) البيان في عد آي القرآن (ص: ٧٩).

القرآن ستة آلاف ومئتا آية وست عشرة آية[١].

٤ / عدد الكوفي: قال رحمه الله: قال محمد وجميع عدد آي القرآن في قول الكوفيين خاصة ستة آلاف ومئتا آية وثلاثون وست آيات وهو العدد الذي رواه سليم والكسائي عن حمزة وأسنده الكسائي إلى علي رضي الله عنه[٢].

٥ / عدد البصري: قال رحمه الله: قال محمد وجميع عدد آي القرآن في عدد البصريين ستة آلاف ومئتان وأربع آيات وهو العدد الذي عليه مصاحفهم حتى الآن[٣].

٦ / عدد الشامي: فقد ساق رحمه الله بسنده إلى: سويد بن عبد العزيز قال سألت يحيى بن الحارث الذماري عن عدد آي القرآن فأشار إلي بيده ستة آلاف ومائتان وست وعشرون بيده اليسار[٤].

وأما سورة الممتحنة فعدد آياتها ثلاث عشرة آية بلا خلاف بين أهل العلم قال أبو عمرو الداني رحمه الله: لا نظير لها في عددها، وكلمها ثلاث مئة وثمان وأربعون كلمة، وحروفها ألف وخمس مئة وعشرة أحرف، وهي ثلاث عشرة آية ليس فيها اختلاف ولا فيها مما يشبه الفواصل شيء[٥].

وقال الطاهر ابن عاشور رحمه الله: واتفق أهل العدد على عدّ آيها ثلاث عشرة آية[٦].

---

(١) البيان في عد آي القرآن (ص: ٨٠).
(٢) البيان في عد آي القرآن (ص: ٨٠).
(٣) البيان في عد آي القرآن (ص: ٨٠).
(٤) البيان في عد آي القرآن (ص: ٨١).
(٥) البيان في عد آي القرآن (ص: ٢٤٤).
(٦) التحرير والتنوير ـــ الطبعة التونسية (٢٨/ ١٣٠).

المبحث الرابع

تاريخ نزول السورة

* * * * * *

تاريخ نزول السورة

لقد عني أهل العلم قديماً وحديثاً بموضوع تاريخ السورة وتحديد أو تقريب وقت نزولها يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله، تبلغه الإبل لركبت إليه)[١]، وعده الإمام النيسابوري[٢] من أشرف علوم القرآن فقال: (أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة ابتداء ووسطا وانتهاء وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك، ثم ما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي)[٣]، ومما يؤكد أهمية تحديد وقت نزول السورة:

١ / في ذلك بيان للحكمة التي من أجلها أنزل القرآن مفرقاً، وهي تثبيت أهل الإيمان بنزول الآيات حسب ما يحتاجونه، وحسب ما يمر بهم من وقائع ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾[٤].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (فضائل القرآن) باب (القراء من أصحاب النبي ﷺ) حديث رقم (٥٠٠٢).
(٢) الْحسن بن مُحَمَّد بن الْحسن بن حبيب أَبُو الْقَاسِم الْوَاعِظ النَّحْوِيّ، الْمُفَسّر، قَالَ عبد الغافر فِي السِّيَاق: كَانَ إِمَام عصره فِي الْقرَاءَات وعلومها، نحويا أديبا، عَارِفًا بالمغازي وَالسير والقصص توفي سنة ٤٠٦. بغية الوعاة (١/ ٥١٩).
(٣) البرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٢)، الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٦).
(٤) الفرقان: ٣٢.

٢ / لا سبيل لتحديد الناسخ والمنسوخ في أحكام القرآن إلا بتحديد تاريخ نزول الآيات ومعرفة المتقدم من المتأخر منها.

٣ / إن تحديد وقت نزول السورة له أثر واضح في فهم وتحديد مقاصدها وأهدافها.

٤ / في ترتيب القرآن على نحو مغاير تماماً لترتيب نزوله يؤكد أن ترتيب آيات القرآن توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه.

تاريخ نزول سورة الممتحنة:

اتفق أهل التفسير على أن نزول صدر هذه السورة كان في شأن حاطب بن أبي بلتعة[١] رضي الله عنه في كتابه إلى أهل مكة يخبرهم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم[٢]، ولكن اختلفوا في هذا الخروج هل كان خروجه صلى الله عليه وسلم إلى مكة عام الحديبية، وقد ذهب إلى هذا القول قتادة[٣][٤] وقال به ابن عطية[٥] في تفسيره[١] ويستدل بما رواه الطبري بسنده إلى علي

---

(١) حاطب بن أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي المكي، حليف بني أسد بن عبد العزى بن قصي من مشاهير المهاجرين؛ شهد بدرا والمشاهد، وكان رسول النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس صاحب مصر وكان تاجرا في الطعام، له عبيد، وكان من الرماة الموصوفين، توفي سنة ثلاثين. سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢/ ٤٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٣٠).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٦٤).

(٤) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه. قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث، رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، مات بواسط في الطاعون سنة ١١٨هـ. الأعلام للزركلي (٥/ ١٨٩).

(٥) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، ابو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل ⇦=

رضي الله عنه قال: لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتي مكة، أسر إلى ناس من أصحابه أنه يريد مكة فيهم حاطب بن أبي بلتعة، وأفشى في الناس أنه يريد خيبر، فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن النبي صلى الله عليه وسلم يريدكم..)[٢] ووجه ذلك أن خيبر كانت قبل فتح مكة فيكون إرادته مكة في هذه الرواية أي في عمرة الحديبية[٣].

وذهب عامة أهل السير[٤]، والمفسرين[٥] إلى أن هذا الكتاب أرسله حاطب إلى كفار قريش في خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى فتح مكة، ولعل مما يقوي هذا الرأي أن الداعي في فتح مكة لمكاتبة المشركين أقوى، فليس في خروج النبي صلى الله عليه وسلم للحديبية ما يقلق المشركين كي يحذرهم منه حاطب رضي الله عنه فيكون له عندهم يد هو بحاجة إليها، فقد خرج بمن معه معتمراً ليس معهم إلا سلاح الراكب، على خلاف فتح مكة فقد خرج صلى الله عليه وسلم متجهزاً لفتحها وتطهيرها من الشرك وأهله.

وقد انتصر الطاهر ابن عاشور رحمه الله بعد عرضه للقولين للقول الأول فقال:

ومعظم الروايات ليس فيها تعيين ما قصده رسول الله صلى الله عليه وسلم من تجهّزه إلى مكة

= غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، من كتبه: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) في عشر مجلدات، و (المجموع) في ذكر مروياته وأسماء شيوخه. توفي سنة ٥٤١.ينظر الأعلام للزركلي (٣/ ٢٨٢).

(١) تفسير ابن عطية (٥/ ٢٩٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٦٠).

(٣) ينظر التحرير والتنوير (٢٨/ ١٣٠).

(٤) مغازي الواقدي (٢/ ٧٩٧)، سيرة ابن هشام (٢/ ٣٩٨)، دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ١٤).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٢٩٩)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٥٥)،

أهو لأجل العمرة أم لأجل الفتح فإن كان الأصح الأول وهو الذي نختاره كانت السورة جميعها نازلة في مدة متقاربة فإن امتحان أم كلثوم بنت عقبة[١] كان عقب صلح الحديبية . ويكون نزول السورة مرتباً على ترتيب آياتها وهو الأصل في السور .

وعلى القول الثاني يكون صدر السورة نازلاً بعد آيات الامتحان وما بعدها حتى قال بعضهم : إن أول السورة نزل بمكة بعد الفتح ، وهذا قول غريب لا ينبغي التعويل عليه[٢].

(١) أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي، من المهاجرات، أسلمت بمكة، وبايعت، ولم يتهيأ لها هجرة إلى سنة سبع، وكان خروجها زمن صلح الحديبية. سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢/ ٢٧٦).

(٢) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٣١).

المبحث الخامس

مكية السورة أو مدنيتها ، ووجه اختصاصها بما اختصت به

وفيـــه مطلبان: –

- المطلب الأول: المكي والمدني من السورة وفائدة معرفتها.
- المطلب الثـاني: وجه اختصاص السورة بما اختصت به مـــن موضـــوعات ومحاور.

* * * * * *

المطلب الأول: المكي والمدني من السورة وفائدة معرفتها.

وفيه ثلاثة أمور :

الأمر الأول : تعريف المكي والمدني من السورة:

اختلف أهل العلم في تعريف المكي والمدني على ثلاثة أقوال نظر أصحاب كل قول إلى اعتبار معين:

الأول: باعتبار مكان النزول فالمكي حينئذ: ما نزل بمكة أو قريباً منها ولو كان بعد الهجرة، والمدني: ما نزل بالمدينة أو قريباً منها، وقد أورد السيوطي دليلاً على هذا القول ما أخرجه الطبراني[١] في الكبير من حديث أبي أمامة[٢] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة: مكة والمدينة والشام)[٣]

قال الوليد: يعني بيت المقدس. وقال الشيخ عماد الدين بن كثير[٤]: بل تفسيره بتبوك أحسن[١].

---

(١) الإمام، الحافظ، الثقة، الرحال، الجوال، محدث الإسلام، علم المعمرين، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي، الشامي، الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة، مولده: بمدينة عكا، في شهر صفر، سنة ستين ومائتين، من تواليفه: المعجم الصغير في مجلد، عن كل شيخ حديث، والمعجم الكبير وهو معجم أسماء الصحابة وتراجمهم وما رووه، لكن ليس فيه مسند أبي هريرة، ولا استوعب حديث الصحابة المكثرين، في ثمان مجلدات، و (المعجم الأوسط) على مشايخه المكثرين. سير أعلام النبلاء (١٦/ ١١٩).

(٢) صدي بن عجلان بن وهب الباهلي، أبو أمامة: صحابي. كان مع علي في (صفين) وسكن الشام، فتوفي في أرض حمص. وهو آخر من مات من الصحابة بالشام. له في الصحيحين ٢٥٠ حديثا. الأعلام للزركلي (٣/ ٢٠٣).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠١/٨) حديث رقم (٧٧١٧) قال الألباني رحمه الله عن إسناده: (ضعيف جداً، فيه: عفير بن معدان: قال الذهبي في المغني (مشهور، ضعفوه. وقال أبو حاتم: لا يشتغل بحديثه) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٤/ ٩٠٠).

(٤) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق، تناقل الناس تصانيفه في حياته، من كتبه (البداية والنهاية) ١٤ مجلدا في التاريخ على نسق الكامل لابن الأثير انتهى فيه إلى حوداث سنة ⇦=

ويؤخذ على هذا التعريف أنه غير جامع لآيات القرآن، فثمة آيات نزلت في أسفار النبي صلى الله عليه وسلم، فلم تنزل في مكة ولا المدينة ولا قريباً منهما كالآيات التي نزلت في مسيره صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، أو في رجوعه منها فقد ساق ابن جرير بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له: ألا تغزو بني الأصفر لعلك أن تصيب بنت عظيم الروم، فإنهم حسان فقال رجلان: قد علمت يا رسول الله أن النساء فتنة، فلا تفتنا بهن، فأذن لنا فأذن لهما؛ فلما انطلقا، قال أحدهما: إن هو إلا شحمة لأول آكل، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ينزل عليه في ذلك شيء، فلما كان ببعض الطريق نزل عليه وهو على بعض المياه: "لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة.."[٢]

الثاني: باعتبار المخاطب فالمكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة[٣]، وعلى هذا التعريف تحمل بعض القيود والضوابط التي نقلت عن السلف في تحديد مكية الآية من مدنيتها، فقد أورد القاسم بن سلام[٤] بسنده عن ميمون بن مـــهران[١]، قال: ما كان في القرآن

= ٧٦٧ و (شرح صحيح البخاري) لم يكمله، و (طبقات الفقهاء الشافعيين. الأعلام للزركلي (١/ ٣٢٠).

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٧).

(٢) سورة التوبة: ٤٢.

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٨).

(٤) القاسم بن سلاَّم الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي، أبو عُبيد: من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. من أهل هراة. ولد وتعلم بها. وكان مؤدبا. ورحل إلى بغداد فولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة. ورحل إلى مصر سنة ٢١٣ وإلى بغداد، فسمع الناس من كتبه، وحج، فتوفي بمكة، من كتبه " الغريب المصنف " مجلدان، في غريب الحديث، ألفه في نحو أربعين سنة، وهو أول من صنف في هذا الفن، و " الطهور " في الحديث، و " الأجناس من كلام العرب " و " أدب القاضي " توفي سنة ٢٢٤ه. الأعلام للزركلي (٥/ ١٧٦).

"يا أيهـــا الناس"أو "يا بني آدم" فإنه مكي، وما كان "يا أيها الذين آمنوا" فإنه مدني[٢]، وروى ابن أبي شيبة[٣] في مصنفه بسنده عن هشام[٤]، عن أبيه، قال: (إني لأعلم ما نزل من القرآن بمكة، وما أنزل بالمدينة، فأما ما نزل بمكة فضرب الأمثال، وذكر القرون، وأما ما نزل بالمدينة فالفرائض، والحدود، والجهاد)[٥]، ومن ذلك ما رواه الحاكم في مستدركه عن علقمة[٦]، عن عبد الله رضي الله عنه قال: (ما كان: يا أيها الذين آمنوا أنزل بالمدينة، وما كان: يا أيها الناس فبمكة)[٧].

ويؤخذ على هذا القيد للمكي والمدني أنه غير منضبط أيضاً فلو حملت هذه الضوابط على الأكثر والأغلب لأمكن، لكن ثمة آيات جاءت على خلاف هذه الضوابط فسورة البقرة على سبيل المثال مدنية وتكرر فيها "يا أيها الناس"، وقد نقل السيوطي رحمه الله عن ابن عطية وابن الفرس[٨]

---

(١) ميمون بن مهران الرقي، أبو أيوب: فقيه من القضاة. كان مولى لامرأة بالكوفة. وأعتقته، فنشأ فيها. ثم استوطن الرقة (من بلاد الجزيرة الفراتية) فكان عالم الجزيرة، وسيدها. واستعمله عمر بن عبد العزيز على خراجها وقضائها، توفي سنة ١١٧هـ. الأعلام للزركلي (٧/ ٣٤٢).

(٢) فضائل القرآن للقاسم بن سلام (ص: ٣٦٧).

(٣) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، مولاهم، الكوفي، أبو بكر، حافظ للحديث. له فيه كتب منها " المسند" المصنف في الأحاديث والآثار " خمسة أجزاء، و " الإيمان "، توفي سنة ٢٣٥هـ. الأعلام للزركلي (٤/ ١١٧)

(٤) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو المنذر، تابعي، من أئمة الحديث، من علماء " المدينة " ولد وعاش فيها، وزار الكوفة فسمع منه أهلها، ودخل بغداد، وافدا على المنصور العباسي، فكان من خاصته، وتوفي بها سنة ١٤٦هـ. الأعلام للزركلي (٨/ ٨٧).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب (فضائل القرآن) باب (ما نزل من القرآن بمكة والمدينة) حديث رقم (٣٠١٤٩).

(٦) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الهمدانيّ، أبو شبل: تابعي، كان فقيه العراق، يشبه ابن مسعود في هديه وسمته وفضله. ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلّم وروى الحديث عن الصحابة، ورواه عنه كثيرون، وشهد صفين، وغزا خراسان، سكن الكوفة، فتوفي فيها سنة ٦٢ هـ. الأعلام للزركلي (٤/ ٢٤٨).

(٧) أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب (الهجرة) ، باب (يأ أيها الذين آمنوا نزل بالمدينة ...) حديث رقم (٤٣٥٤)..

(٨) عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي، أبو عبد الله المعروف بابن الفرس: قاض أندلسي، من علماء غرناطة ولي

وغيرهما – عن هذا الضابط -: (هو في: "يا أيها الذين آمنوا"صحيح وأما: "يا أيها الناس" فقد يأتي في المدني)[١].

الثالث: باعتبار زمن النزول فالمكي على هذا الاعتبار: ما نزل قبل الهجرة، ولو لم يكن في مكة، والمدني: ما نزل بعد الهجرة، ولو لم يكن في المدينة.

فكل ما نزل قبل وصوله صلى الله عليه وسلم في مهاجره إلى المدينة فهو مكي، وما بعده مدني، فقد ساق أبو عمرو الداني بسنده عن يحيى بن سلام قال ما نزل بمكة وما نزل بطريق المدينة قبل أن يبلغ النبي المدينة فهو من المكي وما أنزل على النبي في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني[٢].

وهذا القول أقرب الأقوال الثلاثة إلى الدقة والضبط والإحاطة لآيات القرآن قال عنه السيوطي في الإتقان: (أشهرها)[٣]، أي : أشهر الأقوال الثلاثة في تعريف المكي والمدني، وقد درج على هذا المصطلح واعتمده كثير من المحققين قديماً وحديثاً

= القضاء بجزيرة شقر، ثم في وادي آش، ثم في جيان، وأخيرا بغرناطة، وجعل إليه النظر في الحسبة والشرطة، له تآليف، منها " كتاب أحكام القرآن " توفي سنة ٥٥٩٩. الأعلام للزركلي (٤/ ١٦٨).

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٦٨).

(٢) البيان في عد آي القرآن (ص: ١٣٢).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٧).

فقد نقل هذا القول عن ابن عطية[١]، وابن كثير[٢]، والبقاعي[٣][٤]، والزركشي[٥]،وغيرهم رحمة الله عليهم.

(١) تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ١٤٣).

(٢) فضائل القرآن لابن كثير (ص: ٣٧).

(٣) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط – بضم الراء وتخفيف الباء – بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق، له (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران) أربع مجلدات، و (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) سبع مجلدات، يعرف بمناسبات البقاعي أو تفسير البقاعي، توفي سنة ٨٨٥هـ. الأعلام للزركلي (١/ ٥٦).

(٤) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١/ ١٦١).

(٥) البرهان في علوم القرآن (١/ ١٨٧).

الأمر الثاني : فائدة معرفة المكي والمدني في القرآن:

يعد المكي والمدني من الموضوعات المهمة في علوم القرآن، والتي لها تأثير مباشر في فهم سياق الآيات، وترجيح الأقوال عند اختلافها في تفسير الآية، ومن تلك الفوائد:

١ / معرفة الناسخ والمنسوخ: فالمتأخر ينسخ المتقدم، ولتحديد المكي من المدني من الآيات تأثير كبير في تحديد ذلك، روى مسلم بسنده عن سعيد بن جبير[١]، قال : قلت لابن عباس: ألمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة ؟ قال : لا، قال : فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان "والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق" إلى آخر الآية، قال : هذه آية مكية نسختها آية مدنية "ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا"[٢] فنجد ابن عباس رضي الله عنهما دعم قوله هنا في عدم توبة القاتل عمداً بتحديد المكي والمدني من الآيتين الكريمتين، قال الحارث المحاسبي في كلامه عن الناسخ والمنسوخ: (فأول ذلك معرفة السور المكية والمدنية ليعرف أن ما فيها من الأمر والأحكام نزل بمكة أو بالمدينة فإذا اختلف كان الذي نزل بالمدينة هو الناسخ لأنه الآخر في النزول)[٣].

٢ / معرفة مكية الآية أو السورة من مدنيتها يعين على فهم كلام الله تعالى: فمعرفة مكان نزول الآية

---

(١) سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعيّ، كان أعلمهم على الإطلاق، وهو حبشي الأصل، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر، ثم كان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيدا، توفي سنة ٩٥ه. الأعلام للزركلي (٣/ ٩٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (التفسير) (٢٤٢/٨) حديث رقم (٧٧٣٠).

(٣) فهم القرآن (ص: ٣٩٤).

له أثر جلي في فهم الآية وتحديد مدلولها، وقد حرَّص المحققون في علم تفسير القرآن وعلومه على ضرورة ضبط مبحث المكي والمدني وكل ما يتعلق به قبل الخوض في بيان مراد الله تعالى من الآية أو السورة، فقد ساق الخطيب البغدادي[١] في كتابه الفقيه والمتفقه بسنده عن الشافعي[٢] رحمه الله أنه قال: (لا يحل لأحد يفتي في دين الله إلا رجلا عارفا بكتاب الله: بناسخه ومنسوخه وبمحكمه ومتشابهه ، وتأويله وتنزيله ، ومكيه ومدنيه ، وما أريد به ، وفيما أنزل ، ثم يكون بعد ذلك بصيرا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالناسخ والمنسوخ ، ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن ، ويكون بصيرا باللغة ، بصيرا بالشعر ، وما يحتاج إليه للعلم والقرآن ، ويستعمل مع هذا الإنصاف ، وقلة الكلام ، ويكون بعد هذا مشرفا على اختلاف أهل الأمصار ،ويكون له قريحة بعد هذا ، فإذا كان هذا هكذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام ، وإذا لم يكن هكذا فله أن يتكلم في العلم ولا يفتي

(١) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب: أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين، مولده في (غزية) – بصيغة التصغير – منتصف الطريق بين الكوفة ومكة، ومنشأه ووفاته ببغداد، رحل إلى مكة وسمع بالبصرة والدينور والكوفة وغيرها، كان فصيح اللهجة عارفا بالأدب، يقول الشعر، ولوعا بالمطالعة والتأليف، ذكر ياقوت أسماء ٥٦ كتابا من مصنفاته، من أفضلها (تاريخ بغداد) أربعة عشر مجلدا، ومن كتبه (الجامع، لأخلاق الراويّ وآداب السامع)، توفي سنة ٤٦٣ه. الأعلام للزركلي (١/ ١٧٢).

(٢) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعية كافة، ولد في غزة (بفلسطين) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وزار بغداد مرتين، وقصد مصر سنة ١٩٩ فتوفي بها، قال المبرد: كان الشافعيّ أشعر الناس وآدبهم وأعرفهم بالفقه والقرآت، وقال الإمام ابن حنبل: ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي في رقبته منه، وكان من أحذق قريش بالرمي، يصيب من العشرة عشرة، برع في ذلك أولا كما برع في الشعر واللغة وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث، وأفتى وهو ابن عشرين سنة، وكان ذكيا مفرطا، له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب (الأم) في الفقه، سبع مجلدات، ومن كتبه (المسند) في الحديث، و (الرسالة – ط) في أصول الفقه توفي سنة ٢٠٤ه. الأعلام للزركلي (٦/ ٢٦).

)[١]، ونقل السيوطي في الإتقان عن أبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري[٢] أنه قال: من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة والمدينة وما نزل بمكة وحكمه مدني وما نزل بالمدينة وحكمه مكي و....وعد جملة من أوجه المكي والمدني ثم قال: فهذه خمسة وعشرون وجها من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى)[٣].

٣ / ظهور بلاغة القرآن في أعلى مراتبها: حيث يخاطب كل قوم بما تقتضيه حالهم من قوة وشدة، أولين وسهولة، وهذا يتضح جلياً حين ننظر في خصائص المكي والمدني من حيث الأسلوب، ومراعاة حال المخاطب، فالمعاند المكذب المعرض يخاطب – في الجملة – بعبارة موجزة، قوية الإيقاع، يكثر فيها من الإقسام والتوكيد إلى غير ذلك من خصائص الآيات والسور المكية، بخلاف المؤمن الموقن المصدق فإنه يخاطب – في الجملة – بأسلوب هين سهل قائم على التذكير بالفضل والترغيب في القرب من الله تعالى ونيل رضاه.

٤ / ظهور حكمة التشريع في أسمى غاياته: حيث يتدرج شيئاً فشيئاً بحسب ما تقتضيه حال المخاطبين واستعدادهم للقبول والتنفيذ، ولعل أثر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند البخاري يجلّي هذه الفائدة بوضوح فقد روى البخاري رحمه الله بسنده عن يوسف بن ماهك،

---

(١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٣٣١-٣٣٢).

(٢) الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب، أبو القاسم النيسابوريّ: أديب، واعظ، مفسر، صاحب (عقلاء المجانين–ط) صنف في القرآت والتفسير والأدب. وتناقل الناس تصانيفه، توفي سنة ٥٤٠٦. الأعلام للزركلي (٢/ ٢١٣).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٦).

قال: إني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، إذ جاءها عراقي، فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك، وما يضرك؟ " قال: يا أم المؤمنين، أريني مصحفك؟ قالت: لم؟ قال: لعلي أولف القرآن عليه، فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيّهُ قرأت قبل؟ " إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدا، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب: " بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر"[١] وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده "، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السور)[٢]

٥ / الثقة المطلقة في حفظ الله تبارك وتعالى لهذا القرآن الكريم: فإن العناية التامة التي حظي بها القرآن الكريم وما يتعلق به – ومن ذلك علم مكان وجهة نزوله – لتزيد المؤمن يقيناً بقوله تعالى﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٣]، وقد مرَّ معنا آنفاً أثر ابن مسعود رضي الله عنه، وهو واحد من جيل مبارك كان الاعتناء بالقرآن الكريم من أعظم ما يميزهم، مر معنا كيف يقسم رضي الله عنه على دقيق علمه بمكان نزول كل آية، وسورة من كتاب الله تعالى، وفيم أنزلت، وهذه الفائدة تقودنا إلى التي تليها.

(١) سورة القمر: ٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (فضائل القرآن) باب (تأليف القرآن) حديث رقم (٤٩٩٣).

(٣) سورة الحجر: ٩.

٦ / في الوقوف على هذا الحصر الدقيق لمكية كل آية أو مدنيتها ليوضح لنا قدر الجهد العظيم الذي بذله أسلافنا الكرام رضوان الله عليهم في خدمة هذا القرآن العظيم، وقد بلغت عنايتهم به أعلى مراتب الكمال حين ضبطوا كل ما يتعلق به من علم، ومن ذلك مكان نزوله، ووقت نزوله على وجه التفصيل، حتى بينوا ما نزل منه صيفاً وما نزل شتاء، وما نزل ليلاً وما نزل نهاراً، وما نزل حضراً وما نزل سفراً.

الأمر الثالث : المكي والمدني في السورة:

نقل ابن عطية رحمه الله الإجماع على مدنيتها كلها فقال: هي مدنية بإجماع المفسرين[١]، وممن نقل الإجماع ابن الجوزي رحمه الله فقال: هي مدنيّة كلّها بإجماعهم[٢]، كما نقله القرطبي رحمه الله أيضاً فقال: مدنية في قول الجميع[٣].

وبالنظر لاعتبارات تعريف المكي والمدني الثلاثة، وهي:

اعتبار المكان، والزمان، والمخاطب، نجد أن سورة الممتحنة مدنية بكل الاعتبارات فمكان نزولها المدينة، وزمن نزولها بعد الهجرة، وخطاباتها موجهة لأهل الإيمان، فتكون السورة بكل الاعتبارات مدنية، وما نقل عن بعض المفسرين أن أولها نزل يوم الفتح يجيب عنه الألوسي[٤] رحمه الله بقوله:(وذكر بعضهم أن أولها نزل يوم فتح مكة فكونها مدنية إما من باب التغليب أو مبني على أن المدني ما نزل بعد الهجرة)[٥].

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٢٦٧).
(٢) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٢٦٦).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٤٩).
(٤) محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا، من كتبه (روح المعاني) في التفسير، تسع مجلدات كبيرة، و (نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول) رحلته إلى الآستانة، و (نشوة المدام في العود إلى دار السلام) توفي سنة ١٢٧٠هـ. الأعلام للزركلي (٧/ ١٧٦).
(٥) روح المعاني (١٤/ ٢٥٩).

المطلب الثاني: وجه اختصاص السورة بما اختصت به من موضوعات ومحاور

جاءت سورة الممتحنة في أسلوبها وخصائصها وموضوعاتها على النسق العام الذي تأتي عليه السور المدنية في الجملة من الحديث عن العبادات، والمعاملات، ونظام الأسرة، والصلات الاجتماعية، والعلاقات بين أهل الإسلام وأعدائهم في السلم والحرب، وكذلك تميزها بطول آياتها ومقاطعها في أسلوب يقرر الشريعة الإسلامية، ويوضح أهدافها[1]، ومع ذلك فقد تميزت السورة بحكم نزولها في فترة حرجة يتمايز فيها الإسلام وأهله عن الكفر وأهله من كل جانب، خصوصاً جانب العلاقات، والصلات، وتبادل المنافع والمصالح، فتميزت السورة بما يلي:

١ / تعد السورة الوحيدة التي بدأت بالنهي عن أمر بين واضح، وانتهت بالنهي عن ذات الأمر، لقد بدأت السورة بالنهي عن موالاة الكفار، من أهل الشرك وعبدة الأوثان، واتخاذهم أهل ود وصلة، وهم ينابذوننا العداء﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ

(١) الموسوعة القرآنية خصائص السور (٣/ ٦) .

وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[١]، وانتهت بالتأكيد على النهي عن موالاة الكفار من أهل الكتاب المغضوب عليهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾[٢].

٢ / ولعظم أمر موالاة الكفار وخطورته بدأت هذه السورة الكريمة بهذا النداء الإيماني " يا أيها الذين آمنوا " الآخذ بمجامع القلوب، الحاث لها على سرعة الاستجابة والإذعان، واختتمت به، يقول سيد قطب[٣] رحمه الله: وفي الختام يجيء هذا الإيقاع العام: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَما يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحابِ الْقُبُورِ» يجيء هتافا للذين آمنوا باسم الإيمان، وبالصفة التي تميزهم عن سائر الأقوام، إذ تصلهم بالله وتفصلهم عن أعداء الله، وهو هتاف يتجمع من كل إيقاعات السورة واتجاهاتها. فتختم به كما بدأت بمثله، ليكون هو الإيقاع الأخير الذي تترك السورة أصداءه في القلوب[٤].

---

(١) سورة الممتحنة: ١.

(٢) سورة الممتحنة: ١٣ .

(٣) سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط. تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٣٥٣ هـ وعمل في جريدة الأهرام. وكتب في مجلتي (الرسالة) و (الثقافة)، انضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها، ومن كتبه (مشاهد القيامة في القرآن) و (الإسلام ومشكلات الحضارة) و (المستقبل لهذا الدين) و (في ظلال القرآن) و (معالم في الطريق) وفي عام ١٣٨٧هـ قدم رحمه الله للمحاكمة ظلماً وعدواناً ، وحكم عليه بالإعدام، فقال لما وضع على حبل المشنقة (رب إني مغلوب فانتصر) توفي سنة ١٣٨٧هـ. الأعلام للزركلي (٣/ ١٤٧) ، مشاهير أعلام المسلمين (٢/٤٠).

(٤) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٤٨) بتصرف.

٣ / وعلى القول بصحة ترتيب نزول سور القرآن، تكون سورة الممتحنة أول سورة نزلت مصدرة بالنداء الإيماني " يا أيها الذين آمنوا " فسورة المائدة نزلت بعد الحديبية بمدة[١]، وسورة الحجرات نزلت سنة تسع[٢].

٤ / ولنزول السورة في أعقاب الحديبية، وما صاحبها من بنود المعاهدة بين النبي صلى الله عليه وسلم والمشركين، تفردت السورة بالحديث عمن هاجر من المؤمنات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وامتحانهن في مقصد هجرتهن، روى ابن جرير في تفسيره بسنده عن أبي نصر الأسدي، قال: سئل ابن عباس رضي الله عنهما: كيف كان امتحان رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء؟ قال: كان يمتحنهن بالله ماخرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله)[٣].

٥ / كما اختصت ببيان أحكام الزواج من المهاجرات، وعلاقتهن بأزواجهن السابقين، وعلاقة من فرت من زوجها المؤمن بالمدينة، ورجعت إلى مكة.

٦ / ومما اختصت به السورة الحديث عن بيعة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء، فقد رغبن في مبايعته ومعاهدته، فبين الله صيغة المبايعة، وما يترتب عليها.

(١) التحرير والتنوير (٦ / ٦٩).
(٢) التحرير والتنوير (٢٦ / ٢١٣).
(٣) تفسير الطبري جامع البيان (٢٢/ ٥٧٥).

المبحث السادس

مقاصد السورة

* * * * * *

مقاصد السورة

العلم بمقاصد السور، كغيره من العلوم والمصطلحات الحادثة، لم ينص عليه الأوائل، وإن كان موجوداً في ثنايا كلامهم ، مقرراً في معرض تعليمهم وروايتهم للعلم، قال البقاعي رحمه الله: وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا، بما في سليقتهم من أفانين العربية، ودقيق مناهج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية، ثم تناقص العلم حتى انعجم على الناس، وصار إلى حد الغرابة كغيره من الفنون[١].

وثمة أمور تؤكد أن لكل سورة مقصداً، أو أكثر من مقصد سيقت لأجله، ومن ذلك: دلالة تسمية مجموعة الآيات المترابطة (سورة) فهذا يعني أنها بمثابة سور يحيط بموضوع معين ، قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: (السورة قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران ، مسماة باسم مخصوص ، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تام ترتكز عليه معاني آيات تلك السورة ، ناشئ عن أسباب النزول ، أو عن مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة)[٢]، ومن دلائل مقاصد السور: أسماؤها فاسم السورة يرمز للمعنى الذي سيقت لأجله، قال البقاعي رحمه الله: (وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١/ ١٥٣).
(٢) التحرير والتنوير ـــ الطبعة التونسية (١/ ٨٤).

عنـــوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه)[١]، ويقول ابن القيم[٢] رحمه الله: (لما كانت الأسماء قوالب للمعاني، ودالة عليها، اقتضت الحكمة أن يكون بينها وبينها ارتباط وتناسب، وأن لا يكون المعنى معها بمنزلة الأجنبي المحض الذي لا تعلق له بها، فإن حكمة الحكيم تأبى ذلك، والواقع يشهد بخلافه)[٣]. ومن دلائل مقاصد السور: نزول القرآن منجماً مفرقاً حسب الوقائع والأحداث، فهذا يدل دلالة واضحة على مقاصد تحويها الآيات والسور حيث نزلت في وقت احتياج، يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[٤]

وعامة إشارات العلماء المتقدمين لمصطلح مقاصد القرآن كانت متجهة إلى الدلالة على المحاور الكبرى، والقضايا الأساسية التي دارت عليها سور القرآن، وآياته، كقول أبي حامد الغزالي[٥]

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور - العلمية (١/ ١١).

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الّذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا بالعصى. وأطلق بعد موت ابن تيمية. وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عددا عظيما، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا. وألّف تصانيف كثيرة منها (إعلام الموقعين) و (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) و (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) توفي رحمه الله سنة ٧٥١ه. الأعلام للزركلي (٦/ ٥٦) .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٣٠٧).

(٤) سورة الفرقان: ٣٢.

(٥) محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: له نحو مئتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته، نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غَزَالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف، من كتبه (إحياء علوم الدين) أربع مجلدات، و (تهافت ⇦=

رحمه الله: (سر القرآن، ولبابه الأصفى، ومقصده الأقصى، دعوة العباد إلى الجبار الأعلى، رب الآخرة والأولى، خالق السماوات العلى، والأرضين السفلى، وما بينهما وما تحت الثرى)[١]، وقول البقاعي رحمه الله في بيان سبب تسمية الفاتحة أم القرآن: (لأنها اشتملت على جميع مقاصده، بحيث إنه ما من شيء من مقاصده إلا وهو تابع لها، فهي له أصل، كما قاله العلماء)[٢]، وقول الألوسي رحمه الله: (إن مقاصد القرآن صفاته تعالى والنبوات والأحكام والمواعظ)[٣]، ومن هنا عرَّف عبد الكريم حامدي[٤] مقاصد القرآن بأنها: (الغايات التي أنزل لأجلها تحقيقاً لمصالح العباد)[٥][٦].

وحين نتأمل هذه السورة الكريمة نجد أن من أول وأولى مقاصدها وغاياتها: التأكيد على البراءة التامة من الشرك وأهله، وتجريد القلب لله تعالى.

ومن مقاصدها: بيان خطورة مسلك موالاة الكفار، وبيان مآل ذلك، بأنهم لو تمكنوا من أهل الإيمان لبالغوا في أذاهم، والنيل منهم قال تعالى: ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾[٧] قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: اشتملت من

الفلاسفة) و (الاقتصاد في الاعتقاد) توفي سنة ٥٠٥هـ. الأعلام للزركلي (٧/ ٢٢).

(١) جواهر القرآن (ص: ٢٣).

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١/ ٤٧٣).

(٣) تفسير الألوسي = روح المعاني (١٥/ ٤٨٥).

(٤) في كتابه مقاصد القرآن من تشريع الأحكام .

(٥) مقاصد القرآن من تشريع الأحكام (ص ٢٩).

(٦) حرر مصطلح مقاصد القرآن: الدكتور مسعود بودوخة، في مقدمة بحثه(جهود العلماء في اسنباط مقاصد القرآن) .

(٧) سورة الممتحنة: ٢.

الأغراض على تحذير المؤمنين من اتخاذ المشركين أولياء مع أنهم كفروا بالدين الحق وأخرجوهم من بلادهم، وإعلامهم بأن اتخاذهم أولياء ضلال وأنهم لو تمكنوا من المؤمنين لأساؤوا إليهم بالفعل والقول(١).

ومن مقاصدها: تصفية نفوس أهل الإيمان، وتجريد قلوبهم لله سبحانه وبحمده، بتقوية رابطة الإيمان والتقوى بينهم، وإذابة كل وشيجة ووسيلة غيرهما ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٢) يقول سيد رحمه الله: (إن العالم الذي يريده الإسلام عالم رباني إنساني، رباني بمعنى أنه يستمد كل مقوماته من توجيه الله وحكمه، ويتجه إلى الله بكل شعوره وعمله، وإنساني بمعنى أنه يشمل الجنس الإنساني كله – في رحاب العقيدة – وتذوب فيه فواصل الجنس والوطن واللغة والنسب، وسائر ما يميز إنسانا عن إنسان، عدا عقيدة الإيمان، وهذا هو العالم الرفيع اللائق أن يعيش فيه الإنسان الكريم على الله، المتضمن كيانه نفحة من روح الله)(٣)

ومن مقاصدها: إبراز جانب القدوة الحسنة الصالحة، من خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام والعصبة المؤمنة معه، في مبدأ الولاء والبراء قال الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ

(١) التحرير والتنوير ـــ الطبعة التونسية (٢٨/ ١٣١).
(٢) سورة الممتحنة: ٣ .
(٣) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٣٧).

ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1] يقول الدكتور وهبة الزحيلي: (وأعقبت ذلك بضرب الأمثال بقصة إبراهيم ومن معه من المؤمنين، وتبرؤهم من قومهم المشركين، ليتخذ المؤمن أبا الأنبياء إبراهيم خليل الرحمن قدوة وأسوة طيبة)[2]، ويقول سيد رحمه الله: (ثم تأتي الجولة الثالثة فتصل المسلمين بأول هذه الأمة الواحدة: أمة التوحيد، وهذه القافلة الواحدة: قافلة الإيمان، فإذا هي ممتدة في الزمان، متميزة بالإيمان، متبرئة من كل وشيجة تنافي وشيجة العقيدة.. إنها الأمة الممتدة منذ إبراهيم أبيهم الأول وصاحب الحنيفية الأولى، وفيه أسوة لا في العقيدة وحدها، بل كذلك في السيرة، وفي التجارب التي عاناها مع عاطفة القرابة ووشائجها ثم خلص منها هو ومن آمن معه، وتجرد لعقيدته وحدها)[3].

وبالتأمل في اسم السورة (الممتحنة) واسمها (الامتحان) يتضح أن من المقاصد التي سيقت لأجلها – والعلم عند الله – إبراز جانب الامتحان، لتمحيص الإيمان، وإثبات الانقياد للأمر والنهي، ففي السورة ما يقارب الخمس امتحانات، فقد امتحن الصحابي الجليل البدري حاطب رضي الله عنه، كما امتحن في الولاء والبراء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام والمؤمنون معه، وجعل الله نبأ امتحانهم معلماً من معالم القدوة الطيبة، والتأسي الحسن، كما امتحن أهل الإيمان وقد امتلأت

(١) سورة الممتحنة: ٤
(٢) التفسير المنير للزحيلي (٢٨/ ١١٦).
(٣) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٤٢).

قلوبهم بغضاً للكفر وأهله، امتحنوا في العدل والإنصاف والبر والإحسان مع الكافر غير المقاتل، كما امتحن المؤمنات المهاجرات المفارقات ديارهن وأزواجهن، أن لا يكنَّ خرجن بغضاً لزوج، أو طمعاً في دنيا، كما امتحن المؤمنات المبايعات لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بعهود ومواثيق يجب عليهن الالتزام بهن، والمحافظة عليهن، حتى يحظين بعفو الله، ويفزن باستغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول الفيروزآبادي في معرض حديثه عن مقاصد السورة: (....وامتحان المدّعين بمطالبة الحقيقة)[١].

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٤٦٠).

المبحث السابع

الوحدة الموضوعية للسورة

* * * * * *

الوحدة الموضوعية للسورة

يعنى مصطلح الوحدة الموضوعية بتحديد المحور الأساس الذي تدور عليه، موضوعات السورة، والغاية التي ترمي إليها.

وبالنظر لسورة الممتحنة نجد أن مقصدها الأعظم الذي سيقت لأجله، وانتظم خطابها ببيانه، وتناسقت آياتها لتأكيده هو:

البراءة التامة من الشرك وأهله، وقطع كل صلة مهما عظمت، متى تعارضت مع تحقيق الإيمان بالله، والتجرد لعبوديته تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1]، قال البقاعي رحمه الله: (مقصودها براءة من أقر بالإيمان ممن اتسم بالعدوان دلالة على صحة مدعاه كما أن الكفار تبرؤوا من المؤمنين وكذبوا بما جاءهم من الحق لئلا يكونوا على باطلهم أحرص من المؤمنين على حقهم)[2]، وإن النظر في سياق هذه السورة الكريمة ليبرز هذا المقصد جلياً، فقد سبقت الإشارة إلى اختصاصها بالبدء بالنهي عن موالاة الكفار، من الوثنين وعباد الأصنام، واختتامها بالنهي عن موالاة الكفار من أهل الكتاب.

(١) سورة الممتحنة: ١ .

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور - العلمية (٧/ ٥٤٧).

المبحث الثامن

مناسبات السورة الكريمة

وفيــه أربعة مطالــب: -

- المطلب الأول: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.
- المطلب الثاني: مناسبة اسم السورة لموضوعها.
- المطلب الثالث: مناسبة فاتحة السورة لموضوعها.
- المطلب الرابع: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.

* * * * * *

المطلب الأول: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

وفيه ثلاثة أمور :

الأمر الأول : الفائدة من معرفة المناسبات بين السور والآيات .

لقد عني المحققون من أهل العلم قديماً وحديثاً بعلم المناسبات، وهم يرونه من أهم ما يتعلق بتفسير القرآن من علوم، ومن خلال نقولهم نقف على بعض فوائد هذا العلم النفيس:

١ / النظر في سياق الآيات والسور، وتناسق بعضها ببعض يفيد كثيراً في فهم المراد من كلام الله تعالى، خصوصاً في الآيات التي يرتبط معنى بعضها ببعضها الآخر، فالكلام لا يفهم بصورة متكاملة حتى ينظر فيما قبله وفيما بعده في السياق، وقد كان هذا الأمر محل عناية لدى السلف الأول رضوان الله عليهم، فقد روى أبو عبيد القاسم بن سلام بسنده عن عبد الله بن مسلم بن يسار، عن أبيه مسلم[١] قال: (إذا حدثت عن الله حديثا فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده)[٢]، وروى عبد الرزاق[٣] في مصنفه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إذا سأل أحدكم صاحبه: كيف يقرأ آية كذا وكذا، فليسأله عما قبلها)[٤].

---

(١) مسلم بن يسار الأموي بالولاء، أبو عبد الله: فقيه، ناسك من رجال الحديث. أصله من مكة. سكن البصرة، فكان مفتيها، وتوفي فيها، سنة ١٠٨ه . الأعلام للزركلي (٧/ ٢٢٣).

(٢) فضائل القرآن للقاسم بن سلام (ص: ٣٧٧).

(٣) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري: الحافظ الكبير، عالم اليمن، أبو بكر الحميري، مولاهم، الصنعاني، الثقة، ارتحل إلى الحجاز، والشام، والعراق، وسافر في تجارة، توفي في شوال، سنة إحدى عشرة ومائتين.

(٤) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه كتاب (صلاة العيدين) باب (تعاهد القرآن ونسيانه) حديث رقم (٥٩٨٨).

٢ / إن النظر، والتأمل في علم المناسبات، يساعد في إدراك المقصد من ترتيب آيات القرآن، وسوره، ذلكم الترتيب المعجز في بلاغته، المفحم في نظمه وتناسقه، وقال الزركشي رحمه الله: (واعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول...وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء)[١].

٣ / يعد علم المناسبات من أعظم ما يدل على عظمة كلام الله تعالى، وحسن نظمه، وتناسق ترتيبه، وأن ذلك مما لا مجال للبشر فيه، قال الفخر الرازي[٢] رحمه الله: (ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور، وليس الأمر في هذا الباب كما قيل: والنجم تستصغر الأبصار رؤيته ... والذنب للطرف لا للنجم في الصغر)[٣].

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٦).

(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ: الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته،، أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه (مفاتيح الغيب) ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم، و (لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات) و (معالم أصول الدين) وتوفي في هراة سنة ٦٠٦ه . الأعلام للزركلي (٦/ ٣١٣).

(٣) تفسير الرازي (٧/ ١٠٧).

٤ / يعد علم المناسبات سبباً لزيادة الإيمان، واليقين بالله تعالى، لأن الناظر في المناسبات بين الآيات والسور، سيقف على صور من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وذلك له أثر في زيادة الإيمان بالله تعالى، واليقين به ولا شك.

٥ / وفي التأمل في المناسبات بين آيات القرآن وسوره، نوع تدبر لكلام الله تعالى، وفي ذلك استجابة لأمر الله تعالى وحثه على تدبر كتابه في أكثر من موضع من كتابه، كقوله تعالى:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1]،

وكقوله جل جلاله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [2].

الأمر الثاني: مناسبة السورة لما قبلها.

وسأقتصر على أوجه المناسبات الظاهرة، والمبنية على نظر صحيح مقبول، بعيداً عن التكلف الذي شنَّع عليه جمع من أئمة السلف والخلف[3].

لما ذكر سبحانه في سورة الحشر الموالاة بين المؤمنين، في موالاة الأنصار للمهاجرين، وموالاة من جاء بعدُ من المؤمنين لمن سبقه من أهل الإيمان ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

(١) سورة ص: ٢٩.

(٢) سورة محمد: ٢٤.

(٣) انظر البرهان (١ / ٣٧) كلام العز بن عبد السلام رحمه الله، وانظر فتح القدير للشوكاني (١ / ٧٢).

خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (١)

وذكر سبحانه في سورة الحشر موالاة المنافقين لليهود، وسعيهم الحثيث في الجدال عنهم، والنصرة لهم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (٢) ، ناسب أن يحذر المؤمنين في سورة الممتحنة من مزلق موالاة الكفار، قال أبو حيان(٣): ومناسبة هذه السورة لما قبلها : أنه لما ذكر فيما قبلها حالة المنافقين والكفار ، افتتح هذه بالنهي عن موالاة الكفار والتودّد إليهم(٤)، ويشير الدكتور وهبة الزحيلي(٥) إلى ملمح آخر في

---

(١) سورة الحشر: ٩ – ١٠ .

(٢) سورة الحشر: ١١ .

(٣) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حَيَّان الغرناطي الأندلسي الجياني، النِّفْزي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة، وتوفي فيها، بعد أن كف بصره، واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه، من كتبه (البحر المحيط – ط) في تفسير القرآن، ثماني مجلدات، توفي سنة٧٤٥ ه . الأعلام للزركلي (٧/ ١٥٢).

(٤) البحر المحيط في التفسير (٨/ ٢٥٠).

(٥) الأستاذ الدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، من مواليد بلدة دير عطية من نواحي دمشق عام ١٩٣٢م، عين مدرساً بجامعة دمشق١٩٦٣، ثم أستاذاً مساعداً١٩٦٩ ، ثم أستاذاً١٩٧٥، له عشرات الكتب بين ـــاليف وتحقيق في فنون شتى منها: التفسير المنير، الوسيط في الفقه الإسلامي، التفسير الوجيز.

مناسبة سورة الممتحنة لسورة الحشر قبلها فيقول: (كانت سورة الحشر في المعاهدين من أهل الكتاب، وهذه السورة للمعاهدين من المشركين، لأنها نزلت في صلح الحديبية، فالسورتان تشتركان في بيان علاقات المسلمين مع غيرهم)[١].

الأمر الثالث: مناسبة السورة لما بعدها .

لقد تضمنت سورة الممتحنة بياناً شافياً، في علاقة المؤمن بعدو الله وعدوه، وقد امتحن في ذلك امتحاناً عظيماً، فناسب – والعلم عند الله – أن تأتي سورة الصف مؤكدة لما أتى في سورة الممتحنة، وأن تترجم شعيرة الولاء والبراء إلى فعال يعيشونها، لا مجرد أقوال لا رصيد لها من وقع الفعل، يقول عبد الكريم الخطيب[٢] رحمه الله: كانت السورة السابقة «الممتحنة» حديثا متصلا إلى المؤمنين، وما ينبغى أن يكون عليه موقفهم من المشركين، والذين يكيدون للإسلام والمسلمين، وأن هذا الموقف يقتضيهم أن يقطعوا ما بينهم وبين هؤلاء وهؤلاء من صلات القربى والمودة، وأن يجعلوا ولاءهم خالصا لدين الله والمؤمنين بالله- وهذه حال من شأنها أن تكشف عن ضعف بعض النفوس التي لا تحتمل هذه التجربة، ولا تصبر على هذا الامتحان، وهنا تكثر الأقوال التي يدّعى أصحابها

(١) التفسير المنير للزحيلي (٢٨/ ١١٥).

(٢) مفكر إسلامي معاصر، وهو باحث معروف، ومفسر ضليع، واسمه الكامل عبد الكريم محمود يونس الخطيب ، ولد في السابع عشر من مارس (مايو) ١٩١٠م (١٣٢٨هـ)، في قرية الصوامعة غرب التابعة لمركز طهطا بمديرية جرجا، محافظة سوهاج من صعيد مصر، كان عذب الحديث، رقيق الحاشية، صافي الذهن والقريحة، رضي النفس، سمح الخلق، متواضعا، عازفا عن الشهرة، بعيدا عن الزهو، من كتبه: القصص القرآني- التعريف بالإسلام في مواجهة العصر- الحدود في الإسلام- اليهود في القرآن، توفي في صف ١٤٠٦ه.انظر تتمة الأعلام (١ / ٣١٧).

دعاوى تحدّث عن موقفهم من المشركين، والمنافقين، على حين أن حالة أفعالهم أو ما فى قلوبهم، تخالف هذه الأقوال.. فكان أن بدأت سورة (الصف) بالتسبيح بحمد الله الذي هدى المؤمنين إلى الإيمان، ثم ببيان المنهج الذي ينهجه المؤمنون، كى يبقى هذا الإيمان سليما قوبا فى صدورهم..

وأساس هذا المنهج هو الأفعال لا الأقوال.. الأفعال التي تصدر عن قلب مؤمن، وعن مشاعر مستجيبة لهذا الإيمان، لا الأقوال التي لا يصدّقها العمل، ولا يزكيها الإيمان.. «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ» ..وهكذا تبدأ سورة «الصفّ» فتتصل هذا الاتصال الوثيق بسورة «الممتحنة» قبلها)[1]، كما أن بين النهي عن موالاة الكفار، ومبادأة المقاتلين منهم بالمودة – وهذا ما تضمنه سورة الممتحنة – وبين الأمر يقتالهم، والوقوف صفاً واحداً في مواجهتهم، والترغيب في ذلك والحظ عليه – وهو ما تضمنته سورة الصف – علاقة وتناسباً ظاهراً، والعلم عند الله، وقد ألمح عبد الله الغماري إلى هذا الملمح فقال: (ختم الله السورة السابقة – يعني سورة الممتحنة – كما بدأها بالنهي عن موالاة الكفار...فناسب أن يحض هنا – أي في سورة الصف – على قتالهم لنصرة دينه، وإعلاء كلمته)[2].

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٩١٤).

(٢) جواهر البيان في تناسب سور القرآن (ص ١١٩).

المطلب الثاني: مناسبة اسم السورة لموضوعها

سبق معنا في تحرير اسم السورة أن لها ثلاثة أسماء الأول منها: الممتحنة، وضبط بفتح الحاء، وضبط بكسرها، والثاني منها: الامتحان، والثالث منها: المودة، وارتباط هذه المسميات بموضوع السورة الرئيس ومحورها، وهو تجريد القلب حباً وبغضاً لله تعالى ظاهر جلي[1]، فلقد امتحن الله تعالى عباده المؤمنين، في تجرد قلوبهم له سبحانه على مر التاريخ فذكرت السورة امتحان الله تعالى لخليله إبراهيم عليه السلام، والمؤمنون معه، في تجرد قلوبهم له جل جلاله، وقد أثبتوا صدق تجردهم له سبحانه، بقطع كل صلة ووشيجة لا تقوم على ما يرضي الله سبحانه، ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2]، كما امتحن الله تعالى عبده حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، فأظهر للمشركين مودة لغاية أرادها ومصلحة قصدها – وإن كان قلبه رضي الله عنه متجرداً لله في بغضهم والبراء منهم – فعتب الله عليه، وأنزل فيه قرآناً، يحذر من صنيعه رضوان الله عليه.

---

(١) يقول محمد سيد طنطاوي رحمه الله: هذا والمتأمل في هذه السورة الكريمة، يراها قد ساقت للمؤمنين ألوانا من التربية التي تغرس العقيدة السليمة في قلوبهم، وتجعلهم يضحون من أجلها بكل شيء، ويقدمونها في تصرفاتهم على محبة الآباء والأبناء والعشيرة والأموال. التفسير الوسيط لطنطاوي (١٤/ ٣١٨).

(٢) سورة الممتحنة: ٤.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (١)كما أمر الله تعالى المؤمنين بامتحان المؤمنات اللاتي هاجرن وتركن أزواجهن، ألا يكنَّ تركن ذلك طمعاً في دنيا، أوسخطاً على زوج ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ..... ﴾(٢).

وأما اسم المودة فارتباطه بمحور السورة من جهتين:

أولاهما: التحذير من إلقاء المودة للكفار علناً﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾(٣)، أو الإسرار إليهم بها﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ﴾(٤)، فذلك مخالف لما يريده الله تعالى من عبده من تجرد قلبه له، وعدم محبة ومودة من يبغضه الله تعالى كائناً من كان.

---

(١) سورة الممتحنة: ١ .

(٢) سورة الممتحنة: ١٠.

(٣) سورة الممتحنة: ١.

(٤) سورة الممتحنة: ١.

وثانيهما: أن الله تعالى، قد طمئن عباده، وأملَّهم - وقد علم صدقهم في قطع كل وشيجة أو صلة لا تقوم على محبته ومرضاته – فأملَّهم سبحانه بقرب فرجه بأن يشرح صدور من أمروا بقطيعتهم والبراء منهم من أعداء الله إلى الإسلام، فيزول ما بينهم من البغض والبراء، وينشيء الله بينهم المودة والمحبة القائمة على الدين ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

(١) سورة الممتحنة: ٧.

المطلب الثالث: مناسبة فاتحة السورة لموضوعها

تضمنت فاتحة السورة الكريمة النهي عن موالاة الكفار المتسمين بالعداوة الظاهرة لله تعالى ، وللمؤمنين، والتحذير من موادعتهم، وبيان منافاة ذلك للإيمان الصادق، والسعي الحثيث في طلب مرضاة الله تعالى، والتحذير من مغبة الإصرار على موالاتهم، وموادعتهم، وإظهار المودة لهم أو الاستسرار بها إليهم، وسوء عاقبة ذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [1]، ومناسبة هذا الاستهلال لموضوع السورة ظاهر جلي، فقد مر معنا أن موضوع السورة هو تجريد القلب حباً لله وبغضاً فيه تعالى، وقطع كل صلة أو وشيجة لا تقوم على مرضاة الله تبارك وتعالى، وهذا مقرر ومستوفى في مطلع السورة.

(١) سورة الممتحنة: ١.

المطلب الرابع: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها

إن مما امتازت به السورة عن غيرها، أنها افتتحت بالنهي عن موالاة الكفار﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ .... ﴾[١]، واختتمت بذات الأمر، وهو النهي عن موالاة الكفار﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾[٢]، فالمناسبة بين فاتحتها، وخاتمتها، أو ضح من أن توضح،يقول ابو حيان رحمه الله: (ولما فتح هذه السورة بالنهي عن اتخاذ الكفار أولياء ، ختمها بمثل ذلك تأكيداً لترك مولاتهم وتنفير المسلمين عن توليهم وإلقاء المودّة إليهم)[٣] يقول الشيخ عبد الحميد الفراهي رحمه الله: إني رأيت في ترتيب كلام الله وله الحمد على ما أراني أن الكلام ينجر من أمر إلى أمر وكله جدير بأن يكون مقصوداً، فيشفي الصدور ويجلو القلوب، ثم يعود إلى البدء فيصير كالحلقة، وإن من عادة العرب وفطرة البلاغة أن ينجر الكلام من أمر إلى آخر، ثم يعود إلى الأول أو الوسط وإذا كان المخاطب عالماً بأسباب الكلام عاقلاً له بقلبه لم يشكل عليه نظمه، ومن أمثلته في القرآن الكريم سورة الممتحنة حيث بدئت بقوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء" وختمت بقوله – تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور"[٤]، ويقول الغماري: (ختم الله سورة الممتحنة كما بدأها، بالنهي عن موالاة الكفار، وهو من المحسنات البديعة، يسميها أهل البلاغة : رد العجز على الصدر)[٥].

---

(١) سورة الممتحنة: ١.

(٢) سورة الممتحنة: ١٣.

(٣) البحر المحيط في التفسير (٨/ ٢٥٦).

(٤) دلائل النظام ص ٥٤ – ٥٥ .

(٥) جواهر البيان في تناسب سور القرآن (ص١١٩).

الفصل الثاني

الفصل الثاني

التناسق الموضوعي لموضوعات سورة الممتحنة

وفيه ستة مباحث: -

- **المبحث الأول: البراء من الكافرين** .(الآيات من ١-٣).
- **المبحث الثاني: نموذج سام للولاء والبراء** ، (الآيات من ٤-٧).
- **المبحث الثالث: قاعدة إسلامية في العلاقات الفردية والدولية** .(الآيتان ٨، ٩).
- **المبحث الرابع: قطع الوشيجة بين المؤمنة وزوجها الكافر** (الآيتان ١٠، ١١).
- **المبحث الخامس: مبايعة النساء على العقيدة ،ومقومات الحياة السعيدة** (الآية ١٢).
- **المبحث السادس: النهي عن موالاة اليهود** (الآية : ١٣).

* * * * * *

المبحث الأول

البراء من الكافرين. (الآيات من ١-٣)

وفيــه خمسة مطالــب: -

- المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.
- المطلب الثاني: سبب النزول.
- المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.
- المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.
- المطلب الخامس: ما ترشد إليه آيات الموضوع.

* * * * * *

البراء من الكافرين

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ ﴾ (١)

(١) سورة الممتحنة: ١ – ٣.

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

لقد انتظمت آيات هذا الموضوع في التحذير من موالاة الكفار، والحذر من مصانعتهم، وموادتهم، ببيان شدة عدائهم، وسعيهم بكل وسيلة، للإيقاع بالمؤمنين، واستهدافهم في أعز ما يملكون وهو دينهم، ولذا جاء التأكيد على ضرورة مقاطعتهم، والحذر من موالاتهم، ولو كانوا أقرب الأقربين، فإن تلك القرابة لن تنفعهم يوم العرض على الله تعالى.

وبالنظر لمجموع الآيات الكريمات الثلاث نلحظ أنها جاءت لتأكيد المقصد الأعظم في هذه السورة وهو: تجريد القلب لله تعالى حباً له وفيه، وبغضاً لمن كفر به، وقطع كل وشيجة وعلقة قائمة على محادة الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم..

المطلب الثاني: سبب النزول

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما – واللفظ للبخاري – من حديث علي رضي الله عنه، يقول: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير، والمقداد، فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ[١]، فإن بها ظعينة[٢] معها كتاب، فخذوه منها» قال: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا لها: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب، أو لنلقين الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها[٣]، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة، إلى ناس بمكة من المشركين، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا حاطب، ما هذا؟» قال: يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرأ ملصقا في قريش، يقول: كنت حليفا، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إنه قد صدقكم» ، فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: " إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ". فأنزل الله السورة: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق} إلى قوله {فقد ضل سواء

---

(١) موضع بين الحرمين بقرب حمراء الأسد من المدينة. معجم البلدان (٢/ ٣٣٥).

(٢) أصل الظعينة: الراحلة التي يرحل ويظعن عليها:أي يسار، وقيل للمرأة ظعينة، لأنها تظعن مع الزوج حيثما ظعن، أو لأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت. وقيل الظعينة: المرأة في الهودج، ثم قيل للهودج بلا امرأة، وللمرأة بلا هودج. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٥٧).

(٣) أي ضفائرها، جمع عقيصة أو عقصة، وقيل: هو الخيط الذي تعقص به أطراف الذوائب. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٧٦).

السبيل}[١]. وبهذا الحديث المتفق على صحته استدل جماهير المفسرين، فجعلوا قصة حاطب رضي الله عنه سبباً لنزول مطلع هذه السورة الكريمة، وقد عزا كل من الواحدي[٢] والبغوي[٣] هذا القول إلى عامة أهل التفسير[٤]، وقد جزم الطاهر بن عاشور رحمه الله باتفاق أهل التفسير على أن قصة حاطب رضي الله عنه سبباً لنزول مطلع هذه السورة الكريمة فقال: (اتفق المفسرون وثبت في (صحيح الأحاديث) أن هذه الآية نزلت في قضية الكتاب الذي كتب به حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العُزّى من قريش . وكان حاطب من المهاجرين أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومن أهل بدر)[٥] ، قال ابن جرير رحمه الله: (وذكر أن هذه الآيات من أول هذه السورة نزلت في شأن حاطب بن أبي بلتعة، وكان كتب إلى قريش بمكة يطلعهم على أمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخفاه عنهم، وبذلك جاءت الآثار والرواية عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم)[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجهاد والسير) باب (الجاسوسي) حدي رقم (٣٠٠٧). وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب (فضائل القرآن) باب (من فضائل أهل بدر) حديث رقم (٢٤٩٤).

(٢) الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الإمام، العلامة، الأستاذ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، صاحب (التفسير) ، وإمام علماء التأويل، من أولاد التجار، من كتبه: صنف التفاسير الثلاثة: (البسيط) و (الوسيط) و (الوجيز) و (أسباب النزول) و (التحبير في الأسماء الحسنى) كان طويل الباع في العربية واللغات، مات: بنيسابور في جمادى الآخرة، سنة ثمان وستين وأربع مائة، وقد شاخ. سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٣٩)

(٣) البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الشيخ، الإمام، العلامة، القدوة، الحافظ، شيخ الإسلام، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، الشافعي، المفسر، صاحب التصانيف، كـ (شرح السنة) و (معالم التنزيل) و (المصابيح) ، و (الجمع بين الصحيحين) ، بورك له في تصانيفه، ورزق فيها القبول التام، لحسن قصده، وصدق نيته، وتنافس العلماء في تحصيلها، وكان لا يلقي الدرس إلا على طهارة، وكان على منهاج السلف حالا وعقدا، وله القدم الراسخ في التفسير، والباع المديد في الفقه، توفي: بمرو الروذ مدينة من مدائن خراسان – في شوال، سنة ست عشرة وخمس مائة. ينظر سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٩/ ٤٣٩)

(٤) التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٢٨٢)، تفسير البغوي (٥/ ٦٩)

(٥) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٣٢)

(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٩)

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ افتتح الله تعالى هذه السورة الكريمة، والتي تحمل تكليفاً يُعد من أعظم التكاليف في زمن نزولها، وأثقلها على الفئة المؤمنة حين ذاك وهو البراء التام من أعداء الله تعالى، وقطع العلائق بهم، حتى ولو كانوا أقرب الأقارب، ولذا افتتحها جل جلاله بهذا النداء الإيماني المحبب إلى النفوس، والذي يحملها على تقبل المأمور ، والانشراح له مهما شق، والنفرة من المحظور مهما تعلقت به النفس، قال الفخر الرازي رحمه الله: (اعلم أن الله تعالى خاطب المؤمنين بقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا في ثمانية وثمانين موضعا من القرآن. قال ابن عباس: وكان يخاطب في التوراة بقوله: يا أيها المساكين فكأنه سبحانه وتعالى لما خاطبهم أولا بالمساكين أثبت المسكنة لهم آخرا حيث قال: وضربت عليهم الذلة والمسكنة [البقرة: ٦١] ، وهذا يدل على أنه تعالى لما خاطب هذه الأمة بالإيمان أولا فإنه تعالى يعطيهم الأمان من

---

(١) سورة الممتحنة (١)

العذاب في النيران يوم القيامة، وأيضا فاسم المؤمن أشرف الأسماء والصفات، فإذا كان يخاطبنا في الدنيا بأشرف الأسماء والصفات فنرجو من فضله أن يعاملنا في الآخرة بأحسن المعاملات[١].

﴿ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ هذا مضمون النداء وهو التحذير من موالاة الكفار، وقد هيج مشاعرهم لمعاداة الكفار ببيان عداوتهم لله تعالى، وقد قدمت عداوتهم لله لما ينبغي أن تكون عليه قلوب المؤمنين، من تعظيم أمر الله، وتقديمه على أمرهم، وقد أضاف الله تعالى العداوة إليه هنا تعظيماً لجرم الكفار[٢]، كما هيج مشاعرهم بالعطف المشعر أن أهل الإيمان منه سبحانه وبه وإليه " عدوي وعدوكم " يقول سيد قطب رحمه الله: (فيُشْعِر المؤمنين بأنهم منه وإليه، يعاديهم من يعاديه، فهم رجاله المنتسبون إليه الذين يحملون شارته في هذه الأرض، وهم أوداؤه وأحباؤه، فلا يجوز أن يلقوا بالمودة إلى أعدائهم وأعدائه)[٣].

" أولياء " يقول الفيروزآبادي[٤] رحمه الله: (الوِلايَةُ: النُّصْرَةُ، والوَلِّي والمَوْلَى يُستعملان

---

(١) تفسير الرازي (٣/ ٦٣٤)

(٢) تفسير فتح القدير (٥/ ٢١٠)

(٣) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٤٠)

(٤) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي: من أئمة اللغة والأدب، ولد بكارزين (بكسر الراء وتفتح) من أعمال شيراز. وانتقل إلى العراق، وجال في مصر والشام، ودخل بلاد الروم والهند، وانتشر اسمه في الآفاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، وتوفي في زبيد سنة ٨١٧ هـ أشهر كتبه (القاموس المحيط) أربعة أجزاء و (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز – ط). الأعلام للزركلي (٧/ ١٤٦)

فى كلّ ذلك، وكلّ واحِدٍ منهما يُقال فى معنى الفاعِل أَى المُوالِى، وفى معنى المفعول أَى المُوالَى)[١].

﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ هذا بيان لبعض صور الولاية التي نهوا عنها، فقوله " تلقون إليهم بالمودة كالتفسير لقوله " أولياء " قبلها "[٢]، وحاصل الإلقاء هنا وصول المودة إليهم، قال الزمخشري رحمه الله: (والإلقاء عبارة عن إيصال المودّة والإفضاء بها إليهم)[٣]، والود كما يقول الراغب رحمه الله: (محبّة الشيء، وتمنّي كونه، ويستعمل في كلّ واحد من المعنيين على أن التّمنّي يتضمّن معنى الودّ، لأنّ التّمنّي هو تشهّي حصول ما تَوَدُّهُ)[٤].

﴿ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ هذا تعليل للنهي عن موالاة الكفار، وذلك لأنهم كفروا بالحق البين الذي أنزله الله على عباده، وقد خص الله أهل الإيمان هنا بمجيء الحق إليهم، مع أنه جاء إليهم وإلى غيرهم، وذلك تشريفاً لهم ببركة استجابتهم، وانقيادهم له، قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: (وتعدية جاء إلى ضمير المخاطبين وهم الذين آمنوا لأنهم الذين انتفعوا بذلك الحق وتقبلوه فكأنه جاء إليهم لا إلى غيرهم وإلاّ فإنه جاء لدعوة الذين آمنوا

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥/ ٢٨١)
(٢) تفسير المراغي (٢٨/ ٦٢)
(٣) تفسير الزمخشري (٤/ ٥١١)
(٤) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٦٠)

والمشركين فقبله الذين آمنوا ونبذه المشركون)[١].

﴿ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ وهذا من جملة ما يهيج الله به مشاعر المؤمنين تجاه أعدائهم، وهو كالتفسير لكفرهم وعتوهم[٢]، وعبر عن الإخراج بالمضارع إشارة إلى استمرار هذا العداء منهم على مر الأزمان، يقول عبد الكريم الخطيب رحمه الله: (وفى التعبير عن إخراج المشركين للنبى والمؤمنين، بالفعل المضارع الذي يفيد تجدّد الزمن حالا بعد حال، للإشارة إلى أن المشركين ما زالوا على موقفهم من النبي والمؤمنين، وأنه لو عاد النبي والمؤمنون إلى ديارهم بمكة لأخرجهم المشركون منها، بما يلاحقونهم به من أذى وضر.. كما أن المشركين لم يزل هذا موقفهم من المؤمنين الذين كانوا فى مكة، و لم تتح لهم فرصة الهجرة لسبب أو لآخر)[٣].

﴿ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ وهذا تعليل لما قبله، أي: يخرجون الرسول وإياكم بسبب إيمانكم بالله، وفي نعت الله تعالى بالربوبية هنا زيادة معنى يلمح إليه البقاعي بقوله: (ولما كان الإيمان به سبحانه مستحقاً من وجهي الذات والوصف، لفت الخطاب من التكلم إلى الغيبة للتنبيه عليهما فقال : (بالله) أي الذي اختص بجميع صفات الكمال ، ولما عبر بما أبان أنه مستحق للإيمان لذاته أردفه بما يقتضي وجوب ذلك لإحسانه فقال : " ربكم ")[٤].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٣٥)
(٢) تفسير الزمخشري (٤/ ٥١١)
(٣) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٨٩٢)
(٤) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (٧/ ٥٤٩)

﴿ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ﴾ فلا يستقيم خروجكم من دياركم، وهجركم أموالكم وأهليكم، جهاداً في سبيل الله، وابتغاءً لمرضاته، ومصانعة أعداء الله، وموادهم، وهذا أيضاً من تهييج مشاعر المؤمنين لتلتهب قلوبهم بالـــبراء التام من أعداء الله، فقوله " إن كنتم خرجتم جهاداً..." متعلق بقـــوله " لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء..." أي: لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي(١).

﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ وهذا معلم من معالم موالاة الكفار، وهو الاستسرار بمودتهم، وقد أفرد بالذكر مراعاة لسبب النزول الذي كان معلم الاستسرار بالنصح للكفار فيه بارزاً والعلم عند الله، والجملة مستأنفة للتقريع والتوبيخ أي تسرون إليهم الأخبار بسبب المودة(٢).

﴿ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ﴾ هذا إنكار في معرض الإخبار، فما فائدة إسراركم بمخالفتي، والحال أني أعلم ما أخفيتم وما أعلنتم، ومطلع رسولي على ما تسرون فأي فائدة وجدوى لكم في الإسرار؟(٣) ، وفي التعبير بلفظة أخفيتم، والعدول عن أسررتم، مع أنها أليق وأنسب لطيفة يشير إليها الرازي رحمه الله بقوله: (قال تعالى: بما أخفيتم وما أعلنتم و لم يقل: بما أسررتم وما أعلنتم، مع أنه أليق بما سبق وهو تسرون، فنقول فيه من المبالغة ما ليس في ذلك، فإن الإخفاء أبلغ من الإسرار، دل عليه قوله: يعلم السر وأخفى [طه: ٧] أي أخفى من

(١) تفسير الزمخشري (٤/ ٥١٢)
(٢) تفسير فتح القدير (٥/ ٢١٠)
(٣) تفسير الألوسي (١٤/ ٢٦٢)

السر)[١].

﴿ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ هذا وعيد للذين يفعلون مثل ما فعل حاطب بعد أن بلغهم النهي والتحذير والتوبيخ والتفظيع لعمله[٢]، ولما كانت موالاة الكفار، وموادتهم، مع عداوتهم وبغضهم للإسلام وأهله، مودة وموالاة في غير محلها وُسِمَ أصحابها بالضلال، فقد قيد ابن فارس الضلال بأنه: (ضياع الشيء وذهابه في غير حقه)[٣].

ومن وقع في موالاة الكفار، وسارع في مودتهم بعد هذا البيان والتحذير فإنه قد حاد عن الهدي القويم والصراط المستقيم الذي رضيه الله تعالى لعباده، قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله: (و " سواء السبيل " مستعار لأعمال الصلاح والهُدَى لشبهها بالطريق المستوي الذي يَبلُغ من سلكه إلى بغيته ويقع من انحرف عنه في هلكة . والمراد به هنا ضلّ عن الإِسلام وضلّ عن الرشد)[٤].

﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾[٥].

﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً ﴾ هذه الآية الكريمة حلقة في سلسلة مترابطة في التحذير

(١) تفسير الرازي (٢٩/ ٥١٧)
(٢) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٣٩)
(٣) مقاييس اللغة (٣/ ٣٥٦)
(٤) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٣٩)
(٥) سورة الممتحنة (٢)

من موالاة الكفار، ومصانعتهم، فبعد النهي عن موالاة الكفار في الآية الأولى، وبيان صوره، ومبرراته، ومغبة من يواقعه، يأتي التحذير هنا من سوء عاقبة موالاة الكفار، والطمأنينة بهم، والركون إليهم، ببيان ما انطوت عليه أنفسهم، وأجمعت عليه قلوبهم، من الكراهية والعداء للإسلام وأهله، وإنفاذ ذلك متى وجدوا إليه سبيلاً. قال أبو حيان: (ولما نهى المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء ، وشرح ما به الولاية من الإلقاء بالمودة بينهم ، وذكر ما صنع الكفار بهم أولاً من إخراج الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، ذكر صنيعهم آخراً لو قدروا عليه من أنه إن تمكنوا منكم تظهر عداوتهم لكم ، ويبسطوا أيديهم بالقتل والتعذيب ، وألسنتهم بالسب ؛ وودوا لو ارتددتم عن دينكم الذي هو أحب الأشياء إليكم ، وهو سبب إخراجهم إياكم)[١].

" إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء" أي: إن يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم في غاية العداوة[٢]، والتعبير بالفعل " يكونوا " مشعر بأن عداوتهم قديمة وأنها تستمر[٣].

﴿ وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ ﴾ هذا بيان وتفصيل لعموم قوله تعالى " يكونوا لكم أعداءً قبلها والتعبير ببسط الأيدي والألسن هنا يشعر باستفراغهم وسعهم وبذلهم كل ما بمقدورهم للإيقاع بالمؤمنين، قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: (والبسط مستعار

(١) البحر المحيط (٨/ ٢٥١)
(٢) تفسير الرازي (٢٩/ ٥١٧)
(٣) التحرير والتنوير ــ الطبعة التونسية (٢٨/ ١٣٩)

للإِكثار لما شاع من تشبيه الكثير بالواسع والطويل، وتشبيه ضده وهو القبض بضد ذلك ، فبسط اليد الإِكثار من عملها، والمراد به هنا : عمل اليد الذي يضرّ مثل الضرب والتقييد والطعن ، وعمل اللسان الذي يؤذي مثل الشتم والتهكم)[١].

﴿ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ هذا من عطف الخاص على العام، فتمني الكفرة وحرصهم أن يرتد أهل الإيمان عن إيمانهم، من أعظم سبل عدائهم، وأنكاها، وإنما خص هذا النوع من العداء بالذكر لزيادة تهييج مشاعر المؤمنين تجاه أعدائهم، والحذر من موالاتهم، فلقد علموا أن الدين أعز ما يملكه المؤمن، فتوجهوا بالعداء إليه لإزالته، قال الزمخشري رحمه الله: (وردكم كفاراً أسبق المضارّ عندهم وأوّلها ؛ لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم ، لأنكم بذّالون لها دونه ، والعدوّ أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه)[٢].

والتعبير بالماضي " وودوا " وإن كان المعنى على الاستقبال للإشعار بأن ودادتهم كفرهم قبل كل شيء وأنها حاصلة وإن لم يثقفوهم[٣].

﴿ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[٤]

﴿ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ ﴾ ومناسبة هذه الآية لما قبلها بين جلي، يقول أبو

---

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٤٠)
(٢) تفسير الزمخشري (٤/ ٥١٢)
(٣) تفسير الألوسي (١٤/ ٢٦٢)
(٤) سورة الممتحنة: ٣

حيان رحمه الله: (ولما كان حاطب قد اعتذر بأن له بمكة قرابة ، فكتب إلى أهلها بما كتب ليرعوه في قرابته ، قال تعالى (لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلَادُكُمْ) أي قراباتكم الذين توالون الكفار من أجلهم ، وتتقربون إليهم محاماة عليهم)[١].

وبدأ بنفي نفع الأرحام على الأولاد لموافقة قصة حاطب رضي الله عنه، فقد اعتذر بأنه أراد أن يتخذ عند المشركين يداً يحمون بها قرابته أي: أمه وإخوته، فالأم ذات رحم والإِخوة أبناؤها هم إخوته من رحمه[٢].

وخص الأولاد بالذكر مع دخولهم في الأرحام لمزيد المحبة لهم والحنو عليهم[٣].

﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ ﴾ ذكَّرهم سبحانه بأعظم موقف في نفوسهم مهابة وإجلالاً، يوم العرض على الله تعالى، وأنهم في ذلك اليوم لن ينفع أحدهم إلا صدقه في القيام بمراد الله تعالى في الدنيا، وأن القرابات التي ربما قصَّر لأجلها في حق الله في الدنيا، لن تنفعه بين يدي الله بل إنها تتبرأ وتفر منه، فلا ينبغي إذاً أن يواقع ما حرم الله عليه تعللاً بأهله وأقاربه، قال ابن كثير رحمه الله: (أي: قراباتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سوءا، ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله، ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب

(١) البحر المحيط في التفسير (٨/ ٢٥٢)
(٢) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٤١) بتصرف.
(٣) تفسير فتح القدير (٥/ ٢١٠)

وخسر وضل عمله، ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد، ولو كان قريبا إلى نبي من الأنبياء)[١].

" يفصل بينكم " قال الطاهر بن عاشور: (والفصل هنا : التفريق ، وليس المراد به القضاءَ. والمعنى : يوم القيامة يفرق بينكم وبين ذوي أرحامكم وأولادكم فريق في الجنة وفريق في السعير ، قال تعالى : (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذٍ شأن يغنيه)[٢].

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ هذا إنذار في معرض الإخبار، قال المراغي رحمه الله:

(ثم أوعد من يفعل ذلك فقال: (وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) أي والله بأعمالكم ذو بصر بها، لا يخفى عليه شيء منها، فهو محيط بها جميعها، ومجازيكم عليها، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فاتقوا الله فى أنفسكم واحذروه)[٣].

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٦)
(٢) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٤١)
(٣) تفسير المراغي (٢٨/ ٦٤)

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع

يخاطب سبحانه وبحمده عباده في مطلع هذه السورة الكريمة بأحب الأوصاف إليهم، محذراً لهم من موالاة من اتصف بالعداء لله تعالى بالكفر به، ومحادة أمره، والعداء لأهل الإيمان، معللاً نهيه سبحانه بكفرهم بالحق البين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقر به أهل الإيمان، كما علل نهيه بتذكيرهم بسعي الكفار الحثيث المتواصل لإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم والعصبة المؤمنة معه من ديارهم، لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بالله وحده، ثم ينبههم تبارك وتعالى أن موالاة أعدائه لا تتفق مع ما وقر في قلوبهم من الإيمان الصادق بالله تعالى، والتضحية لدينه، ثم يكرر لهم تبارك وتعالى تحذيرهم من مصانعتهم، والاستسرار بالمودة إليهم، مذكراً إياهم بإحاطته التامة وعلمه الدقيق بكل ما يأتون ويذرون سراً وجهراً، وقد حذر عباده من مغبة التهاون في شأن موالاة الكفار، مؤكداً أن ذلك يعد ضلالاً وحيدة عن السبيل الذي ارتضاه الله لعباده.

ثم يطلع الله عباده المؤمنين – رحمة بهم – على شيء مما انطوت عليه نفوس أعدائهم، من العداء الشديد لهم متى وجدوا إلى أذيتهم والنيل منهم سبيلاً، وأنهم لن يدخروا وسعاً في إيقاع الأذى بهم، وأن حقدهم وحنقهم لن يقف دون كفركم، وتخليكم عن دينكم، ومبادئكم.

ومن عناية الله بعباده المؤمنين أن قطع أملهم في العلائق التي ربما أثرت على مبدأ الولاء والبراء

في قلوبهم، مذكراً إياهم بموقف يفر القريب من قريبه، موقف لا يشغل المرء فيه إلا نفسه التي بين جنبيه، وهكذا تتجرد القلوب لبارئها، وتخلص لخالقها سبحانه وبحمده، حباً له وفيه، وبغضاً لمن يعاديه، وهذا هو المقصد الأعظم الذي سيقت الآيات لأجله، والعلم عند الله.

المطلب الخامس: ما ترشد إليه آيات الموضوع

.

١ / في تأمل سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة إشارة إلى أن النفس البشرية مهما بلغت من الكمال الإيماني، ومهما بلغت في القرب من الله تعالى تظل عرضة للفتنة، ألمح إلى ذلك سيد رحمه الله في حديثه عن سبب نزول السورة فقال: (وأول ما يقف الإنسان أمامه هو فعلة حاطب، وهو المسلم المهاجر، وهو أحد الذين أطلعهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- على سر الحملة.. وفيها ما يكشف عن منحنيات النفس البشرية العجيبة، وتعرض هذه النفس للحظات الضعف البشري مهما بلغ من كمالها وقوتها وأن لا عاصم إلا الله من هذه اللحظات فهو الذي يعين عليها)[1].

٢ / هذه الآيات الثلاث في صدر هذه السورة الكريمة تطبيق لرحمة الله، وعنايته بعباده في ما يشرِّعه لهم في هذا القرآن العظيم، حيث يأمرهم سبحانه بالأمر، ثم يردفه بمبرراته، ويحذرهم من أمر وينهاهم عنه، ثم يردفه – رحمة منه وإحساناً – بمبررات ذلكم النهي، وهذا الأمر بدا جلياً في هذه الآيات الثلاث، حيث نهى تعالى عباده فيها عن موالاة الكفار، وجاءت الآيات بما يقارب العشرين مبرراً لهذا النهي منها:

- تصدير النهي بالنداء الإيماني.
- التذكير بعداوة الكفار، لله تعالى، وللمؤمنين.

---

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٣٨)

- البدء بذكر عداوتهم لله تعالى.
- العطف الوارد في قوله " عدوي وعدوكم " المشعر بقرب الله من عباده.
- التذكير بكفرهم وجحودهم للحق البين الجلي.
- التذكير بإخراجهم للنبي صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين معه من ديارهم.
- التعبير بـــ(يخرجون) المشعر بالديمومة والاستمرار.
- تقديم إخراج الرسول على إخراج المؤمنين.
- بيان سبب العداوة والحنق والإخراج " أن تؤمنوا بالله ربكم ".
- التذكير بالمقامات العظيمة التي عليها أهل الإيمان(الجهاد، الهجرة، والإخلاص).
- التذكير بعلم الله الشامل وإحاطته المطلقة بما يخفي المرء وما يعلن.
- التخويف بسوء عاقبة من يوالي أعداء الله " ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل".
- التذكير بما تضمره نفوسهم من العداوة والتشفي متى وجدوا إلى ذلك سبيلاً.
- التعبير بالبسط في العداوة، المشعر بالكثرة، والسعة والديمومة.
- إفراد محاولة الأعداء صد أهل الإيمان عن دينهم بالذكر.
- التذكير أن كل صلة ووشيجة منقطعة يوم القيامة إلا وشيجة التقوى.

وكل هذه الأمور وغيرها تعد من المنفرات من التهاون بشأن موالاة الكفار.

٣ / التحذير الصريح من موالاة الكفار، وموادتهم، والركون إليهم، والتحذير من مغبة

التهاون بذلك وسوء عاقبته في الدنيا – ببسط الكفار أيديهم وألسنتهم بالسوء والأذى متى وجدوا إلى ذلك سبيلاً – وفي الآخرة بمصير من ضل عن سبيل الله القويم، وانحرف عن صراطه المستقيم.

٤ / في قوله تعالى " وقد كفروا بما جاءكم من الحق " كما يقول الطاهر بن عاشور رحمه الله: (إيماء إلى أن كفر الكافرين به ناشيء عن حسدهم الذين آمنوا قبلهم)[١]، كأنه استفاد ذلك من تعدية (جاء) إلى ضمير المخاطبين وهم (الذين آمنوا) فكأن الله تعالى اختصهم بمجيء الحق إليهم مع أن الحق جاء إليهم وإلى غيرهم، وذلك لاستجابتهم للحق، فأنشأ ذلك حسداً من الكفار على أهل الإيمان بما اختصهم الله تعالى به من فضله، ومصداق ذلك في كتاب الله: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾[٢].

٥ / في تقديم النبي صلى الله عليه وسلم على المؤمنين، في أمر إخراج الكفار " يخرجون الرسول وإياكم " إشعار بعظمة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه المقدم على كل مؤمن

(١) التحرير والتنوير ـــ الطبعة التونسية (٢٨/ ١٣٥)
(٢) سورة البقرة: ١٠٩

ومؤمنة في النفس والمال والأهل والولد والناس أجمعين، هكذا أراده الله تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ [١] ، وهكذا ينبغي أن يكون صلى الله عليه وسلم مقدماً في نفس كل مؤمن ومؤمنة، ليثبت بذلك إيمان العبد، ويصدق يقينه، ففي صحيح البخاري يقول صلى الله عليه وسلم: (فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده)[٢].

٦ / في قوله تعالى " يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم" بيان سبب حنق الكفار، وغيظهم لأهل الإيمان، وهو – فقط – إيمانهم بالله تعالى.

قال المراغي رحمه الله معلقاً على الآية: (أي يخرجون الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ولم يكن لهم جريرة ولا جرم سوى ذلك، ونحو الآية قوله: " وَما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ" وقوله "الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ")[٣].

٧ / أهمية تعزيز مبدأ المراقبة لله تعالى لتهذيب سلوك الفرد والجماعة، فمتى قويت رقابة الله تعالى في النفوس تهيأت للاستجابة لأمر الله تعالى مهما شق ذلك الأمر عليها وعظم، ولذا

(١) سورة الأحزاب: ٦
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأيمان) باب (حب الرسول ﷺ) حديث رقم (١٤).
(٣) تفسير المراغي (٢٨/ ٦٢)

ذكَّر الله تعالى عباده في معرض نهيهم عن موالاة الكفار، وموادتهم ذكَّرهم بسعة علمه واطلاعه على خفي أعمالهم " وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم " قال ابن القيم رحمه الله: (وكلما اشتدت هذه المراقبة أوجبت له من الحياء والسكينة والمحبة والخضوع والخشوع والخوف والرجاء ما لا يحصل بدونها، فالمراقبة أساس الأعمال القلبية كلها وعمودها الذي قيامها به، ولقد جمع النبي – صلى الله عليه وسلم – أصول أعمال القلب، وفروعها كلها في كلمة واحدة، وهي قوله في الإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه» فتأمل كل مقام من مقامات الدين، وكل عمل من أعمال القلوب، كيف تجد هذا أصله ومنبعه؟)[١]

٨ / قال أبو العباس الأنجري[٢] في كتابه البحر المديد: (وفي الآية دليل على أنّ الكبيرة لا تسلب الإيمان)[٣] ، يريد الآية الأولى في هذه السورة الكريمة باعتبار نزولها في حاطب رضي الله عنه، وفعله الذي يعد من كبائر الذنوب ومع ذلك صدرت بنداء أهل الإيمان " يا أيها الذين آمنوا " وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة قال الإمام أبو عثمان الصابوني في رسالته عقيدة السلف (ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة، صغائر وكبائر، فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٥٥).

(٢) أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة، الحسني الأنجري: مفسر صوفي، من أهل المغرب، دفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان) له كتب كثيرة، منها (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) في أربعة مجلدات ضخام، و (أزهار البستان) في طبقات الأعيان المالكية، و (شرح القصيدة المنفرجة) و (الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية) توفي سنة ١٢٣٠ ه. الأعلام للزركلي (١/ ٢٤٥).

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٨/ ٣٠).

والإخلاص، فإن أمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً، غير مُبتلى بالنار، ولا مُعاقَب على ما ارتكبه، واكتسبه، ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام، والأوزار، وإن شاء عذَّبه مدة بعذاب النار، وإذا عذَّبه لم يخلده فيها، بل أَعتقه، وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار)[١].

٩ / قال الإمام أبو بكر الجصاص الحنفي رحمه الله بعد أن ساق جملة من النصوص منها قوله تعالى " ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾[٢] : (فهذه الآي والآثار دالة على أنه ينبغي أن يعامل الكفار بالغلظة والجفوة دون الملاطفة والملاينة، ما لم تكن حال يخاف فيها على تلف نفسه أو تلف بعض أعضائه أو ضررا كبيرا يلحقه في نفسه، فإنه إذا خاف ذلك جاز له إظهار الملاطفة والموالاة من غير صحة اعتقاد)[٣]، قلت: مع ضرورة مراعاة تجنب الظلم والعدوان في التعامل بالغلظة والجفوة، خصوصاً في غير المحارب، إعمالاً لقوله تعالى في السورة نفسها ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل النبوية (١ / ١٢٤).
(٢) سورة الممتحنة: ١.
(٣) أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٢).

يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (١).

١٠ / التعبير بالبسط في قوله تعالى " ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء.." يشعر ببذلهم كل ما في وسعهم للإيقاع بأهل الإيمان، متى وجدوا إلى ذلك سبيلاً، يقول سيد قطب رحمه الله: (فلا تعرض لهم فرصة يتمكنون فيها من المسلمين حتى يتصرفوا معهم تصرف العدو الأصيل، ويوقعوا بهم ما يملكون من أذى ومن تنكيل بالأيدي وبالألسنة وبكل وسيلة وكل سبيل)(٢).

١١ / بيان الغاية العظمى من كيد الكفار العظيم، ومكرهم الكبار، المتواصل بالليل والنهار، تجاه أهل الإيمان، وهي صدهم عن دينهم، يفيد ذلك: العطف في قوله تعالى " وودوا لو تكفرون " وهو من عطف الخاص على العام، المشعر بأهمية تخصيصه، وقد تظافرت النصوص في بيان هذه الغاية من ذلك الكيد العظيم قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٣)

(١) سورة الممتحنة: ٨
(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٤١)
(٣) سورة سبأ: ٣٣

١٢ / في قوله تعالى " وودوا لو تكفرون " بشارة بثبات الإيمان وأهله، وأن تمني الكفار زوال الإيمان من قلوب أهله، زائل باطل، فالله حافظ دينه، ومثبت أوليائه، يقول البقاعي رحمه الله: (وعبر بما يفهم التمني الذي يكون في المحالات ليكون المعنى أنهم أحبوا ذلك غاية الحب وتمنوه ، وفيه بشرى بأنه من قبيل المحال)(١).

١٣ / أهمية الإيمان باليوم الآخر، واستشعار الموقف بين يدي الله، في الاستجابة لأمر الله، والتزام نهجه، ففي هذه الآيات التي تلزم بأمر عظيم، وهو مفاصلة أعداء الله، وقطع العلائق بهم مهما كانوا، نجد التذكير بالموقف بين يدي الله تعالى في قوله " لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم " يقول سيد قطب رحمه الله معلقاً على الآية الكريمة: (إن المؤمن يعمل ويرجو الآخرة. يزرع هنا وينتظر الحصاد هناك. فلمسة قلبه بما يكون في الآخرة من تقطيع وشائج القربى كلها إذا تقطعت وشيجة العقيدة، من شأنها أن تهون عنده شأن هذه الوشائج في فترة الحياة الدنيا القصيرة وتوجهه إلى طلب الوشيجة الدائمة التي لا تنقطع في دنيا ولا في آخرة)(٢).

١٤ / في قوله تعالى " لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم..." تحذير ضمني من فتنة الأهل والأولاد، فربما غشي المرء ما حرم الله عليه، أو فرط في ما أوجب الله عليه حباً لهم وشفقة عليهم، فبالنظر إلى سبب نزول الآيات نجد أن فتنة الصحابي البدري حاطب رضي الله عنه كانت في قراباته، ولذا عرّض الله بالتحذير منهم، وهذا المعنى متكرر في كلام الله سبحانه

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (٧/ ٥٥٢)
(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٤١)

كقوله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾[1] وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ ﴾[2].

(١) سورة الأنفال: ٢٨

(٢) سورة التغابن: ١٤ – ١٥

المبحث الثاني

نموذج سام للولاء والبراء ، (الآيات من ٤ ـ ٧)

وفيــه ستة مطالــب: -

- المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.
- المطلب الثاني: التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق.
- المطلب الثالث: سبب النزول.
- المطلب الرابع: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.
- المطلب الخامس: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.
- المطلب السادس: ما ترشد إليه آيات الموضوع.

* * * * * *

نموذج سام للولاء والبراء ، (الآيات من ٤ـ ٧)

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧ ﴾[1]

(١) سورة الممتحنة: ٤ – ٧.

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

حين نتأمل آيات هذا الموضوع نلحظ ارتباطها بموضوع السورة الرئيس وهو تجرد القلب حباً وبغضاً وولاء وبراء لله تعالى وفي الله، وذلك بعرض ذلك النموذج الفريد من إبراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين، يقول الدكتور عبد الكريم الخطيب رحمه الله: (وفى تأسّى المؤمنين بإبراهيم عليه السلام، وبالمؤمنين معه وهم الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين، الذين جاءوا بعد إبراهيم- وسمّوا هؤلاء مع إبراهيم، لأنهم كانوا جميعا على دين الله الذي آمن به، كما كان معظم الأنبياء من ذريته- وفى أخذهم الموقف الذي وقفه إبراهيم ومن معه من الأنبياء والمؤمنين- من قومهم، إذ تبرءوا من أقوامهم، ومما يعبدون من دون الله، وكفروا بهم وبمعبوداتهم وأظهروا لهم العداوة، وجاهروهم بها وأنها عداوة دائمة حتى يؤمن هؤلاء الكافرون بالله وحده لا شريك له، فإن آمنوا انقطعت هذه العداوة، وقام مقامها الحب الذي بين المؤمنين والمؤمنين- فى هذا التأسّى توجيه للمؤمنين إلى ما ينبغى أن يكون عليه إيمانهم،فهذا هو الإيمان، الذي يخلى قلب المؤمن من كل مشاعر الودّ والمحبة لمن حادّ الله وكفر به)(١).

والدعاء الذي يعقب الآية الأولى من آيات هذا الموضوع " ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا..." يدل على عظيم تجرد إبراهيم عليه السلام ومن معه، من موالاة الكفار ومصانعتهم، وعظيم الحذر والوجل من الافتتان بهم، مما يؤكد تناسق الآيات وتتابعها في

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٨٩٧).

التأكيد على ضرورة تجرد القلوب حباً وبغضاً وولاءً وبراءً لله وفي الله.

وتعد الآية الثالثة من آيات هذا الموضوع متممة لما سبقها من آيات السورة في التأكيد على تجريد القلب حباً لله وبغضاً فيه تعالى سيد طنطاوي رحمه الله[١]: (والمتدبر في هذه الآيات الكريمة، من أول السورة إلى هنا، يجد أن الله- تعالى- لم يترك وسيلة للتنفير من موالاة أعدائه، إلا أظهرها وكشف عنها)[٢].

وفي خاتمة آيات هذا الموضوع، تطمين واضح، وبشارة لمن انشرحت صدورهم لهذا المقام العظيم مقام الحب والبغض والولاء والبراء لله وفي الله، فقاموا به على الوجه الذي أراده الله تعالى منهم، فبشرهم سبحانه وهو أعلم بما في دواخلهم من محبة الخير لأقربيهم بشرهم بأن يزيل أسباب البراء ودواعي العداء فتتحقق فيهم المودة ويتوجب لهم الحب.

(١) الأستاذ الدكتور محمد سيد عطية طنطاوي، ولد بقرية سُلَيم الشرقية مركز طما بمحافظة سوهاج عام ١٣٤٧هـ تلقى تعليمه الأساسي بقريته، وبعد أن حفظ القرآن الكريم التحق بمعهد الإسكندرية الديني وترقى في الرتب العلمية حتى حصل على الدكتوراه في التفسير والحديث بتقدير ممتاز في عام ١٩٦٦م، تقلد كثيرا من المناصب الدينية حتى انتهى به الأمر أن تعيين فضيلته مفتيًا للديار المصرية في ٢٤ من صفر عام ١٤٠٧هـ ثم تولى مشيخة الأزهر عام ١٤١٦ هـ من مؤلفاته: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم) ويبلغ زهاء خمسة عشر مجلدًا وأكثر من سبعة آلاف صفحة (بنو إسرائيل في القرآن والسنة) (القصة في القرآن الكريم) توفي سنة ١٤٣١هـ. (الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة على الشبكة) بتصرف.

(٢) التفسير الوسيط (١٤/ ٣٣٢).

المطلب الثاني: التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق

لقد علم الله سبحانه -وهو الذي خلق النفوس ويعلم احتياجها وما به صلاحها- علم سبحانه حاجتها للنموذج الواقعي الذي طبق هذه القيمة العظيمة قيمة التجرد لله سبحانه حباً وبغضاً، وولاءً وبراءً، فذكر موقف إبراهيم عليه السلام ومن معه مع قومهم المناوئين لهم، الذين عادوهم في الله وآذوهم لأجل تمسكهم بأمر الله سبحانه، قال أبو حيان رحمه الله: (ولما نهى عن موالاة الكفار ، ذكر قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وأن من سيرته التبرؤ من الكفار ليقتدوا به في ذلك ويتأسوا)[١].

وقال البقاعي رحمه الله: (ولما أبلغ سبحانه في وعظهم في ذلك ، وكانت عادته التربية بالماضين ، كان موضع توقع ذلك فقال معبراً بأداة التوقع: (قد كانت) أي وجدت وجوداً تاماً)[٢].

وآيات هذا الموضوع جاءت مؤكدة لما تضمنته آيات الموضوع الأول التي افتُتِحت بها السورة الكريمة، يقول الألوسي رحمه الله بعد أن ساق مطلع آيات الاقتداء بإبراهيم عليه السلام ومن معه: (تأكيد لأمر الإنكار عليهم والتخطئة في موالاة الكفار بقصة إبراهيم عليه السلام ومن معه ليعلم أن الحب في الله تعالى والبغض فيه سبحانه من أوثق عرا الإيمان فلا

(١) البحر المحيط (٨/ ٢٥٢).
(٢) نظم الدرر (٧/ ٥٥٣).

ينبغي أن يغفل عنهما)[١].

فالتناسق بين آيات هذا الموضوع التي تحكي موقف إبراهيم عليه السلام ومن معه من قومهم، وآيات الموضوع السابق في صدر السورة المحذرة على سبيل التأكيد من موالاة الكفار واضح جلي، يقول الطاهر ابن عاشور رحمه الله: (بعد الفراغ من بيان خطأ من يوالي عدوَّ الله بما يجرّ إلى أصحابه من مضارّ في الدنيا وفي الآخرة تحذيراً لهم من ذلك انتقل إلى تمثيل الحالة الصالحة بمثال من فعل أهل الإِيمان الصادق والاستقامة القويمة وناهيك بها أسوة)[٢].

(١) تفسير الألوسي (١٤/ ٢٦٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٤٢).

المطلب الثالث: سبب النزول

ليس في الآيات – حسب اطلاعي – سبب نزول صريح مسند، إلا ما أشار إليه الواحدي بقوله في بيانه لقوله تعالى: "لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر" يقول الله تعالى للمؤمنين: لقد كان لكم في إبراهيم ومن معه، من الأنبياء والأولياء، اقتداء بهم في معاداة ذوي قراباتهم من المشركين، فلما نزلت هذه الآية عادى المؤمنين أقرباءهم المشركين في الله، وأظهروا لهم العداوة والبراءة، وعلم الله تعالى شدة وجد المؤمنين بذلك، فأنزل الله: عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة، ثم فعل ذلك بأن أسلم كثير منهم، وصاروا لهم أولياء وإخوانا، فخالطوهم وناكحوهم، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، فلان لهم أبو سفيان، وبلغه ذلك وهو مشرك فقال: ذاك الفحل لا يقرع أنفه)[1]، وكلامه هذا رحمه الله لا يعد سبب نزول صريح إنما هو بيان للآية وتفسير لها، وقد تعقب ابن كثير رحمه الله مقاتل ابن حيان في جعله زواج النبي صلى الله عليه وسلم من بنت أبي سفيان سبباً لنزول الآية فقال: وقد قال مقاتل بن حيان: إن هذه الآية نزلت في أبي سفيان صخر بن حرب، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ابنته، فكانت هذه مودة ما بينه وبينه، وفي هذا الذي قاله مقاتل نظر، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بأم حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح، وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف،

(١) أسباب النزول (ص: ٤٤٣).

وأحسن من هذا ما رواه ابن أبي حاتم حيث قال: قرئ على محمد بن عزيز، حدثني سلامة، حدثني عقيل، حدثني ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أبا سفيان صخر بن حرب على بعض اليمن، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل فلقي ذا الخمار مرتدا فقاتله، فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين، قال ابن شهاب: وهو ممن أنزل الله فيه "عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم الآية[1]. وهذا يؤكد أن ما أشار إليه الواحدي أو مقاتل بن سليمان لا يعدوا أن يكون بياناً للآية وإيضاحاً لها وليس سبباً صريحاً في سبب نزولها، والله أعلم.

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ١١٨).

المطلب الرابع: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1]

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ هذا إخبار من الله سبحانه في ثناياه الحث والحظ على الاقتداء والتأسي بخليل الله إبراهيم عليه السلام ومن معه في موضوع تجريد القلب حباً وبغضاً وولاءً وبراء لله تعالى وفي الله، قال أبو السعود[2] رحمه الله: (أيْ خصلةٌ حميدةٌ حقيقةٌ بأنْ يُؤتَسَى ويُقْتَدى بهَا)[3].

ويؤكد هذا المعنى عبد الكريم الخطيب رحمه الله حيث يقول: (والجملة الخبرية هنا، وهناك، مراد بها الطلب أي الأمر بالتأسى، لا مجرد الخبر، أي تأسّوا أيها المؤمنون بإبراهيم والذين معه، وقفوا من قومكم موقفهم من أقوامهم)[4].

---

(١) سورة الممتحنة (٤).

(٢) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. ولد بقرب القسطنطينية عام ٨٩٨، ودرس ودرس في بلاد متعددة، وتقلد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالروم ايلي. وأضيف إليه الإفتاء سنة ٩٥٢ هـ وكان حاضر الذهن سريع البديهة: (كتب الجواب مرارا في يوم واحد على ألف رقعة) باللغات العربية والفارسية والتركية، تبعا لما يكتبه السائل، وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه (إرشاد العقل السليم إلى مرايا الكتاب الكريم) توفي سنة ٩٨٢ه. الأعلام للزركلي (٧/ ٥٩).

(٣) تفسير أبي السعود (٨/ ٢٣٦).

(٤) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٩٠١).

والتعبير بقد ودخولها على الفعل الماضي لتأكيد موضوع الاقتداء والتأسي بخليل الله إبراهيم عليه السلام ومن معه في هذا المقام العظيم، يقول الطاهر بن عاشور رحمه الله: (وافتتاح الكلام بكلمتي قد كانت لتأكيد الخبر، فإن قد مع فعل الكون يراد بهما التعريض بالإنكار على المخاطب ولومه في الإعراض عن العمل بما تضمنه الخبر)[١].

والأسوة تطلق على الخصلة المؤتسى بها، وتطلق على الشخص بعموم فعاله وطريقته، يقول الألوسي رحمه الله: (هي بمعنى الائتساء والاقتداء، وتطلق على الخصلة التي من حقها أن يؤتسى ويقتدى بها، وعلى نفس الشخص المؤتسى به)[٢]، وقد يراد بها الاعتبار كذا عزاه الماوردي لابن قتيبة رحمهما الله[٣].

ووصف الأسوة بالحسنة زيادة في الترغيب فيها، وإلا فكلمة أسوة تعني الاقتداء والتأسي، والسير على الطريقة المرضية[٤].

" في إبراهيم والذين معه" وهذه الأسوة الحسنة في إبراهيم عليه السلام ومن معه وهم أتباعه المؤمنون به، وقيل: هم الأنبياء[٥]، قال الألوسي رحمه الله: (والظاهر أن المراد بالذين معه عليه السلام أتباعه المؤمنون، لكن قال الطبري وجماعة: المراد بهم الأنبياء الذين كانوا قريبا من عصره عليه وعليهم الصلاة والسلام لأنه عليه السلام، لم يكن معه وقت مكافحته قومه

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٤٣).
(٢) تفسير الألوسي (١٤/ ٢٦٣).
(٣) تفسير الماوردي (٥/ ٥١٨).
(٤) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (بتصرف) (٧/ ٥٥٣)
(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٦٦)

وبراءته منهم أتباع مؤمنون كافحوهم معه وتبرؤوا منهم، وأنت تعلم أنه لا يلزم وجود الاتباع المؤمنين في أول وقت المكافحة بل اللازم وجودهم ولو بعد، ولا شك في أنهم وجدوا بعد فليحمل من معه عليهم، ويكون التبري المحكي في قوله تعالى: "إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ" إلخ وقت وجودهم)[١].

وفي عطف الذين معه هنا وإن لم يكونوا معه وقت مكافحة أعدائه تنبيه لأهل الإيمان الذين هم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحفيز لهم لتكمل صورة الاقتداء والتأسي، فهم مأمورون وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتأسي بموقف إبراهيم ومن معه من قومه في البراء التام من أعداء الله تعالى ولو كانوا أقرب قريب، قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: (وعُطف "والذين معه" ليتم التمثيل لحال المسلمين مع رسولهم صلى الله عليه وسلم بحال إبراهيم عليه السلام والذين معه، أي أن يكون المسلمون تابعين لرضى رسولهم صلى الله عليه وسلم كما كان الذين مع إبراهيم عليه السلام)[٢].

﴿ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾

هذا بيان لوجه الاقتداء والتأسي بخليل الرحمن عليه السلام والفئة المؤمنة معه، وهو البراء التام من أعداء الله وقد جاء البراء في أكمل صوره قولاً، واعتقاداً، وفعلاً.

(١) تفسير الألوسي (١٤/ ٢٦٤)
(٢) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٤٣)

" إذ قالوا لقومهم" فلم يمنعهم رابط النسب والقرب أن يعلنوا براءتهم منهم، وفي معرض هذا الإخبار حث على الاقتداء، حيث أن حالهم مع قومهم كان أسوأ حالاً من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم مع قومهم، كما يلمح لذلك البقاعي رحمه الله بقوله: "إذ قالوا" وقد كان من آمن به أقل منكم وأضعف "لقومهم" الكفرة، وقد كانوا أكثر من عدوكم واقوى وكان لهم فيهم أرحام وقرابات ولهم فيهم رجاء بالقيام والمحاولات(١).

" إنا برءآؤا منكم" وأصل البراءة المفارقة، أي متبرئون منكم براءة عظيمة " منكم " وإن كنتم أقرب الناس إلينا ولا ناصر لنا منهم غيركم(٢).

وقولهم " ومما تعبدون من دون الله " كذكر السبب في إعلان البراءة منهم، وقولهم "من دون الله " مشعر بنقصهم وذلهم مع بيان عظمة الله تعالى، قال البقاعي رحمه الله: (ولما كانوا مشركين قالوا مستثنين ومبينين لسفول كل شيء عن متعالي مرتبة معبودهم (من دون الله) أي الملك الأعظم الذي هو كاف لكل مسلم)(٣).

" كفرنا بكم " بيان لقوله سبحانه: " إِنَّا بُرَآؤُا.." إلى آخره(٤)، وهو يحتمل وجهين: أحدهما: كفرنا بما آمنتم به من الأوثان، الثاني: بأفعالكم وكذبنا بها(٥).

"وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً" فقوله " وبدا" قال الجوهري رحمه الله: (بَدا

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (٧/ ٥٥٣)
(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (بتصرف يسير) (٧/ ٥٥٤).
(٣) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (٧/ ٥٥٤).
(٤) تفسير الألوسي (١٤/ ٢٦٤).
(٥) تفسير الماوردي (٥/ ٥١٨).

الأمر بُدُوًّا، مثل قعد قُعوداً، أي ظَهَرَ، وأَبْدَيْتُهُ: أَظْهَرْتُهُ)[١].

فقضية براءة إبراهيم عليه السلام مع قومه الذين أظهروا الكفر وأعلنوا العداء لله ونبيه ودينه كانت معلنة ظاهرة، ولذا عبر عنها بالفعل (بدا) وهو أمر مقصود في الاقتداء والتأسي بهم.

وقوله " العداوة والبغضاء " يؤكد أن العداء كان ظاهراً وباطناً، وقوله " أبداً" يشعر بأن العداء مستمر وليس بعارض ينتهي ويزول حتى يتحقق سبب زواله، قال البقاعي رحمه الله: ولما كان ذلك قد يكون سريع الزوال قالوا : "أبداً"[٢]، فنلحظ أن البراء قد وقع منهم في أكمل صوره، يقول السعدي رحمه[٣] الله: (فالبغض بالقلوب، وزوال مودتها، والعداوة بالأبدان، وليس لتلك العداوة والبغضاء وقت ولا حد، بل ذلك "أَبَدًا" ما دمتم مستمرين على كفركم)[٤].

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ ٢٢٧٨).

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (٧/ ٥٥٥)

(٣) عبدالرحمن بن ناصر السعدي ولد: (١٣٠٧ه) منح حياته للعلم والتعليم، وعرف منذ حداثة سنه برغبته القوية وحرصه الشديد على تحصيل العلم، وقد بارك الله في جهوده ووقته، فله مؤلفات تربو على خمسة وأربعين مؤلَّفاً في مختلف العلوم الشرعية،اهتم السعدي – رحمه الله – بعلم تفسير الكتاب اهتماماً بالغاً، بياناً وتأصيلاً واستنباطاً، وكتب تفسيره الذائع الصيت (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ثم لخصه في كتاب (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن) وكتب في أصول التفسير (القواعد الحسان لتفسير القرآن)، وله استنباطات فريدة قيدها في كتابه (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) استفاد منها خلق كثير إلى يومنا هذا، وهاهم تلاميذه اليوم يتولون قيادة المؤسسات العلمية والقضائية في المملكة العربية السعودية، توفي سنة(١٣٧٦هـــ). للاستزادة (صفحات من حياة علامة القصيم) للدكتور عبد الله بن محمد الطيار.

(٤) تفسير السعدي (ص: ٨٥٦).

" حتى تؤمنوا بالله وحده" هذا بيان للغاية التي ينتهي عندها البراء وما ينتج عنه من العداوة والبغضاء، وهي الإيمان بالله وحده، وإنما قيد الإيمان بالله بقوله " وحده" لأن المشركين كانوا يؤمنون بالله ويشركون به غيره قال البقاعي رحمه الله: (ولما كانوا يؤمنون به مع الإشراك) قالوا : (وحده) أي تكونوا مكذبين بكل ما يعبد من دونه)[١].

﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ لما كان المقام مقام اقتداء وائتساء، فقد كان ابراهيم يستغفر لأبيه المشرك، وأراد سبحانه أن تخلص القلوب ولاء وبراء له سبحانه، ولا يبقى فيها أدنى شائبة تكدر صفو هذا المبدأ العظيم، استثنى سبحانه استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه من الإقتداء والتأسي، قال ابن كثير رحمه الله: (وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم، ويقولون: إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه، فأنزل الله، عز وجل: " ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم" وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: "قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه" إلى قوله: "إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء")[٢].

" إلا قول إبراهيم لأبيه.." الاستثناء هنا إما متصل من قوله : " في إبراهيم " ولكن لا بد

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (٧/ ٥٥٥).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٧)

من حذف مضاف ليصح الكلام ، تقديره : في مقالات إبراهيم إلا قوله كيت وكيت، أو مستثنى من"أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" وجاز ذلك؛ لأن القول أيضاً من جملة الأسوة؛ لأن الأسوة الاقتداء بالشخص في أقواله وأفعاله ، فكأنه قيل : لكم فيه أسوة في جميع أحواله من قول وفعل إلا قوله كذا(١).

" لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء " هذا مقول قوله عليه السلام لأبيه، أي: أستغفرُ لكَ وليسَ في طاقتِي إلا الاستغفارُ فموردُ الاستثناءِ نفسُ الاستغفارِ لا قيدُهُ الذي هُو في نفسه من خصال الخيرِ لكونِه إظهاراً للعجزِ وتفويضاً للأمرِ إلى الله تعالَى(٢).

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ هذا الدعاء من جملة ما وصى الله تعالى به أن يأتسوا فيه بإبراهيم ومن معه، فيكون الدعاء من قولهم ونحن مأمورون بالاقتداء بهم فيه، وقد يكون هذا الدعاء توجيهاً منه سبحانه لعباده أن يدعوا بهذا الدعاء تتميماً لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار والائتساء بإبراهيم وقومه في البراءة منهم، وتنبيها على الإنابة إلى الله والاستعاذة به من فتنة أهل الكفر، والاستغفار مما فرط منهم(٣)، وقد رد أبو السعود رحمه الله أن يكون هذا الدعاء من تلقين الله للمؤمنين فإن السياق يدل على خلافه وهو أنه من جملة قول إبراهيم ومن معه فقال رحمه الله: (وأما جعلُ الآيتينِ تلقيناً للمؤمنينَ من جهتِهِ

(١) تفسير اللباب لابن عادل (ص: ٤٨٩١)
(٢) تفسير أبي السعود (٨/ ٢٣٧-٢٣٨).
(٣) تفسير الزمخشري (٤/ ٥١٤)

تعالَى وأَمراً لهم بأنْ يتوكلُوا عليهِ وينيبُوا إليهِ ويستعيذُوا بهِ من فتنةِ الكفرةِ ويستغفُرُوا مما فرطَ منهم تكملةً لما وصَّاهُم بهِ من قطعِ العلائقِ بينهُمْ وبينَ الكفرةِ فلا يساعدُهُ النظمُ الكريمُ)[١].

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ هذا من جملة الأسوة الحسنة بإبراهيم عليه السلام ومن معه، ويجوز أن يكون المعنى هو الأمر بهذا القول تعليما للمؤمنين وتتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة، والائتساء بإبراهيم وقومه في البراءة منهم[٢].

وينبه الرازي رحمه الله إلى لطيفة في سر الترتيب بين القضايا الثلاث في الآية التوكل والإنابة والمصير فيقول رحمه الله: (وإذا قيل: ما الفائدة في هذا الترتيب؟ فنقول: فيه من الفوائد مالا يحيط به إلا هو، والظاهر من تلك الجملة أن يقال: التوكل لأجل الإفادة، وإفادة التوكل مفتقرة إلى التقوى قال تعالى: "ومن يتق الله يجعل له مخرجا "والتقوى الإنابة، إذ التقوى الاحتراز عما لا ينبغي من الأمور، والإشارة إلى أن المرجع والمصير للخلائق حضرته المقدسة ليس إلا، فكأنه ذكر الشيء، وذكر عقيبه ما يكون من اللوازم للإفادة ذلك كما ينبغي)[٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٤] وهذا من جملة ما أمر به أهل الإيمان أيضاً من التأسي والاقتداء بإبراهيم علبه السلام ومن معه، فبعد

(١) تفسير أبي السعود (٨/ ٢٣٧-٢٣٨).
(٢) ينظر تفسير الرازي (٢٩/ ٥١٩)
(٣) تفسير الرازي (٢٩/ ٥١٩)
(٤) سورة الممتحنة (٥).

تبريهم من قومهم البراء الكامل، ألحوا على الله أن يعصمهم من الافتتان والضعف والنكوص.

والفتنة هنا: إما من إطلاق المصدر على اسم المفعول أي: مفتونين من قبل الذين كفروا إما بتسليطهم علينا، وصدنا عن الحق، أو مفتونين بمحبتهم، وموالاتهم والتأثر بهم، أو تكون الفتنة من إطلاق المصدر على اسم الفاعل، أي: لا تجعلنا فاتنين لهم، بأن تتغير أحوالنا، ويسوء أمرنا، وتضعف أحوالنا فيظنوا أنهم على الحق وأنا على الباطل(١).

" واغفر لنا ربنا" ووجه دعوتهم هذه كما يقول الرازي رحمه الله: (أنهم طلبوا البراءة عن الفتنة، والبراءة عن الفتنة لا يمكن وجودها بدون المغفرة)(٢).

ويقول الطاهر بن عاشور رحمه الله مبيناً وجه التناسق بين هذه الدعوات: (أعقبوا دعواتهم التي تعود إلى إصلاح دينهم في الحياة الدنيا بطلب ما يصلح أمورهم في الحياة الآخرة وما يوجب رضى الله عنهم في الدنيا فإن رضاهُ يفضي إلى عنايته بهم بتسيير أمورهم في الحياتين، وللإِشعار بالمغايرة بين الدعوتين عطفت هذه الواو و لم تعطف التي قبلها)(٣).

" إنك أنت العزيز الحكيم" ختمت هذه الدعوات المباركات بهذين الاسمين الكريمين لله تعالى كما يقول الطاهر رحمه الله: (تعليل للدعوات كلها فإن التوكل والإِنابة والمصير تناسب صفة "العزيز" إذ مثله يعامِل بمثل ذلك ، وطلبَ أن لا يجعلهم فتنة باختلاف معانيه يناسب صفة "الحكيم"وكذلك طلب المغفرة لأنهم لما ابتهلوا إليه أن لا يَجعلهم فتنة الكافرين وأن يغفر

(١) التحرير والتنوير (بتصرف) (٢٨/ ١٤٨).
(٢) تفسير الرازي (٢٩/ ٥٢٠).
(٣) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٤٨).

لهم رأوا أن حكمته تناسبها إجابة دعائهم لما فيه من صلاحهم وقد جاؤوا سائلينه)[١].

واقتران هذين الاسمين الكريمين يدل على أن (عزّة الله عزّة قائمة على الحكمة فكل ما يصدر عن قوة الله، وعزته، هو عن حكمة محكمة، لا عن هوى، وتسلط تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا)[٢].

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[٣] هذا تكرار للتأكيد على أمر التأسي بإبراهيم عليه السلام ومن معه في البراء التام من الكفار مهما كانت الصلة بهم، ولأهمية هذا المقام مقام الموالاة والمعاداة في الله تعالى جاء التكرار هنا مؤكداً بأبلغ صيغ التأكيد، يقول الزمخشري رحمه الله: (ثم كرّر الحث على الائتساء بإبراهيم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم، ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لأنه الغاية في التأكيد، وأبدل عن قوله " لَكُمْ " قوله " لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ " وعقبه بقوله " وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ " فلم يترك نوعا من التأكيد إلا جاء به)[٤].

" لمن كان يرجو الله واليوم الآخر " هذا بدلٌ من "لكُم" فائدَتُهُ الإيذانُ بأنَّ مَن يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخرِ لا يتركُ الاقتداءَ بهم وأنَّ تركَهُ منْ مخايل عدمِ الإيمان بهما كما ينبئ عنه قولُهُ

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٤٩).
(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٩٠٠).
(٣) سورة الممتحنة (٦).
(٤) تفسير الزمخشري (٤/ ٥١٤).

تعالَى "وَمِنَ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الغنى الحميد" فإنَّهُ مما يوعَدُ بأمثالِهِ الكفرةُ[١].

" يرجو الله " أي ثوابه تعالى أو لقاءه سبحانه، " واليوم الآخر" نعيم الآخرة أو أيام الله تعالى واليوم الآخر خصوصا[٢].

" ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد" هذا تحذير من العود لما نُهوا عنه، ويتولى: أي يعرض عن أمر الله ومراده، وللطاهر رحمه الله وجه آخر في " ومن يتولَّ " يناسب سياق الآية في التحذير من موالاة الكفار فيقول رحمه الله: ("يتول" مضارع تولّى ، فيجوز أن يكون ماضيه بمعنى الإِعراض ، أي من لا يرجو الله واليوم الآخر ويعرض عن نهي الله فإن الله غنيّ عن امتثاله، ويجوز عندي أن يكون ماضيه من التولي بمعنى اتخاذ الوَلي ، أي من يتخذ عدو الله أولياء فإن الله غنيّ عن ولايته كما في قوله تعالى "ومن يتولّهم منكم فإنه منهم في سورة العقود")[٣].

" الغني الحميد" يقول الطاهر رحمه الله في بيان الحكمة من عطف الحميد على الغني هنا: (وإتْباع "الغني" بوصف " الحميد" تتميم، أي الحميد لمن يمتثل أمره ولا يعرض عنه أو الحميد لمن لا يتخذ عدوه ولياً على نحو قوله تعالى " إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم")[٤].

---

(١) تفسير أبي السعود (٨/ ٢٣٨).
(٢) تفسير الألوسي (بتصرف يسير) (١٤/ ٢٦٧).
(٣) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٥٠).
(٤) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٥٠).

﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[١]

هذا وعد من الله الكريم سبحانه لعباده المؤمنين حين امتثلوا أمره، والتزموا مراده في معاداة أعدائه، والتبري من المشركين، وعدهم سبحانه لما علم في قلوبهم من حرص على أهليهم وأقربيهم وإرادة الخير لهم، وعدهم بأن يهيئ من الأسباب المشروعة ما يزيل ذلك العداء، ويحيله إلى مودة وصفاء.

قال الزمخشري رحمه الله: (ولما نزلت هذه الآيات: تشدّد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من المشركين ومقاطعتهم، فلما رأى الله عز وجل منهم الجدّ والصبر على الوجه الشديد وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة: رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه، فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بأمنيتهم فأسلم قومهم، وتمّ بينهم من التحاب والتصافي ما تمّ)[٢].

" عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة" وقد أتم الله تعالى وعده بأن شرح صدور فئام من المشركين للإسلام فزالت أسباب العداء، وموجبات البغضاء، واستحال البعد قرباً، والبغض حباً رحمة من الله تعالى، قال المراغي رحمه الله: (لعل الله يجعل بينكم وبين أعدائكم من كفار مكة محبة بعد البغض، ومودة بعد النفرة، وألفة بعد الفرقة، والله قدير على

(١) سورة الممتحنة (٧).
(٢) تفسير الزمخشري (٤/ ٥١٥).

ما يشاء، فيؤلف بين القلوب بعد العداوة)[١].

" والله قدير والله غفور رحيم " ومناسبة ختم الآية بذكر قدرة الله تعالى ومغفرته ورحمته جلية، قال الألوسي: ("وَاللَّهُ قَدِيرٌ" مبالغ في القدرة فيقدر سبحانه على تقليب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة "وَاللَّهُ غَفُورٌ" مبالغ في المغفرة فيغفر جل شأنه لما فرط منكم في موالاتهم رَحِيمٌ مبالغ في الرحمة فيرحمكم عز وجل بضم الشمل واستحالة الخيانة ثقة وانقلاب المقت مقة[٢])[٣].

" والله غفور رحيم" ويدخل في ذلك مغفرته ورحمته للكافرين حيث رحمهم بأن شرح صدورهم للإسلام فغفر لهم ما قد سلف قال ابن كثير رحمه الله: (يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأنابوا إلى ربهم وأسلموا له، وهو الغفور الرحيم بكل من تاب إليه، من أي ذنب كان)[٤]..

(١) تفسير المراغي (٢٨/ ٦٩).
(٢) تفسير الألوسي (١٤/ ٢٦٨).
(٣) ومِقَه: أحبّه، وتومّق: تودّد. قَالَ رؤبة: وَقد أَرَانِي مرِحاً مُفَنَّقا زيرا أُماني وُدَّ مَنْ تومَّقا. تاج العروس (٢٦/ ٤٨٤).
(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٩).

المطلب الخامس: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع

بعد أن نهى الله تعالى عباده المؤمنين عن موالاة الكفار في صدر هذه السورة الكريمة، ضرب لهم أنموذجاً حياً وأسوة واقعية قامت بهذا المقام – مقام الولاء والبراء– على أعلى صوره وأتم مقاماته، وهم خليل الله إبراهيم عليه السلام والفئة المؤمنة معه، وبين سبحانه أن برائتهم من المشركين كانت بالقول " إذ قالوا لقومهم إنا براؤا منكم..." وكانت بالاعتقاد حيث قالوا " كفرنا بكم..." أي بأصنامكم وما أنتم عليه من الكفر، كما كانت البراءة بالفعل حيث أعلنوا عداوتهم لقومهم ما داموا مصرين على الكفر " وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً..." وقد جعلوا لذلك العداء أمداً واحداً وهو أن يكف الكفار عن كفرهم، ويقلعوا عن محادتهم لله عندها يستحيل البغض حباً والبعد قرباً، ونبه سبحانه عباده أن هذه القدوة وذلك الإتساء شامل في كل ما كان عليه إبراهيم عليه السلام والمؤمنون معه مع قومهم إلا ما كان من استغفار إبراهيم عليه السلام لإبراهيم فإنه لا اقتداء فيه لأنها حالة خاصة لها ملابساتها وذلك أن استغفاره عليه السلام لأبيه كان عن وعد بالإسلام فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، ومن جوانب القدوة بإبراهيم عليه السلام ومن معه عظيم التجائهم إلى الله تعالى، وتضرعهم له، واعتصامهم به أن يثبتهم على ما هم عليه من الحق، بأن لا يكونوا فتنة للذين كفروا، ثم يأتي التأكيد منه سبحانه في أتم صور التأكيد على الاقتداء والإتساء بهم في برائتهم من قومهم، وأنه لن ينشرح لذلك ولن يقوم به على أكمل وجه إلا من امتلأ قلبه رجاء في الله، وفي موعوده، وخوفاً من المقام الأعظم بين يدي الله سبحانه، ويأتي التهديد في حق من تولى عن أمر الله و لم يلتزم هذا المقام العظيم بالتعريض بغنى الله تعالى عنه، وعن عبادته وأنه لن يضر حال عناده وإصراره على موالاة الكفار إلا نفسه، وتختم الآيات بالبشارة من الله تعالى للفئة المؤمنة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين علم سبحانه صدقهم، وعظيم امتثالهم لأمره في برائتهم من المشركين ولو كانوا أقرب قريب، وعدهم سبحانه وبشرهم بأن يزيل أسباب العداوة بينهم، بأن يشرح صدور فئام منهم للإسلام فيكونوا وإياهم في صف واحد فيستحيل البغض حباً والبعد قرباً، فالله قادر على ذلك إن شاء، ووعد بمغفرة ذنوب عباده، وقبول توبتهم تفضلاً منه وتكرماً.

المطلب السادس: ما ترشد إليه آيات الموضوع

١ / في قوله تعالى " قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه...." وقوله " لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة...." دليل على أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يخالف شرعنا قال القرطبي رحمه الله: (والآية نص في الأمر بالاقتداء بإبراهيم عليه السلام في فعله، وذلك يصحح أن شرع من قبلنا شرع لنا فيما أخبر الله ورسوله)[١].

٢ / في ذكر إبراهيم عليه السلام وقومه كأنموذج في تطبيق مبدأ البراء بعد الأمر به والنهي عن ضده، وهو موالاة الكفار ولو كانوا أقرب قريب، دلالة على أهمية القدوة الصالحة في ترسيخ المبادئ وتعزيز القيم.

٣ / جاء البراء في موقف إبراهيم عليه السلام، وقومه من أعداء الله في أكمل صوره، حيث ورد ذلك منهم قولاً " إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم..." واعتقاداً " كفرنا بكم..."، وفعلاً " وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً..." ولعل هذا سبب في اختيارهم أنموذجاً صالحاً، وقدوة مباركة، في هذا المقام العظيم.

٤ / في قوله تعالى " وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً..." بيان أن البراء ممن حاد الله ورسوله عقيدة دائمة في قلب العبد، وليس أمراً عارضاً، قال الألوسي رحمه الله: (هذا دأبنا معكم لا نتركه حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك فتنقلب

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٥٦)

العداوة ولاية والبغضاء محبة)[١].

٥ / القيد بكلمة (وحده) في قوله تعالى " حتى تؤمنوا بالله وحده " تأكيد على ركني شهادة التوحيد، النفي والإثبات، وذلك أن أهل الشرك، ربما آمنوا بالله تعالى، ولكنهم يشركون معه غيره، ولذا أكد الإيمان بالله هنا بقوله " وحده " ليؤكد على أن الإيمان لا يكون إلا بالكفر التام بكل ما يعبد من دون الله تعالى، وحصر العبودية في الله وحده، لا شريك له.

٦ / في قوله تعالى في الاقتداء بإبراهيم عليه السلام " إلا قول إبراهيم لأبيه..." تفضيل لنبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء والرسل عليهم السلام وذلك أنَّا أمرنا باتباع هديه واقتفاء أثره في كل ما سنه لنا، قال القرطبي رحمه الله: (وفي هذا دلالة على تفضيل نبينا عليه الصلاة والسلام على سائر الأنبياء ؛ لأنا حين أمرنا بالاقتداء به أمرنا أمرا مطلقا في قوله تعالى : {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} وحين أمرنا بالاقتداء بإبراهيم عليه السلام استثنى بعض أفعاله) [٢].

٧ / في قوله تعالى" إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء..." دليل على حرمة الاستغفار لمن مات على الشرك ولو كان أقرب قريب قال النووي رحمه الله: (وَأَمَّا) الصَّلَاةُ عَلَى الْكَافِرِ وَالدُّعَاءُ لَهُ بِالْمَغْفِرَةِ فَحَرَامٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ

(١) تفسير الألوسي (١٤/ ٢٦٤)
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٥٧)

وَالْإِجْمَاعِ[١]، وكذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فَإِنَّ الِاسْتِغْفَارَ لِلْكَفَّارِ لَا يَجُوزُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ)[٢].

هذا في حق الكافر الذي تيقنا موته على الكفر، أما الكافر الحي فقد اختلف أهل العلم في جواز الدعاء له بالرحمة والاستغفار له، فكثير من أهل العلم على جوازه خصوصاً إن كان الدعاء بقصد الهداية وانشراح صدره للحق وزوال عائق الكفر من قلبه، قال القرطبي رحمه الله: (وَقَدْ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ: لَا بَأْسَ أَنْ يَدْعُوَ الرَّجُلُ لِأَبَوَيْهِ الْكَافِرَيْنِ وَيَسْتَغْفِرَ لَهُمَا مَا دَامَا حَيَّيْنِ. فَأَمَّا مَنْ مَاتَ فَقَدِ انْقَطَعَ عَنْهُ الرَّجَاءُ فَلَا يُدْعَى لَهُ[٣]، وقال الألوسي رحمه الله: والتحقيق في هذه المسألة أن الاستغفار للكافر الحي المجهول العاقبة بمعنى طلب هدايته للإيمان مما لا محذور فيه عقلا ونقلا)[٤].

٨ / في دعاء إبراهيم عليه السلام ومن معه بـــ (ربنا..ربنا) هكذا بدون أداة النداء، دلالة واضحة على عظيم قرب الله تعالى من عباده، وإحاطته بهم، قال البقاعي رحمه الله: (فقالوا داعين بإسقاط الأدة للدلالة على غاية قربه سبحانه بما له من الإحاطة)[٥].

٩ / في قوله تعالى " ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا..." بيان أن من أسباب صد الكفار وإعراضهم عن الحق حال الضعف والهوان الذي يعيشه أهل الإيمان.

---

(١) المجموع شرح المهذب (٥/ ١٤٤).
(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٨٩).
(٣) تفسير القرطبي (٨/ ٢٧٤).
(٤) تفسير الألوسي (٨/ ٤١٨).
(٥) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (٧/ ٥٥٦).

١٠ / ولعظم شأن البراءة من الشرك وأهله في الشريعة، جاء التكرار للتأكيد على ضرورة الائتساء بإبراهيم عليه السلام، ومن معه، في برائتهم من المشركين، في أعلى صوره، مصدراً بالقسم " لقد كان لكم فيهم أسوة..." ثم رغبهم في ذلك وشوقهم إليه بقوله " لمن كان يرجو الله واليوم الآخر..." ثم عقب بالتهديد، والتخويف، والتقريع بقوله " ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد" قال الزمخشري رحمه الله: (فلم يترك نوعاً من التأكيد إلا جاء به) [١].

١١ / في قوله تعالى " لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر..." دلالة على أهمية الإيمان باليوم الآخر، واستشعار المقام بين يدي الله تعالى، وأثر ذلك في امتثال الأمر، واجتناب النهي، قال السعدي رحمه الله: (فإن الإيمان واحتساب الأجر والثواب، يسهل على العبد كل عسير، ويقلل لديه كل كثير، ويوجب له الإكثار من الاقتداء بعباد الله الصالحين، والأنبياء والمرسلين، فإنه يرى نفسه مفتقرا ومضطرا إلى ذلك غاية الاضطرار) [٢].

١٢ / إن قوله تعالى " عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم" يملأ قلوب الدعاة الصادقين أملاً في استجابة المكاشحين بالعداء للإسلام وأهله، مما يورثهم صبراً، واجتهاداً، وحلماً رجاء أن يستجيبوا لداعي الله تعالى، كما يجنبهم مسلك الغلظة، والجفوة لمن يدعونهم مهما عظم عدائهم للإسلام وأهله ما لم

---

(١)تفسير الزمخشري (٤/ ٥١٤).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٥٦).

يظهروا ذلك ويعلنوا به.

١٣ / كما يستفاد من قوله تعالى " عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم" أن لا يبالغ المرء في قطيعة وهجر من يبغض، ويعادي، فقد تتغير الأحوال، وتتبدل الأمور، فيبقى الرجوع إلى الإلف بعد البغي والعداء والمبالغة فيهما متعسراً، قال الرازي رحمه الله معلقاً على الآية الكريمة: (قال بعضهم: لا تهجروا كل الهجر، فإن الله مطلع على الخفيات والسرائر، ويروى: أحبب حبيبك هونا ما، عسى أن يكون بغيضك يوما ما)[1].

١٤ / في قوله سبحانه " والله قدير" في سياق هذه الآية الكريمة دلالة على أن من مظاهر قدرة الله تعالى قذف الإيمان في قلوب الطغاة العتاة المناوئين، فالله ينيخهم للحق، ويسلم قيادهم له، ويقابل ذلك حيلولته سبحانه بين المرء وقلبه، مما يجعل المرء دائم الصلة بالله، عظيم الضراعة إليه بأن يشرح صدره للحق، ويحفظ قلبه من الزيغ.

(١) تفسير الرازي (٢٩/ ٥٢٠).

المبحث الثالث

قاعدة إسلامية في العلاقات الفردية والدولية. (الآيتان ٨، ٩)

وفيــه ستة مطالــب: -

- المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.
- المطلب الثاني: التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق.
- المطلب الثالث: سبب النزول.
- المطلب الرابع: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.
- المطلب الخامس: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.
- المطلب السادس: ما ترشد إليه آيات الموضوع.

* * * * * *

قاعدة إسلامية في العلاقات الفردية والدولية

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1]

(١) سورة الممتحنة: ٨ - ٩

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

لقد ارتبطت آيات هذا الموضوع بمحور السورة وموضوعها الرئيس، فهي في نطاق تحديد معالم الولاء والبراء، فما دام أن هؤلاء الكفرة لم يتعرضوا لأعز ما لديكم وهو دينكم، ولم يبدأوكم بالظلم، فلا يمنع تبريكم منهم، وتجرد قلوبكم من حبهم وموالاتهم، من أن تحسنوا إليهم وتعاملوهم بالقسط والعدل والرحمة والإنصاف، هذا في أول آيات هذا الموضوع.

أما الآية الثانية فإنا نلحظ أنها جاءت متسقة مع ما سبقها من آيات في صدر هذه السورة الكريمة، فقد جاءت لتأكيد مبدأ البراء التام من كل من يظهر العداء للإسلام وأهله، وتحذر غاية التحذير من محبة وموالاة من هذه صفته.

المطلب الثاني: التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق

يعد هذا التوجيه الكريم من رحمة الله تعالى بعباده، ومن مراعاة ما جبلت عليه نفوسهم من محبة الخير والبر والإحسان لمن تربطهم بهم وشيجة أياً كانت، خصوصاً وشيجة القربى وهو كالتوطئة لانشراح صدور فئام من المشركين للإسلام، يقول الزمخشري رحمه الله: وهذا أيضاً رحمة لهم لتشدّدهم وجدّهم في العداوة متقدّمة لرحمته بتيسير إسلام قومهم ، حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين وإخراجهم من ديارهم(١)، ويقول سيد رحمه الله: (وإلى أن يتحقق وعد الله الذي دل عليه لفظ الرجاء رخص الله لهم في موادة من لم يقاتلوهم في الدين و لم يخرجوهم من ديارهم. ورفع عنهم الحرج في أن يبروهم، وأن يتحروا العدل في معاملاتهم معهم فلا يبخسوهم من حقوقهم شيئا)(٢).

وهو رخصة بعد عزيمة، فقد علم الله من قلوب عباده رحمتهم، وحنوهم، على أقربيهم خصوصاً من لم يظهروا العداء، و لم يبدأوا بالبغضاء، يقول الرازي رحمه الله: (ثم إنه تعالى بعد ما ذكر من ترك انقطاع المؤمنين بالكلية عن الكفار رخص في صلة الذين لم يقاتلوهم من الكفار فقال: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين....")(٣).

يقول الدكتور وهبة الزحيلي في بيان ارتباط الآية الأولى من هاتين الآيتين بما سبق من

---

(١) تفسير الزمخشري (٤/ ٥١٥).
(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٤٤).
(٣) تفسير الرازي (٢٩/ ٥٢٠).

آيات:

(بعد النهي عن موالاة الكافرين، والحث على القطيعة بالتأسي بإبراهيم ومن معه، ثم تهوين الأمر على المؤمنين بإخبارهم أن الله قادر على تغيير أوضاع المشركين من الكفر إلى الإيمان رخّص الله تعالى في صلة الذين لم يقاتلوا المؤمنين من الكفار، ولم يخرجوهم من ديارهم، ولم يعاونوا على إخراجهم)[١].

وأما ارتباط الآية الثانية بسياق الآيات فواضح جلي، فهي تسير في مساق ما سبقها من آيات السورة، في تأكيد النهي عن موالاة الكفار المناوئين المعادين، والتغليظ في ذلك.

وفي الآيتين توجيه ظاهر للمؤمنين، وقد وصلوا منزلة مرضية في البراء من الكفر وأهله يقول السعدي رحمه الله: (ولما نزلت هذه الآيات الكريمات، المهيجة على عداوة الكافرين وقعت من المؤمنين كل موقع، وقاموا بها أتم القيام، وتأثموا من صلة بعض أقاربهم المشركين وظنوا أن ذلك داخل فيما نهى الله عنه، فأخبرهم الله أن ذلك لا يدخل في المحرم)[٢].

(١) التفسير المنير للزحيلي (٢٨/ ١٣٥).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٥٦).

المطلب الثالث: سبب النزول

قال ابن كثير رحمه الله: (وقوله تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم" أي لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم....قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا هشام بن عروة، عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء -هي بنت أبي بكر، رضي الله عنهما-قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: "نعم، صلي أمك" أخرجاه[١]، وقال الإمام أحمد: حدثنا عارم، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا مصعب بن ثابت، حدثنا عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا: صناب وأقط وسمن وهي مشركة، فأبت أسماء أن تقبل هديتها تدخلها بيتها، فسألت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله، عز وجل: {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين} إلى آخر الآية، فأمرها أن تقبل هديتها، وأن تدخلها بيتها، وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث مصعب بن ثابت، به، وفي رواية لأحمد وابن جرير: "قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد، من بني مالك بن حسل، وزاد ابن أبي حاتم: (في المدة التي كانت بين قريش، ورسول الله صلى الله عليه وسلم)[٢].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له كتاب (الهبه) باب (الهداية للمشركين) حديث رقم (٢٦٢٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الزكاة) باب (فضل النفقة والصدقة على الأقربين و الزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين) حديث رقم (١٠٠٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٩٠) .

المطلب الرابع: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾ هذه رخصة من الله عز وجل في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين و لم يقاتلوهم فقال: " لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ " أي: لا ينهاكم الله عن برّ الذين لم يقاتلوكم[1]، ولعل في تقديم عداوتهم في الدين على إخراجهم من ديارهم، مع عِظَمه على نفوسهم، تعظيماً لشأن الدين في نفوس أهله، وأنه لا يُقدَّم عليه شيء مهما عظم وعز.

واختلف في تحديد الكفار المعنين في الآية الكريمة، وهل الآية محكمة، أو منسوخة بآية القتال؟ ولعل إبقاء الآية على عمومها، وإحكامها هو الأولى فالله تعالى يأذن لعباده في البر والعدل مع من لم يصدر منهم قتال لأجل الدين والعقيدة، أو عدوان وظلم بالإخراج من الديار، من الكفار بمختلف مللهم ونحلهم، وقد رجح ذلك ابن جرير رحمه الله ورد دعوى النسخ في الآية بقوله: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك: {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين} من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم إن الله عز وجل عم بقوله: الذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم جميع من كان ذلك صفته فلم يخصص به بعضا دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ، لأن بر المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب،

(١) توفيق الرحمن في دروس القرآن (بتصرف يسير) (٤/ ٢٦٢).

أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرم ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح، قد بين صحة ما قلنا في ذلك الخبر الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء وأمها)[١]، كما عزا ابن عادل الحنبلي رحمه الله القول بإحكام الآية إلى عامة أهل التفسير محتجين بحديث أسماء الآنف الذكر[٢]، وقد ساق الشيخ عطية محمد سالم[٣] رحمه الله في تتمته على الأضواء عدداً من مرجحات الإحكام في الآية فقال: (ومما ينفي النسخ عدم التعارض بين هذا المعنى، وبين آية السيف، لأن شرط النسخ التعارض، وعدم إمكان الجمع ومعرفة التاريخ، والجمع هنا ممكن والتعارض منفي، وذلك لأن الأمر بالقتال لا يمنع الإحسان قبله، كما أن المسلمين ما كانوا ليفاجئوا قوما بقتال حتى يدعوهم إلى الإسلام وهذا من الإحسان قطعا، ولأنهم قبلوا من أهل الكتاب الجزية،

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٧٤).

(٢) تفسير اللباب لابن عادل ـــ (ص: ٤٨٩٣).

(٣) الشيخ عطية محمد سالم هو أحد علماء المدينة المنورة، وقد ولد عام ١٣٤٦ هـــ ١٩٢٥ م بقرية المهدية إحدى قري محافظة الشرقية بمصر. وكانت بدايته كأبناء الريف فى كتاتيب القرية. انتقل بعدها الي المدرسة الأولية، وكانت مدة الدراسة بها خمسة سنوات. ثم واصل دراسته الدينية بعد مجيئه الي المدينة المنورة عام ١٣٦٤ هـــ فى حلقات المسجد النبوي الشريف، ومن مشائخه: الشيخ عبد الرحمن الإفريقي، الشيخ حماد الأنصاري، الشيخ محمد بن تركي، الشيخ محمد الحركان، وأما الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – فقد صحبه طالباً وتلميذاً فى حلقاته وفى رحلاته علاقة الولد والتلميذ مع شيخه حيث من الله عليه بعد ذلك أن أكمل تفسير "أضواء البيان" بعد أن توفي الشيخ رحمه الله، ومن مؤلفاته (عمل أهل المدينة)تأصيل لحجية عمل أهل المدينة عند الإمام مالك ردا على كتاب محمد بن الحسن في نقده لعمل أهل المدينة (الحجة على أهل المدينة) وكتاب (موقف الأمة من إختلاف الأئمة).

وكتاب (آيات الهداية والاستقامة في كتاب الله تعالى) (مجلدين) . ينظر: المعجم الجامع في تراجم المعاصرين (ص: ٢٣٠).

وعاملوا أهل الذمة بكل إحسان وعدالة، وقصة الظعينة في صحيح البخاري صاحبة المزادتين لم يقاتلوها أو يأسروها أو يستبيحوا ماءها بل استاقوها بمائها لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخذ من مزادتيها قليلا، ودعا فيه ورده، ثم استقوا وقال لها: اعلمي أن الله هو الذي سقانا و لم تنقص من مزادتيك شيئا، وأكرموها وأحسنوا إليها، وجمعوا لها طعاما، وأرسلوها في سبيلها فكانت تذكر ذلك، وتدعو قومها للإسلام، وقصة ثمامة لما جيء به أسيرا وربط في سارية المسجد، وبعد أن أصبح عاجزا عن القتال لم يمنعهم من الإحسان إليه، فكان يراح عليه كل يوم بحليب سبع نياق حتى فك أسره فأسلم طواعية، وهكذا نص قوله تعالى: "ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله" الآية، ومعلوم أنه لم يكن ثم أسير بيد المسلمين إلا من الكفار، وفي سنة تسع وهي سنة الوفود، فكان يقدم إلى المدينة المسلمون وغير المسلمين، فيتلقون الجميع بالبر والإحسان كوفد نجران وغيرهم وهاهو ذا وفد تميم جاء يفاخر ويفاوض في أسارى له، فيأذن لهم – صلى الله عليه وسلم – ويستمع مفاخرتهم ويأمر من يرد عليهم من المسلمين، وفي النهاية يسلمون ويجيزهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالجوائز، وهذا أقوى دليل على عدم النسخ، لأن وفدا يأتي متحديا مفاخرا لكنه لم يقاتل و لم يظاهر على إخراجهم من ديارهم، وجاء في أمر جار في عرف العرب فجاراهم فيه – صلى الله عليه وسلم – بعد أن أعلن لهم أنه ما بالمفاخرة بعث، ولكن ترفقا بهم، وإحسانا إليهم، وتأليفا لقلوبهم، وقد كان فأسلموا، وهذا ما تعطيه جميع الأقوال التي

قدمناها)[١].

﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك " أَن تَوَلَّوْهُمْ " من "الذين قاتلوكم ": والمعنى : لا ينهاكم عن مبرّة هؤلاء ، وإنما ينهاكم عن تولي هؤلاء، وهذا أيضاً رحمة لهم لتشدّدهم وجدّهم في العداوة متقدّمة لرحمته بتيسير إسلام قومهم، حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين وإخراجهم من ديارهم)[٢]، والمقصود بالبر هنا الإحسان بكل صوره وأنواعه، جاء في لسان العرب: اختلف العلماء في تفسير البر فقال بعضهم: البر الصلاح وقال بعضهم: البر الخير قال ولا أَعلم تفسيراً أَجمع منه لأَنه يحيط بجميع ما قالوا، وبرّ رحمه يَبَرُّ إِذا وصله [٣]، ومعنى تبروهم هنا: تحسنوا إليهم[٤].

(إلا أن يكون في ذلك دلالة لهم، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح كما أشار إلى ذلك ابن جرير رحمه الله) [٥].

" وتقسطوا إليهم " وهذا من جملة ما أذن الله تعالى فيه للمؤمنين في معاملة من لم يبدأهم العداء، و لم يظهر لهم البغضاء من الكفار، قال الماوردي حمه الله: (فيه وجهان: أحدهما: يعني

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/ ٩٣).
(٢) تفسير الزمخشري (٤/ ٥١٥).
(٣) لسان العرب (١/ ٢٥٢).
(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٩٠).
(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٧٤).

وتعدلوا فيهم قاله ابن حبان فلا تغلوا في مقاربتهم ، ولا تسرفوا في مباعدتهم، الثاني: معناه أن تعطوهم قسطاً من أموالكم ، حكاه ابن عيسى)[١]. وقال ابن عادل رحمه الله مرجحاً القول الثاني وهو إعطائهم قسطاً من أموالكم: وقوله:"وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ"أي : (تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلة ، وليس يريد به من العدل ، فإن العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل)[٢].

" إن الله يحب المقسطين " (هذا تذييل ، أي يحب كل مقسط فيدخل الذين يقسطون للذين خالفوهم في الدين إذا كانوا مع المخالفة محسنين معاملتهم)[٣]، وهو كالتعليل للأمر بالقسط مع أولئك.

﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ في هذه الآية عود على مبدأ العداء والبراء التام من أهل الكفر المناوئين، وهي كالاحتراز من الإذن في الآية التي سبقتها إلى ذلك يلمح الطاهر رحمه الله بأن الآية سيقت (لرد اعتقاد من ظن أو شكَّ في جواز صلة المشركين على الإِطلاق . والذين تحققت فيهم هذه الصفات يوم نزول الآية)[٤].

---

(١) تفسير الماوردي (٥/ ٥٢٠).
(٢) تفسير اللباب لابن عادل (ص: ٤٨٩٣).
(٣) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٥٣).
(٤) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٥٣).

" قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم " هم كفار مكة عزا ذلك ابن جرير رحمه الله، إلى مجاهد رحمه الله[١]، ولا شك أن المقصود بحكمها كل من اتصف بهذه الصفة على مر التاريخ، والقيد بالقتال للدين هنا يخرج القتال لخلاف دنيوي وفي ذلك القيد تأكيد لأن تكون العداوة في الله سبحانه، وعطف المظاهرة على الإخراج هنا والعطف يقتضي المغايرة لأن من المشركين من سعى في إخراج المؤمنين، وباشروا ذلك، ومنهم من أعان على إخراجهم) [٢].

" وظاهروا على إخراجكم" عاونوا من أخرجكم من دياركم على إخراجكم[٣].

" أن تولوهم" بدل من قوله تعالى " قاتلوكم" فالنهي متوجب في حق من هذه صفته.

" ومن يتولهم فألئك هم الظالمون" هذا تأكيد للوعيد على موالاتهم[٤]، وهو تأكيد للنهي عن موالاة الكفار، وجيء بالحصر هنا بالتعبير بـــ(هم) للمبالغة في وصفه بالظلم[٥]، ووجه وصفهم بالظلم هنا إما لأنهم وضعوا الولاية في غير موضعها فوالوا من يستحق العداء، وهذا معنى الظلم، وهو وضع الشيء في غير موضعه، أو لأنهم ظلموا أنفسهم حين عرضوها للعذاب بمخالفة أمر الله تعالى، حيث والوا من أمر سبحانه بعدائهم[٦].

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٧٥).
(٢) ينظر تفسير المراغي(بتصرف) (٢٨/ ٧٠) .
(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٧٤).
(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ٩١).
(٥) ينظر تفسير الألوسي (١٤/ ٢٧٠).
(٦) تفسير أبي السعود (بتصرف) (٨/ ٢٣٩).

المطلب الخامس: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع

هذه رخصة من الله تعالى لعباده المؤمنين الذين امتلأت قلوبهم بتعظيم أمره سبحانه في البراء التام من الكفر وأهله ولو كانوا أقرب الناس وأحبهم، فأذن الله تعالى لهم بالبر والإحسان، والعدل والإنصاف، في حق كل كافر لم يعادهم في دينهم، و لم يعن من يعاديهم، وجعل ذلك من المقامات التي يحبها سبحانه من عباده ويرضاها لهم، وبين لهم أن النهي عن إبداء أي نوع من أنواع الموالاة منحصر في من اتشح بالعداء المباشر لأهل الإسلام لأجل الدين، أو كان عوناً لغيره من أهل الكفر في إيقاع الأذى بالمسلمين، وشدد عليهم سبحانه في موالاة من هذه صفته، ونعته بالظلم والحيف، حيث والى من حقه العداء، وقرَّب من حقه الإبعاد، وأحب من حقه البغض.

المطلب السادس: ما ترشد إليه آيات الموضوع

١/ في قوله تعالى " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين..." الآية، دلالة على جواز البر والإحسان للكافر ما لم يكن محارباً، ومن ذلك القيام لأجل قعوده إذا كان محتاجاً لذلك لكونه كبير السن لا يقدر على القيام أو مريضاً ونحوه، بل قد يكون ذلك مستحباً، وله به أجر إذا استحضر فاعله نية دعوته للإسلام ببيان سماحته وحسن أخلاق معتقديه، قال الفخر الرازي رحمه الله: وقال أهل التأويل: (هذه الآية تدل على جواز البر بين المشركين والمسلمين، وإن كانت الموالاة منقطعة)[١]، وفي مسند الإمام أحمد من حديث مالك بن جعشم[٢] أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (في كل ذات كبد حرّاء أجر)[٣].

٢ / في تقديم شأن الدين في قوله تعالى" لم يقاتلوكم في الدين" تحديد للقضية الأساس التي هي محل النزاع، والخصام، بين أهل الإيمان وخصومهم، وهي قضية الدين والإعتقاد، يقول سيد رحمه الله: (ثم هي القاعدة التي تتفق مع التصور الإسلامي الذي يجعل

---

(١) تفسير الرازي (٢٩/ ٥٢١).

(٢) مالك بن مالك بن جعشم المدلجيّ، ابن أخي سراقة، أخرج البخاريّ، من طريق الزهريّ، عن عبد الرّحمن بن مالك بن جعشم هذا عن أبيه، عن سراقة، قصّة الهجرة، ولم أرهم ذكروا مالك بن جعشم، فكأنه مات في الجاهليّة، فيكون لولده مالك إدراك إن لم يكن له صحبة. الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٢١٦).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٩/١٢٠) حديث رقم (١٧٥٨١).

القضية بين المؤمنين ومخالفيهم هي قضية هذه العقيدة دون غيرها ويجعل القيمة التي يضن بها المؤمن ويقاتل دونها هي قضية العقيدة وحدها. فليس بينهم وبين الناس ما يتخاصمون عليه ويتقاتلون إلا حرية الدعوة وحرية الاعتقاد، وتحقيق منهج الله في الأرض، وإعلاء كلمة الله، وهذا التوجيه يتفق مع اتجاه السورة كلها إلى إبراز قيمة العقيدة، وجعلها هي الراية الوحيدة التي يقف تحتها المسلمون. فمن وقف معهم تحتها فهو منهم، ومن قاتلهم فيها فهو عدوهم. ومن سالمهم فتركهم لعقيدتهم ودعوتهم، ولم يصد الناس عنها، ولم يحل بينهم وبين سماعها، ولم يفتن المؤمنين بها، فهو مسالم لا يمنع الإسلام من البر به والقسط معه)[١].

٣ / " أن تبروهم وتقسطوا إليهم " إن كنا أُمرنا بالبر والإحسان، والعدل والإنصاف مع الكفار- غير المقاتلين – فأهل الإسلام أولى بذلك وأحرى ولا شك، يقول الزمخشري رحمه الله: (وناهيك بتوصية الله المؤمنين أن يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم، مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم أخيه المسلم)[٢].

٤ / في قوله تعالى" وتقسطوا إليهم " في تعاملنا مع الكفار دعوة لمبدأ العدل الإنصاف حتى مع المخالف، ذلك المبدأ الذي قامت عليه أسس الشريعة الإسلامية العظيمة، يقول عبد الكريم الخطيب: (والآية الكريمة تدعو إلى هذا المبدأ العام الذي قامت عليه الشريعة

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٤٥).
(٢) تفسير الزمخشري (٤/ ٥١٦).

السمحاء، من الإخاء الإنسانى، القائم على العدل والإحسان)[١].

٥ / في التوجيه الإلهي العظيم في هذه الآية المتضمن البر والإحسان، والعدل والإنصاف مع الكافر المسالم تأليف لقلبه، وترغيب له في الدخول في الإسلام، وهو مقصد من أعظم مقاصد الدعوة، وهذا أسلوب من أنفع وأنجع اساليبها، وكم حفظ التأريخ دخول كثير من اهل الكفر في الإسلام متأثرين بحسن تعامل أهله، وتحليهم بالعدل والنصف[٢].

٦ / في القول بالإحكام في قوله تعالى" لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين.." الآية، دلالة على رفعة شأن الإسلام وأهله، وبيان معلم من معالم صفاء ونقاء هذا الدين العظيم، يقول الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله في تتمته على الأضواء: (ومفهومه – أي الإحكام في الآية – أن المؤمنين إذا كانوا في حالة قوة وعدم خوف وفي مأمن منهم، وليس منهم قتال، وهم في غاية من المسالمة فلا مانع من برهم بالعدل والإقساط معهم،

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٩٠٣).

(٢) قال عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن الشعبي قال: وجد علي بن أبي طالب درعه عند رجل نصراني فأقبل به إلى شريح يخاصمه، قال: فجاء علي حتى جلس جنب شريح وقال: يا شريح لو كان خصمي مسلما ما جلست إلا معه، ولكنه نصراني وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كنتم وإياهم في طريق فاضطروهم إلى مضايقه، وصغروا بهم كما صغر الله بهم من غير أن تطغوا» ثم قال: هذا الدرع درعي ولم أبع ولم أهب، فقال شريح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شريح إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين هل من بينة؟ فضحك علي وقال أصاب شريح، ما لي بينة، فقضى بها شريح للنصراني، قال فأخذه النصراني ومشى خطا ثم رجع فقال: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه يقضي عليه، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق. فقال: أما إذ أسلمت فهي لك، وحمله على فرس. قال الشعبي: فأخبرني من رآه يقاتل الخوارج يوم النهروان. البداية والنهاية ط الفكر (٨/ ٤).

وهذا مما يرفع من شأن الإسلام والمسلمين، بل وفيه دعوة إلى الإسلام بحسن المعاملة، وتأليف القلوب بالإحسان إلى من أحسن إليهم، وعدم معاداة من لم يعادهم)[١].

٧ / استدل بعض أهل العلم بقوله تعالى في الآية الآنفة " وتقسطوا إليهم" على جواز النفقة على القريب الكافر غير المحارب إن كان محتاجاً، بل ذهب البعض إلى الوجوب، وقد رد ذلك القاضي أبوبكر ابن العربي رحمه الله فقد نقل عنه القرطبي رحمه الله قوله: (استدل به بعض من تعقد عليه الخناصر على وجوب نفقة الابن المسلم على أبيه الكافر. وهذه وهلة عظيمة، إذ الإذن في الشيء أو ترك النهي عنه لا يدل على وجوبه، وإنما يعطيك الإباحة خاصة، وقد بينا أن إسماعيل بن إسحاق القاضي دخل عليه ذمي فأكرمه، فأخذ عليه الحاضرون في ذلك، فتلا هذه الآية عليهم)[٢].

٨ / تقديم المقاتلة لأجل الدين، على الإخراج من الديار في التنفير من موالاة الكفار في قوله سبحانه" إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم..." الآية إشارة إلى أن المؤمن الحق لا يقدم على دين الله والإيمان به أي أمر مهما عظم وعز.

٩ / المبالغة في الوصف بالظلم في قوله تعالى " ومن يتولهم فألئك هم الظالمون " في حق من والى أعداء الله، دلالة على عظيم قبح هذا الذنب العظيم، وسوء عاقبته، يقول سيد رحمه الله: (وحكم على الذين يتولونهم بأنهم هم الظالمون.. ومن معاني الظلم الشرك

(١) أضواء البيان (٨/ ٩٣).
(٢) تفسير القرطبي (١٨/ ٦٠).

بالرجوع إلى قوله تعالى: «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» .. وهو تهديد رهيب يجزع منه المؤمن، ويتقي أن يدخل في مدلوله المخيف)[١].

١٠ / وفي قوله نعالى" فأولئك هم الظالمون" إشارة إلى مراتب موالاة الكفار، فكما أن أعلى درجات الظلم هو الكفر، فكذلك تولي الكفار، إن كان توليًا تامًا صار كفرًا، فالظلم حينئذ يكون بحسب نوع التولي، يقول السعدي رحمه الله: (وذلك الظلم يكون بحسب التولي، فإن كان توليا تاما، صار ذلك كفرا مخرجا عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ، وما هو دون ذلك)[٢].

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٤٤).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٥٧).

المبحث الرابع

قطع الوشيجة بين المؤمنة وزوجها الكافر (الآيتان ١٠،١١)

وفيــه ستة مطالــب: -

- المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.
- المطلب الثاني: التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق.
- المطلب الثالث: سبب النزول.
- المطلب الرابع: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.
- المطلب الخامس: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.
- المطلب السادس: ما ترشد إليه آيات الموضوع.

* * * * * *

قطع الوشيجة بين المؤمنة وزوجها الكافر

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾[1]

([1]) الممتحنة: ١٠ - ١١

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

هذه الآيات الكريمات في هذا الموضوع جاءت متسقة مع سياق السورة العام، ومرتبطة بمحورها الرئيس، حيث جاءت تؤكد على مبدأ الولاء والبراء، في علقة من أهم العلائق الاجتماعية وهي النكاح، فلا يجتمع الزوجان مهما عظم ودهما حتى يتجرد قلباهما لله تعالى، فلا تحل المسلمة للكافر، ولا تحل الكافرة للمسلم، ما عدا الكتابية بشرط عفتها(١)، وبعدها عن إظهار العداء للدين(٢)، رجاء أن تؤمن وينشرح صدرها للإسلام.

كما نلحظ أن الآية الكريمة الثانية في هذا الموضوع جاءت متممة للأحكام المتعلقة بالعلاقات بين الزوجين في حال اختلاف الدين، ووجه تناسقها وارتباطها مع جو السورة العام واضح، فالإشارة واضحة في الآية إلى الحط من قيمة الزوجة مهما كان قدرها عند زوجها، متى فارقت دينه، وأظهرت له لأجله العداء..

(١) لقوله تعالى " والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم.. الآية." سورة المائدة (آية ٥).

(٢)قال أبو جعفر النحاس:(وَأَمَّا نِكَاحُ الْحَرْبِيَّاتِ فَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ أَنَّهُمَا مَنَعَا مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْعُلَمَاءِ يُجِيزُ ذَلِكَ، وَنَصُّ الْآيَةِ يُوجِبُ جَوَازَهُ [ص:٢٠١]، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ إِلَّا أَنَّهُمَا كَرِهَا ذَلِكَ مَخَافَةَ تَنْصِيرِ الْوَلَدِ أَوِ الْفِتْنَةِ). الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٢٠٠).

المطلب الثاني: التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق

حين نمعن النظر في هاتين الآيتين الكريمتين نجد أن أوجه ارتباطها بما سبقها من آيات كريمات متعددة فمن ذلك:

- أن الآيات الكريمات منتظمة في بيان التعامل مع الكفار ومن يأتينا من قبلهم، ففي ما سبق من آيات بيان للتعامل مع الكافر المعادي المكاشح[١] المستمر على عداوته والكافر المسالم الذي كف أذاه عن المسلمين، وفي هذه الآيات بيان لفقه التعامل مع من رغب من الكفار أن ينفصل عن الكفر، وأهله ويلحق بالإسلام وأهله، خصوصا من النساء، قال الفخر الرازي رحمه الله: (في نظم هذه الآيات وجه حسن معقول وهو أن المعاند لا يخلو من أحد أحوال ثلاثة، إما أن يستمر عناده، أو يرجى منه أن يترك العناد، أو يترك العناد ويستسلم، وقد بين الله تعالى في هذه الآيات أحوالهموأمر المسلمين أن يعاملوهم في كل حالة على ما يقتضيه الحال)[٢]، وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: (لما ذكر سبحانه حكم فريقي الكافرين في جواز البر والإقساط للفريق الأول دون الفريق الثاني ذكر حكم من يظهر الإيمان)[٣].

---

(١) قال الخليل: والكاشِح: العَدوُّ، يقال: طَوَى كَشْحَه عَنّي: إذا قَطَعَكَ وعاداكَ. وكاشَحَني فلانٌ بالعَداوة. العين (٥٧/٣).

(٢) تفسير الرازي (٢٩/ ٥٢١).

(٣) تفسير فتح القدير (٥/ ٢١٥).

- ومن ذلك أن في الآية الأولى تطبيق للأمر السابق في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [1]، فقد أمر سبحانه عباده المؤمنين هنا أن يؤتوا أزواج المؤمنات المهاجرات من المشركين ما أنفقوا عليهن، لأن ذلك فات عليهم بهجرتهن، فلا يصلح أن تجمع على أحدهم خسارتان، خسارة الزوجة، وخسارة المال، وهذا من إنصاف الإسلام وعدله[2].

ومن ذلك ما أشار إليه الطاهر ابن عاشور رحمه الله إلى أن المسلمين بحاجة إلى بيان بعض الأحكام المترتبة على قطع علائقهم مع المشركين، وهو الأمر الوارد في ما سبق من آيات، فقال رحمه الله: (ومناسبة ورود هذه الآية بعد ما قبلها ، أي النهي عن موالاة المشركين يتطرق إلى ما بين المسلمين والمشركين من عقود النكاح والمصاهرة فقد يكون المسلم زوجاً لمشركة وتكون المسلمة زوجاً لمشرك فتحدث في ذلك حوادث لا يستغني المسلمون عن معرفة حكم الشريعة في مثلها)[3].

(١) الممتحنة: ٨.
(٢) ينظر نظم الدرر ٧ / ٥٦٤ بتصرف.
(٣) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٥٤).

المطلب الثالث: سبب النزول

أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عروة بن الزبير، أنه سمع مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة: (يخبران خبرا من خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة الحديبية فكان فيما أخبرني عروة عنهما: أنه لما كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو يوم الحديبية على قضية المدة، وكان فيما اشترط سهيل بن عمرو أنه قال: لا يأتيك منا أحد، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه، وأبى سهيل أن يقاضي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على ذلك، فكره المؤمنون ذلك وامعضوا[1]، فتكلموا فيه، فلما أبى سهيل أن يقاضي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على ذلك، كاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، «فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جندل بن سهيل يومئذ إلى أبيه سهيل بن عمرو، و لم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة، وإن كان مسلما وجاءت المؤمنات مهاجرات، فكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط

(١) شَقَّ عَلَيْهِمْ وعَظُم. يُقَالُ: مَعِضَ مِنْ شَيْءٍ سَمِعَه، وامْتَعَضَ، إِذَا غَضِبَ وشَقَّ عَلَيْهِ.النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٤٢).

ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي عاتق[١]، فجاء أهلها يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرجعها إليهم، حتى أنزل الله تعالى في المؤمنات ما أنزل)[٢]، وفي رواية للبخاري (ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ حَتَّى بَلَغَ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ")[٣]، وفي هذه الرواية تصريح بأن القصة سبب لنزول الآية الكريمة، وقد أورد الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:إِنَّ مُشْرِكِي مَكَّةَ صَالَحُوا رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى أَنَّ مَنْ أَتَاهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ رَدَّهُ إِلَيْهِمْ، وَمَنْ أَتَى أَهْلَ مَكَّةَ مِنْ أَصْحَابِهِ فَهُوَ لَهُمْ، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ الْكِتَابِ وَخَتَمُوهُ، فَجَاءَتْ سُبَيْعَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْأَسْلَمِيَّةُ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْكِتَابِ وَالنَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِالْحُدَيْبِيَةِ، فَأَقْبَلَ زَوْجُهَا وَكَانَ كَافِرًا، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ رُدَّ عَلَيَّ امْرَأَتِي، فَإِنَّكَ قَدْ شَرَطْتَ لَنَا أَنْ تَرُدَّ عَلَيْنَا مَنْ أَتَاكَ مِنَّا وَهَذِهِ طِينَةُ الْكِتَابِ لَمْ تَجِفَّ

(١) العَاتِق:الشَّابَّة أَوَّلُ مَا تُدْرِكُ. وَقِيلَ: هِيَ الَّتِي لَمْ تَبِنْ مِنْ وَالِدَيها وَلَمْ تُزَوَّج، وَقَدْ أدْرَكَت وشَبَّت، وتُجْمَع عَلَى العُتَّق والعَوَاتِق. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (غزوة الحديبية) حديث رقم (٤١٨٠).

(٣) أخرجه البخاري كتاب (الشروط) باب (الشروط في الجهاد المصالحة مع أهل الحرب وكتابه الشروط) حديث رقم (٢٧٣١).

بَعْدُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ[١].

وروى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَمْتَحِنُهُنَّ وَبَلَغْنَا أَنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرُدُّوا إِلَى الْمُشْرِكِينَ مَا أَنْفَقُوا عَلَى مَنْ هَاجَرَ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ وَحَكَمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ لَا يُمَسِّكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ أَنَّ عُمَرَ طَلَّقَ امْرَأَتَيْنِ قَرِيبَةَ بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ وَابْنَةَ جَرْوَلٍ الْخُزَاعِيِّ فَتَزَوَّجَ قَرِيبَةَ مُعَاوِيَةُ وَتَزَوَّجَ الْأُخْرَى أَبُو جَهْمٍ فَلَمَّا أَبَى الْكُفَّارُ أَنْ يُقِرُّوا بِأَدَاءِ مَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى " وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُم"[٢]، وهذا نص صريح في بيان سبب نزول الآية الكريمة، وقد أورد ابن أبي حاتم رحمه الله عن الحسن رحمه الله فِي قَوْلِهِ: "وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ" قَالَ: (نَزَلَتْ فِي امْرَأَةِ الْحَكَمِ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ ارْتَدَّتْ فَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ ثَقَفِيٌّ، وَلَمْ تَرْتَدَّ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ غَيْرُهَا، فَأَسْلَمَتْ مَعَ ثَقِيفٍ حِينَ أَسْلَمُوا)[٣].

(١) أسباب النزول (ص: ٤٢٤)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الشروط) باب (الشروط في الجهاد والمصالحة) حديث رقم (٢٧٣٣).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٠)

المطلب الرابع: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ﴾هذا نداء من الله تعالى لعباده المؤمنين يبين لهم فيه الأحكام المتعلقة بالنساء اللاتي تركن ديارهن، وخرجن مهاجرات " إذا جاءكم المؤمنات " وسماهن سبحانه مؤمنات و لم يتيقن أمرهن معاملة لهن بظاهر أمرهن[٢]، أو لأنهنّ مشارفات لثبات إيمانهن بالامتحان[٣]، أو لكونهن كذلك في علم الله تعالى المخبر عنهن[٤]، وقد زكاهن سبحانه وبحمده بهذا الوصف العظيم (الإيمان) لكونهن هاجرن ولا يخفى ما في الهجرة من بذل

---

(١) الممتحنة: ١٠.

(٢) ينظر تفسير ابن عطية (٥/ ٢٩٧).

(٣) تفسير الزمخشري (٤/ ٥١٧).

(٤) روح البيان ط إحياء التراث (٩/ ٣٨٩).

وتضحية، وقد ألمح إلى ذلك البقاعي رحمه الله بقوله: (أي النساء اللاتي صار وصف الإيمان لهن صفة راسخة بدلالة الهجرة عليه)[١].

" مهاجرات" أي: إذا جاءكم المؤمنات حال كونهن مهاجرات، والهجرة كما يقول الجرجاني رحمه الله: ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال إلى دار الإسلام[٢].

" فامتحنوهن " أورد ابن جرير رحمه الله بسنده إلى ابن زيد رحمه الله قال: كانت المرأة من المشركين إذا غضبت على زوجها، وكان بينه وبينها كلام، قالت: والله لأهاجرن إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال الله عز وجل: " إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن "[٣]، ولذا أوصى عباده بامتحان من تأتيهم مهاجرة، وقد كانت صيغة الامتحان كما أورد ابن جرير رحمه الله بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد سئل: (كيف كان امتحان رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء؟ قال: كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله)[٤]، وأما عائشة رضي الله عنها فقد كانت تقول: ما كان رسول الله

(١) نظم الدرر (٧/ ٥٦١).
(٢) التعريفات (ص: ٢٥٦).
(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٧٨).
(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٧٥).

صلى الله عليه وسلم يمتحن المؤمنات إلا بالآية، قال الله: " إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا " ولا ولا[١].

﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾ هذه جملة اعتراضية مفادها أن امتحانهم لن يفيدهم إلا ظاهر الحال أما حقيقته وكنهه فلا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، قال الزمخشري رحمه الله: ("الله أعلم بإيمانهن" لأنكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم، وإن استحلفتموهن ورزتم[٢] أحوالهنوعند الله حقيقة العلم به)[٣].

وقال الشوكاني[٤] رحمه الله: (هذه الجملة معترضة لبيان أن حقيقة حالهن لا يعلمها إلا الله سبحانه و لم يتعبدكم بذلك وإنما تعبدكم بامتحانهن حتى يظهر لكم ما يدل

(١)تفسير الطبري (٢٢/ ٥٧٦).

(٢) قال الخليل رحمه الله: الرَّوْز: التَّجْربة [تقول] : رزت فلانا ورزت ما عنده.العين (٧/ ٣٨١).

(٣)تفسير الزمخشري (٤/ ٥١٧).

(٤) أحمد بن محمد بن علي الشوكاني: قاض، من فضلاء اليمانيين، من أهل صنعاء وهو ابن العلامة (الشوكاني) الكبير، نصب للقضاء في صنعاء زمنا. وأصابته محن في أيام الناصر (عبد الله بن الحسن) وأيام الإمام أحمد بن هاشم، فسجن في عهد الأول، وفرّ من صنعاء في عهد الثاني، فطاف متنقلا في بعض الأطراف، ثم استقر في (الروضة) يحكم وينفذ الشريعة وهو لم يولَّ ذلك فكان علماء اليمن يسمونه (قاضي أرحم الراحمين) ! وتوفي فيها. من كتبه (كشف الريبة في الزجر عن الغيبة) ولد (١٢٢٩) وتوفي (١٢٨١). الأعلام للزركلي (١/ ٢٤٦).

على صدق دعواهن في الرغوب في الإسلام)[١]، فمفاد هذه الجملة أن الامتحان يعلم به ظاهر إيمانهن، والله يعلم باطنه[٢].

﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾هذا تفريع على ما قبل الجملة(الله أعلم بإيمانهن) أي: امتحنوهن فإن علمتموهن مؤمنات فاقبلوهن ولا ترجعوهن إلى الكفار[٣]، وقد بين ابن جرير رحمه الله سبب توجيه المؤمنين بعدم رد من هاجر من المؤمنات إلى الكفار بقوله: (وإنما قيل ذلك للمؤمنين، لأن العهد كان جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركي قريش في صلح الحديبية أن يرد المسلمون إلى المشركين من جاءهم مسلما، فأبطل ذلك الشرط في النساء إذا جئن مؤمنات مهاجرات فامتحن، فوجدهن المسلمون مؤمنات)[٤].

﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾هذا تعليل من الله تعالى للحكم بعدم رد المؤمنات المهاجرات إلى أزواجهن من الكفار[٥]، قال البقاعي رحمه الله(ولما نهى عن رد المهاجرات إلى المشركين وعبر بالكفار تعميماً ، علل ذلك بقوله مقدماً حكمهن

---

(١)تفسير فتح القدير(٥/ ٢١٥).
(٢)تفسير الماوردي (٥/ ٥٢٠).
(٣) ينظر التحرير والتنوير(٢٨/ ١٥٦).
(٤)تفسير الطبري (٢٢/ ٥٧٨).
(٥)ينظر تفسير ابن عطية (٥/ ٢٩٧).

تشريفاً لهن لهجرتهن)[١] والتكرار في قوله سبحانه " ولا هم يحلون لهن " للتأكيد على قضية المفاصلة والمفارقة لاختلاف الدين، مع كفاية " لا هن حل لهم " على نفي الحل[٢]، وألمح البيضاوي[٣] رحمه الله لعلة زائدة عن التأكيد بقوله:(والتكرير للمطابقة والمبالغة، أو الأولى لحصول الفرقة والثانية للمنع عن الاستئناف)[٤]، وقد ذهب الطاهر رحمه الله إلى ما هو أبعد من التكرار في الآية، مشيراً إلى أن رجوع المسلمة إلى عصمة الكافر له صورتان، الأولى أن يرجعها معه إلى دار الكفر، وهي المشار إليها بقوله سبحانه " لا هن حل لهم " وقدمت لأنها الصورة الأكثر وقوعاً، والثانية أن ترجع إليه ويعيش معها في دار الإسلام، وهي المشار إليها بقوله تعالى " ولا هم يحلون لهن "[٥].

﴿ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ﴾هذا من عدل الإسلام وإنصافه، يأمر تعالى عباده أن يردوا على المشركين الذين جاء نساؤهم مؤمنات مهاجرات ما أنفقوا في نكاحهم إياهن

(١) نظم الدرر (٧/ ٥٦٣).
(٢) ينظر تفسير الرازي (٢٩/ ٥٢٢) .
(٣) عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد بن عَليّ أَبُو الْخَيْر القَاضِي نَاصِر الدّين الْبَيْضَاوِيّ صَاحب الطوالع والمصباح فِي أصُول الدّين والغاية القصوى فِي الْفِقْه والمنهاج فِي أصُول الْفِقْه ومختصر الْكَشَّاف فِي التَّفْسِيروَشرح المصابيح فِي الحَدِيث كَانَ إِمَامًا مبرزا نظارا صَالحا متعبدا زاهدا،مَاتَ سنة خمس وَثَمَانِينَ وستِمِائَة بتبريز. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ١٥٧) بغية الوعاة (٢/ ٥١).
(٤) تفسير البيضاوي (٥/ ٢٠٦).
(٥) ينظر التحرير والتنوير (٢٨/ ١٥٧).

من الصداق[١] روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:(كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فإذا علموا أن ذلك حق منهن لم يرجعوهن إلى الكفاروأعطى بعلها من الكفار الذين عقد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صداقه الذي أصدقها)[٢].

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ هذا من جملة الأحكام المتعلقة بالمؤمنات المهاجرات متى عُلِم إيمانهن، يظهر فيه عناية الإسلام في حل كل إشكالية تطرأ على أتباعه، فهنا يأذن الله تعالى لعباده بنكاح هؤلاء المؤمنات المهاجرات بشرط دفع صداقهن وهذا الإذن لكل مؤمنة مهاجرة حتى ولو كانت ذات زوج، روى ابن جرير رحمه الله بسنده عن ابن زيد رحمه الله قال: (ولها زوج ثم، لأنه فرق بينهما الإسلام إذا استبرأتن أرحامهن)[٣].

"إذا آتيتموهن أجورهن" وهذه الجملة إزالة لالتباس قد يرد في ذهن السامع، وهو سقوط مهرهن خصوصاً مع دفع العوض لأزواجهن، فأكد حقهن في الصداق بهذا التنبيه، قال البقاعي رحمه الله: (ولما كان قد أمر برد مهور الكفار، فكان ربما ظن أنه

(١) ينظر تفسير الطبري (٢٢/ ٥٧٩).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٨٠).
(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٨٢).

مغن عن تحديد مهر لهن إذا نكحهن المسلم نفى ذلك بقوله: (إذا آتيتموهن) أي لأجل النكاح)[١].

﴿ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ ﴾هذا في شأن من أبى الإسلام من المشركات، أمر سبحانه أزواجهن أن يفارقوهن، قال الزمخشري رحمه الله:(والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعنى: إياكم وإياهنّ، ولا تكن بينكم وبينهنّ عصمة ولا علقة زوجية)[٢]،روى ابن جرير بسنده عن مجاهد رحمه الله قال: (أصحاب محمد أمروا بطلاق نسائهم كوافر بمكة، قعدن مع الكفار)[٣]، والآية الكريمة تشير إلى صنفين من النساء من قعدت عن الهجرة وثبتت على الكفر في دار الحرب ومن ارتدت عن الهجرة ولحقت بزوجها الكافر[٤]، وفي الحث على قطع الوشيجة بين المؤمن وبين زوجته المصرة على الكفر، إشارة واضحة جلية إلى أن المنع من ذلك ابتداء أولى وأحرى[٥].

(١) نظم الدرر (٧/ ٥٦٤).
(٢) تفسير الزمخشري (٤/ ٥١٨).
(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٨٥).
(٤) روح البيان (٩/ ٣٩١).
(٥) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٥٧).

﴿ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ﴾هذا توجيه كما يقول ابن جرير رحمه الله: (لأزواج اللواتي لحقن من المؤمنين من دار الإسلام بالمشركين إلى مكة من كفار قريش: واسألوا أيها المؤمنون الذين ذهبت أزواجهم فلحقن بالمشركين ما أنفقتم على أزواجكم اللواتي لحقن بهم من الصداق من تزوجهن منهم، وليسئلكم المشركون منهم الذين لحق بكم أزواجهم مؤمنات إذا تزوجن فيكم من تزوجها منكم ما أنفقوا عليهن من الصداق)[١]، والجملة كالعطف على قوله تعالى" وآتوهم ما أنفقوا " في حق الكفار الذين ذهبت أزواجهم إلى المؤمنين، فهذا تتميم لحكمه، فمثل ما يعطى هؤلاء حقهم، فكذلك أنتم تسألون حقكم[٢]، قال البقاعي رحمه الله:(ولما أمر برد مهور المؤمنين إلى الكفار وأذن للمؤمنين في المطالبة بمهور أزواجهم ، أذن للكفار في مثل ذلك إيقاعاً للقسط بين عباده مسلمهم وكافرهم معبراً بالأمر مع الغيبة إعراضاً عنهم إعلاماً بشدة كراهته سبحانه للظلم وأنه يستوي فيه الكافر

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٨٦).
(٢) ينظر التحرير والتنوير (بتصرف) (٢٨/ ١٦١).

مع عداوته بالمؤمن مع ولايته(وليسألوا) أي الكفار (ما أنفقوا) أي من مهور أزواجهم اللاتي أسلمن واعتصمن بكم عنهم)[١].

﴿ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾قال الشوكاني رحمه الله:(أي ذلكم المذكور من إرجاع المهور من الجهتين حكم الله وقوله (يحكم بينكم) في محل نصب على الحال أو مستأنفة (والله عليم حكيم) أي بليغ العلم لا تخفى عليه خافية بليغ الحكمة في أقواله وأفعاله)[٢]، وميم الجمع هنا في قوله سبحانه " ذلكم " إشارة إلى مدح هذا الفعل العظيم والحكم البالغ، وهو العدل والإنصاف حتى مع المخالف، وفي ذلك من الترغيب فيه ما لا يخفى[٣]، " والله عليم حكيم " قال الطاهر رحمه الله: (تذييل يشير إلى أن هذا حكم يقتضيه علم الله بحاجات عباده وتقتضيه حكمته إذ أعطى كل ذي حق حقّه)[٤].

(١) نظم الدرر (٧/ ٥٦٤).
(٢)تفسير فتح القدير (٥/ ٢١٦).
(٣) ينظر البقاعي (بتصرف) ٧ / ٥٦٥.
(٤)التحرير والتنوير (٢٨/ ١٦١).

﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾(١)

قال البقاعي رحمه الله مبينا وجه تناسب الآية الكريمة مع سابقتها:(ولما كان المظنون بالكافر عدم العدل فلا يعطون المؤمنين مهور نسائهم الكافرات ، قال مداوياً لذلك الداء : (وإن فاتكم) أي بالانفلات منكم بعد الهجرة أو بإدامة الإقامة في بلاد الحرب)(٢).

" وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم " هذا عطف على الأمر في الآية السابقة في قوله " واسألوا ما أنفقتم " قال الطاهر رحمه الله: (هذا عطف على جملة" واسألوا ما أنفقتم "فإنها لما ترتب على نزولها إباء المشركين من أن يردّوا إلى أزواج النساء اللائي بقين على الكفر بمكة واللائي فَرَرْنَ من المدينة والتحَقْنَ بأهل الكفر بمكة مهورَهم التي كانوا أَعطوها نساءهم ، عقبت بهذه الآية لتشريع ردّ تلك المهور من أموال المسلمين فيما بينهم)(٣).

(١) سورة الممتحنة (١١).
(٢)نظم الدرر (٧/ ٥٦٥).
(٣)التحرير والتنوير (٢٨/ ١٦١).

" وإن فاتكم شيء " وفائدة التعبير بشيء هنا كما يقول الزمخشري رحمه الله: (أن لا يغادر شيئاً من هذا الجنس وإن قل وحقر، غير معوض منه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه)[١]. فالنكرة في سياق الشرط تفيد العموم، فيدخل في ذلك أي صنف من الزوجات كالعربية أو العجمية أو الحرة أو الأمة أو نحوها أو فاتكم شيء من مهور أزواجكم على حذف المضاف ليتطابق الموصوف وصفته[٢].

" فعاقبتم " اختُلف في المراد بعاقبتم، قال البغوي رحمه الله: (مَعْنَاهُ غَنِمْتُمْ أَيْ غَزَوْتُمْ فَأَصَبْتُمْ مِنَ الْكُفَّارِ عُقْبَى وَهِيَ الْغَنِيمَةُ، وَقِيلَ ظَهَرْتُمْ وَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ لَكُمْ، وَقِيلَ: أَصَبْتُمُوهُمْ فِي الْقِتَالِ بِعُقُوبَةٍ حَتَّى غَنِمْتُمْ، قَرَأَ حُمَيدُ الْأَعْرَجُ فَعَقَّبْتُمْ بِالتَّشْدِيدِ وَقَرَأَ الزُّهْرِيُّ فَعَقَبْتُمْ خَفِيفَةً بِغَيْرِ أَلْفٍ، وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ فَأَعْقَبْتُمْ أَيْ صَنَعْتُمْ بِهِمْ كَمَا صَنَعُوا بكم وكلها لغاتبِمَعْنًى وَاحِدٍ، يُقَالُ عَاقَبَ وَعَقَّبَ وَعَقَبَ وَأَعْقَبَ وَتَعَقَّبَ وَتَعَاقَبَ وَاعْتَقَبَ، إِذَا غَنِمَ، وَقِيلَ: التَّعْقِيبُ غَزْوَةٌ بَعْدَ غَزْوَةٍ، فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ، إِلَى الْكُفَّارِ مِنْكُمْ، مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا، عَلَيْهِنَّ مِنَ الْغَنَائِمِ الَّتِي صَارَتْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ. وَقِيلَ: فَعَاقَبْتُمُ الْمُرْتَدَّةَ بِالْقَتْلِ)[٣]، وقد جمع ابن جرير

(١)تفسير الزمخشري (٤/ ٥١٩).
(٢) ينظر روح البيان (بتصرف)(٣٩٣/٩).
(٣)تفسير البغوي (٥/ ٧٥)

رحمه الله بين الأقوال فيها بقوله:(وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أمر الله عز وجل في هذه الآية المؤمنين أن يعطوا من فرت زوجته من المؤمنين إلى أهل الكفر إذا هم كانت لهم على أهل الكفر عقبى، إما بغنيمة يصيبونها منهم، أو بلحاق نساء بعضهم بهم، مثل الذي أنفقوا على الفارة منهم إليهم)[١].

" فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا " أي: أعطوا الذين ذهبت أزواجهم منكم إلى الكفار مرتدات مثل ما أنفقوا عليها من الغنائم التي صارت في أيديكم من أموال الكفار[٢].

" واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون " ختم سبحانه هذا التوجيه بالوصية بتقواه لكون الوفاء في مثل هذه الأمور على وجه التمام ليس بالأمر الهين على النفوس قال البقاعي رحمه الله: (ولما كان التجزي في مثل ذلك عسراً على النفس فإن المهور تتفاوت تارة وتتساوى تارة أخرى وتارة تكون نقوداً وتارة تكون عروضاً إلى غير ذلك من الأحوال مع أن المعامل عدو في الدين فلا يحمل على العدل فيه إلا خالص التقوى قال : " واتقوا " أي في الإعطاء والمنع وغير ذلك " الله")[٣].

---

(١)تفسير الطبري (٢٢/ ٥٩٣)

(٢)تفسير الخازن (٧/ ٨٠)

(٣)نظم الدرر (٧/ ٥٦٦)

" الذي أنتم به مؤمنون " قال الطاهر رحمه الله: (لأن الإِيمان يبعث على التقوى والمشركون لّما لم يؤمنوا بما أمر الله انتفى منهم وازع الإِنصاف ، أي فلا تكونوا مثلهم)[١].

(١)التحرير والتنوير (٢٨/ ١٦٤)

المطلب الخامس: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع

هذا نداء من الله تعالى لعباده المؤمنين يشرِّع لهم فيه جملة من الأحكام المتعلقة بالمؤمنات المهاجرات، منها أن يقوم أهل الإيمان بالاستيثاق من صدق هؤلاء المهاجرات، وصحة نيتهن في مقصد الهجرة، في حدود ما يستطيعون وهو ظاهر أمر المهاجرات، أما سرائرهن فعلمها عند الله تعالى، فإذا حصل الاطمئنان لإيمانهن فلا يحل لأهل الإيمان أن يتخلوا عنهن ويسلموهن إلى الكفار، وذلك لضعفهن، وعدم جلدهن على أذى الكفار، وبطلان عقد الزوجية بين الكافر والمسلمة، ومن جملة ما شرعه الله في هذه القضية، أن يُرد على زوج المهاجرة ما أنفقه عليها من الصداق، وهذا من عدل الإسلام ورحمته، فلا يجمع على الكافر مع كفره وعناده بين حرمان زوجته، وضياع نفقته، ثم أذن سبحانه وتعالى لأهل الإيمان في نكاح المهاجرات متى استبرئن وأُعطين مهورهن، ثم نهى سبحانه أن تبقى المشركة في عصمة المؤمن، كما بدأ بتحريم المسلمة على المشرك، وشرع لعباده كما أن من هاجرت زوجته من الكفار يعطى ما دفعه لها، فكذلك من تركته زوجته إلى المشركين أو بقيت على كفرها في ديارهم له أن يسأل ما أنفق عليها، وختم سبحانه الآية الكريمة بالإشادة بهذه الشرائع التي مبناها على العدل، والنصف، وأنها من لدن عليم بأحوال العباد،

حكيم حيث يشرع لهم ما فيه خير العاجل والآجل لهم، ومن عنايته سبحانه بعباده المؤمنين، ولسابق علمه بجحود الكفار وعدم إقرارهم بحكم الله، فقد أوصى عباده المؤمنين متى غنموا من أعدائهم أن يعطوا من فاتته زوجته إلى الكفار مثل ما أنفق عليها وختم الآية بما من شأنه أن يوقظ القلوب ويهيئها لاستقبال أمره مهما شق على النفوس، فختم الآية الكريمة بوصية عباده بتقواه، وتذكيرهم بما وقر في قلوبهم من الإيمان به الكفيل بأن يكون دافعاً لكل خير زاجراً عن كل شر.

المطلب السادس: ما ترشد إليه آيات الموضوع

١ / ظهور كمال الشريعة، وشمولها لكل مناحي الحياة وما يستجد فيها، وذلك ظاهر باستيعاب قضية طارئة، وهي هجرة المؤمنات، وارتباطهن بعقود زواج سابقة، وحاجتهن للرعاية والعناية، فجاء هذا التشريع متكاملا، منسجما، ملبيا كل الاحتياجات، مراعيا الحقوق واضعا الأمور في نصاب العدل والإنصاف، حتى للكافر المناوئ.

٢ / في استثناء النساء في عدم ردهن إلى الكفار في معاهدة الحديبية دون الرجال بيان لضعف المرأة، وقلة صبرها، وعدم تحملها للفتنة، والابتلاء، وهذا يوجب العناية بنساء المسلمين خصوصاً في أوقات الفتن والخطوب، قال إسماعيل حقي[(١)] رحمه الله: (وإنما رد الرجال دون النساء لضعف النساء عن الدفع عن أنفسهن وعجزهن عن الصبر على الفتنة)[(٢)]، وقال عبد الكريم الخطيب رحمه الله: (النساء لا يصبرن طويلا على موقع الفتنة من المشركين، ولا يحتملن ما يحتمل

(١) إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء: متصوف مفسر. تركي مستعرب. ولد في آيدوس وسكن القسطنطينية، وانتقل إلى بروسة، وكان من أتباع الطريقة (الخلوتية) فنفي إلى تكفور طاغ، وأوذي. وعاد إلى بروسة فمات فيها. له كتب عربية وتركية. فمن العربية (روح البيان في تفسير القرآن) أربعة أجزاء، يعرف بتفسير حقي، و (الرسالة الخليلية)، توفي سنة ١١٢٧ه. الأعلام للزركلي (١/ ٣١٣).

(٢) روح البيان (٩/ ٣٩٠).

الرجال من بلاء فى سبيل العقيدة التي يعتقدنها، إنهن أسرع تحولا، وأقل ثباتا وصبرا من الرجال، وإن كان فى بعض النساء ما لأقوى الرجال من عزيمة وثبات، إلا أن النساء فى مجموعهن دون الرجال فى هذا المقام)[١].

٣ / في قوله تعالى " فامتحنوهن " بيان أن الامتحان من طرق المعرفة، والتحقق، وهو مهم لإصابة المراد، وتحقيق المطلوب، حتى يسلم المرء من الندم حال إقباله على أمر دون خبره وامتحانه، نقل البقاعي عن القشيري[٢] رحمهما الله قوله: (وفي الجملة الامتحان طريق إلى المعرفة ، وجواهر النفس تتبين بالتجربة ، ومن أقدم على شيء من غير تجربة يجني كأس الندم)[٣].

٤ / في قوله تعالى " الله أعلم بإيمانهن " بيان أن معرفة خفايا القلوب، مردها إلى الله- تعالى- وحده[٤]، وللمؤمن حيال هذه الحقيقة القرآنية العظيمة في واقعه أمران: أولهما: أن يمتلأ قلبه بمراقبة من لا تخفى عليه خافية، من يعلم السر

---

(١)التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٩٠٦).

(٢) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد، أبو القاسم القشيري النيسابوري، أصله من ناحية أستوا من العرب الذين قدموا خراسان، توفي أبوه وهو صغير، وقرأ الأدب في صباه، كان ثقة، وكان يقص، وكان حسن الموعظة، مليح الإشارة، وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشّافعيّ، ولد سنة ٣٧٦ه وتوفي سنة ٤٦٥ه. تاريخ بغداد وذيوله (١١/ ٨٣) وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٥).

(٣)نظم الدرر (٧/ ٥٦٢).

(٤)التفسير الوسيط لطنطاوي (١٤/ ٣٣٨).

وأخفى، وثانيهما: أن يبني المؤمن تعامله مع من حوله على ما ظهر منهم، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى، وهذا ما حصل مع المهاجرات في امتحانهن، قال الزمخشري رحمه الله: (اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ منكم لأنكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم، وإن استحلفتموهن ورزتم أحوالهن، وعند الله حقيقة العلم به)[١].

٥ / في قوله تعالى " فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن.." دلالة على لزوم قبول قول من أخبر عن نفسه بما لا يطلع عليه غيره، قال أبو بكر الجصاص رحمه الله: (وَقَدْ أَلْزَمَنَا اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ قَبُولَ قَوْلِ مَنْ أَظْهَرَ لَنَا الْإِيمَان وَالْحُكْمَ بِصِحَّةِ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ. وَهَذَا أَصْلٌ فِي تَصْدِيقِ كُلِّ مَنْ أَخْبَرَ عَمَّا لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ مِنْ حَالِهِ، مِثْلُ الْمَرْأَةِ إذَا أَخْبَرَتْ عَنْ حَيْضِهَا وَطُهْرِهَا وَحَبَلِهَا، وَمِثْلُ الرَّجُلِ يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ: "أَنْتِ طَالِقٌ إذَا حِضْتِ" أَوْ قَالَ: "إذَا طَهُرْتِ" فَيَكُونُ قَوْلُهَا مَقْبُولًا فِيهِ)[٢].

٦ /في قوله تعالى " لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن " دليل على أن المؤمنة لا تحل لكافر ، وأن إسلام المرأة يوجب فرقتها من زوجها لا مجرد هجرتها ، والتكرير

(١) تفسير الزمخشري (٤/ ٥١٧).
(٢) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٥٨٥).

لتأكيد الحرمة أو الأول لبيان زوال النكاح القديم ، والثاني لامتناع النكاح الجديد[١]. قال ابن كثير رحمه الله: هَذِهِ الْآيَةُ هِيَ الَّتِي حَرّمَت الْمُسْلِمَاتِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ كَانَ جَائِزًا فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْمُشْرِكُ الْمُؤْمِنَةَ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ زَوْجُ ابْنَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَقَدْ كَانَتْ مُسْلِمَةً وَهُوَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا وَقَعَ فِي الْأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ بَعَثَتِ امْرَأَتُهُ زَيْنَبُ فِي فِدَائِهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ لِأُمِّهَا خَدِيجَةَ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقّ لَهَا رقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: "إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا فَافْعَلُوا" فَفَعَلُوا، فَأَطْلَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ ابْنَتَهُ إِلَيْهِ، فَوَفَّى لَهُ بِذَلِكَ وَصَدَقَهُ فِيمَا وَعَدَهُ، وَبَعَثَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَقَامَتْ بِالْمَدِينَةِ مِنْ بَعْدِ وَقْعَةِ بَدْرٍ، وَكَانَتْ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ إِلَى أَنْ أَسْلَمَ زَوْجُهَا الْعَاصُ بْنُ الرَّبِيعِ سَنَةَ ثَمَانٍ فَرَدَّهَا عَلَيْهِ بِالنِّكَاحِ الْأَوَّلِ، وَلَمْ يُحْدِثْ لَهَا صَدَاقًا)[٢].

٧ / وفي عدوله عن إطلاق اسم المهر أو الأجر على ما دفعه المشركون في قوله "وآتوهم ما أنفقوا " لطيفة أشار إليها الطاهر رحمه الله بقوله:(والعدول عن

(١) نيل المرام (ص: ٤٤٢).
(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ٩٣)

إطلاق اسم المهور والأجور على ما دفعه المشركون لنسائهم اللائي أسلمن من لطائف القرآن لأن أولئك النساء أصبحن غير زوجات، فألغي إطلاق اسم المهور على ما يدفع لهم، وقد سمّى الله بعد ذلك ما يعطيه المسلمون لهن أجوراً بقوله تعالى "ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن")[١].

٨/ في قوله تعالى " وآتوهم ما أنفقوا " وقوله " وليسألوا ما أنفقوا " بيان لعدل الإسلام حتى مع المخالف، فالله تعالى يأمر عباده المؤمنين أن يردوا على المشرك ما أنفقه من مهر على زوجته إن هي اختارت الإسلام، وهاجرت إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

٩ / بالنظر إلى واقع الآيات الكريمة، نلمح سرعة استجابة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر الله ورسوله، وابتدارهم إليه فور وقوعه، روى ابن جرير رحمه الله بسنده عن الزهري رحمه الله أنه قال: (فطلق المؤمنون حين أنزلت هذه الآية كل امرأة كافرة كانت تحت رجل منهم، فطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأته ابنة أبي أمية بن المغيرة من بني مخزوم فتزوجها معاوية بن أبي

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٥٨- ١٥٩)

سفيان، وابنة جرول من خزاعة، فتزوجها أبو جهم بن حذافة العدوي)[١].

١٠ / في ختم الآية الكريمة الأولى بقوله " ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم " فيه دلالة على عدل أحكام الشريعة، وأن مبناها على الحكمة، وما يصلح للعباد في عاجل أمرهم وآجله.

١١ / في ختم الآية الثانية بقوله تعال " واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون " دلالة على أثر الإيمان بالله تعالى على تهذيب السلوك، ولزوم الجادة، قال الطاهر رحمه الله: (لأن الإِيمان يبعث على التقوى والمشركون لّما لم يؤمنوا بما أمر الله انتفى منهم وازع الإِنصاف ، أي فلا تكونوا مثلهم)[٢].

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٨٤)

(٢) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٦٤)

المبحث الخامس

مبايعة النساء على العقيدة، ومقومات الحياة السعيدة (الآية ١٢)

وفيــه خمسة مطالــب: -

- المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.
- المطلب الثاني: التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق.
- المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.
- المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.
- المطلب الخامس: ما ترشد إليه آيات الموضوع.

* * * * * *

﴿ مبايعة النساء على العقيدة، ومقومات الحياة السعيد ﴾

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]

(١) سورة الممتحنة: ١٢

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

لقد ارتبطت هذه الآية الكريمة في هذا الموضوع وانتظمت في سياق السورة، وجوها العام، ومحورها الرئيس وذلك بمعاهدة المؤمنات على تجريد قلوبهن من كل ما سوى الله تعالى، بنبذ الشرك بكل صوره، وأشكاله، والنأي عن أخلاق الجاهلية الفاسدة، وطباعها الآسنة، والاستسلام التام لله تعالى، وانشراح الصدر بقبول هديه.

المطلب الثاني: التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق

الآية الكريمة متصلة في بيان أحكام نساء المشركين اللاتي رغبن في الإسلام، وجاءت بعد الفراغ من بيان أحكام المشركين بأنواعهم، يقول الألوسي رحمه الله: (لما جرى حديث المعاملة مع الذين لا يقاتلون المسلمين والذين يقاتلونهم وقد أخرجوهم من ديارهم من الأمر بمبرة أولئك والنهي عن مبرة هؤلاء أتى بحديث المعاملة مع نسائهم)[١].

وقد ألمح البقاعي رحمه الله في بيان تناسق الامتحان في الآية السابقة مع المبايعة في هذه الآية الكريمة إلى أن المبايعة مترتبة على الامتحان، حيث عرف حالهن فتمت مبايعتهن، يقول رحمه الله: (ولما خاطب سبحانه المؤمنين الذي لهم موضع الذب والحماية والنصرة بما وطن به المؤمنات في دار الهجرة فوقع الامتحان وعرف الإيمان ، أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد الحكم بإيمانهن بمبايعتهن)[٢].

(١) تفسير الألوسي (١٤/ ٢٧٥)
(٢) نظم الدرر (٧/ ٥٦٦)

ويؤكد ذلك الطاهر رحمه الله بقوله: (هذه تكملة لامتحان النساء المتقدم ذكره في قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن" الآية، وبيان لتفصيل آثاره، فكأنه يقول : فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهنّ إلى الكفار وبَيِنُوا لهن شرائع الإِسلام)[١].

(١) التحرير والتنوير ــ الطبعة التونسية (٢٨/ ١٦٤)

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾هذا نداء من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، يأمره فيه بمبايعة المؤمنات على الإيمان والطهر حساً ومعنى، وقد أورد ابن أبي حاتم رحمه الله عن مقاتل رحمه الله قوله: (أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ يَوْمَ الْفَتْحِ فَبَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرِّجَالَ عَلَى الصَّفَا وَعُمَرُ يُبَايِعُ النِّسَاءَ تَحْتَهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)(٢).

" المؤمنات " وصفهن بالإيمان اعتباراً بظاهر حالهن، قال ابن عطيةرحمه الله:

(وسماهم «المؤمنات» بحسب الظاهر من أمرهن، ورفض الاشتراك هو محض

(١) سورة الممتحنة: ١٢

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٠)

الإيمان)[١].

وقال البقاعي رحمه الله: (جعل إقبالهن عليه (صلى الله عليه وسلم) لا سيما مع الهجرة مصححاً لإطلاق الوصف عليهن)[٢].

" يبايعنك " حال[٣]، أي: حال كونهن مبايعات، في لسان العرب: (والبَيْعةُ المُبايعةُ والطاعةُ وقد تبايَعُوا على الأَمر كقولك أَصفقوا عليه وبايَعه عليه مُبايَعة عاهَده وبايَعْتُه من البيْع والبَيْعةِ جميعاً والتَّبايُع مثله وفي الحديث أَنه قال أَلا تُبايِعُوني على الإِسلام ؟ هو عبارة عن المُعاقَدةِ والمُعاهَدةِ كأَن كلّ واحد منهما باعَ ما عنده من صاحبه وأَعطاه خالصة نَفْسِه وطاعَتَه ودَخِيلةَ أَمره)[٤]، فشبه هنا سبحانه ما أخذنه على أنفسهن من عهود، وما وعدن عليه من الفضل والجزاء بالوعد بالمغفرة، شبه ذلك بالمبايعة وهي الأخذ والعطاء، فكل من المتبايعين يعطي ليأخذ.

﴿ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا ﴾بدأ سبحانه بأصل المنهيات وأعظمها الشرك، والنهي هنا عن عموم الشرك، دقيقه وجليله، وذلك أن " شيئاً " نكرة في سياق

(١) تفسير ابن عطية (٥/ ٢٩٩)
(٢) نظم الدرر (٧/ ٥٦٦).
(٣) تفسير النسفي (٤/ ١٩٧).
(٤) لسان العرب (١/ ٤٠٢).

النهي فهي تفيد العموم، ولذا قال أبو السعود رحمه الله: (أي شيئا من الأشياءِ أو شيئا من الإشراكِ)[١]، فالنهي يعم المشرَك به، فلا يُشرَك مع الله غيره، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وفعل الشرك فلا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادة، ولو دقت لغير الله تعالى، قال البقاعي رحمه الله: (أي يوقعن الإشراك لأحد من الموجودات في وقت من الأوقات "بالله" أي الملك الذي لا كفوء له "شيئاً" أي من إشراك على الإطلاق)[٢].

﴿ وَلَا يَسۡرِقۡنَ ﴾والسرقة كما يقول الجرجاني رحمه الله: (أخذ الشيء من الغير على وجه الخفية)[٣]، يقول البقاعي رحمه الله مبينا مناسبة التعقيب بالنهي عن السرقة عقب النهي عن الشرك: (ولما كان الشرك بذل حق الملك لمن لا يستحقه ، أتبعه أخذ مال المالك بغير حق لاقتضاء الحال لذلك بتمكن المرأة من اختلاص مال الزوج وعسر تحفظه منها فقال : (ولا يسرقن) أي يأخذن مال الغير بغير استحقاق في خفية)[٤].

---

(١) تفسير أبي السعود (٨/ ٢٤٠).
(٢) نظم الدرر (٧/ ٥٦٦)
(٣) التعريفات (ص: ١١٨)
(٤) نظم الدرر (٧/ ٥٦٦)

﴿ وَلَا يَزْنِينَ ﴾ وهذا نهي عن قبيحة الزنا، وهو: (إتيان الْمَرْأَة من غير عقد شَرْعِي)[١]، قال البقاعي رحمه الله: (وأتبع ذلك بذل حق الغير لغير أهله فقال : (ولا يزنين) أي يمكن أحداً من وطئهن بغير عقد صحيح)[٢].

﴿ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾ولما كانت جريمة الزنا ربما نتج عنها ولدٌ غير شرعي، حذر من ما هو متوقع من قتل هذا الولد، إما بعد استهلاله، أو بإجهاضه[٣]، وهذه عادة من عادات الجاهلية، " يقتلن أولادهن " والولد كما يقول الخليل رحمه الله: (اسم يجمعُ الواحدَ والكثيرَ، والذكَر والأنْثَى سَواء)[٤]، وقد كان القتل منهن ربما وقع على البنات خشية العار، قال البغوي رحمه الله: (وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ أَرَادَ وَأْدَ الْبَنَاتِ الَّذِي كَانَ يَفْعَلُهُ أَهْلُالْجَاهِلِيَّةِ)[٥]، وربما وقع على الولد خشية الفقر والعيلة، قال ابن عطية رحمه الله: (قتل الأولاد وهو من خوف الفقر، وكانت العرب تفعل ذلك)[٦]، ولا ينحصر النهي عن قتل الولد في هاتين الصورتين بل كل

(١) ينظر المعجم الوسيط (١/ ٤٠٣)
(٢) نظم الدرر (٧/ ٥٦٦)
(٣) ينظر نظم الدرر (٧/ ٥٦٦)
(٤) العين (٨/ ٧١).
(٥) تفسير البغوي (٥/ ٧٦).
(٦) تفسير ابن عطية (٥/ ٢٩٩).

فعل يكون مآله تحقق القتل داخلاً في هذا النهي، ومن ذلك الإجهاض[١]، وهو: (خُرُوج الْجَنِين من الرَّحِم قبل الشَّهْر الرَّابِع)[٢]، ويعد قتلاً إذا تعمدت المرأة إسقاطه، قال ابن كثير رحمه الله: (وهذا يشمل قتله بعد وجوده، كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق، ويعم قتله وهو جنين، كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء، تطرح نفسها لئلا تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه)[٣]، " ولا يقتلن " قال الطاهر رحمه الله: (وأسند القتل إلى النساء وإن كان بعضه يفعله الرجال لأن النساء كنّ يرضين به أو يَسكتن عليه)[٤].

﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾هذا نهي منه سبحانه لهن عن البهتان وهو الكذب واختلاقه، قال الخليل رحمه الله: (بَهَتَهُ فلانٌ، أي: استقبله بأمرٍ قَذَفَهُ به وهو بريءٌ منه، لا يَعْلَمُه، والاسم: البُهتانُ. وبُهِتَ الرجل يبهت بهتاً إذا حار. يقال: رأى شيئاً فَبَهِتَ: ينظر نظر المُتَعَجِّب)[٥].

وجمهور المفسرين على أن المعنى المراد (ألا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن لأن

---

(١) ينظر التحرير والتنوير (٢٨/ ١٦٦).
(٢) المعجم الوسيط (١/ ١٤٣).
(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ١٠٠).
(٤) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٦٦).
(٥) العين (٤/ ٣٥).

الزوجة كانت تلتقط ولداً وتلحقه بزوجها ولداً، فيكون معنى " بين أيديهن " ما أخذته لقيطاً، "وأرجلهن " ما ولدته من زنى)[١]، روى ابن جرير رحمه الله بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله " ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن"(لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم)[٢]، ويؤيد أن المراد أبعد من مجرد الزنا، وهو إدعاء الولد الكاذب لأزواجهن تقدم النهي عن الزنا، قالالبغوي رحمه الله: (لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ نَهْيَهُنَّ عَنِ الزِّنَا لِأَنَّ النَّهْيَ عَنِ الزِّنَا قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، بَلِ الْمُرَادُ مِنْهُ أَنَّ تَلْتَقِطَ مَوْلُودًا وَتَقُولَ لِزَوْجِهَا هَذَا وَلَدِي مِنْكَ، فَهُوَ الْبُهْتَانُ الْمُفْتَرَى بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ، لِأَنَّ الْوَلَدَ إِذَا وَضَعَتْهُ الْأُمُّ سَقَطَ بَيْنَ يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا)[٣]، وقد ذهب بعض المحققين إلى العموم في لفظ البهتان المفترى، قال ابن عطية رحمه الله: (قال أكثر المفسرين معناه أن تنسب إلى زوجها ولدا ليس هو له واللفظ أعم من هذا التخصيص، فإن الفرية بالقول على أحد من الناس بعضيهة[٤] لمن هذا، وإن الكذب فيما ائتمن فيه من الحمل والحيض لفرية بهتان، وبعض أقوى من بعض وذلك أن بعض الناس قال بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ يراد به اللسان والفم في الكلام والقبلة ونحوه، «وبين

(١) تفسير الماوردي (٥/ ٥٢٥).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٩٤).
(٣) تفسير البغوي (٥/ ٧٦).
(٤) قال الجوهري الفارابي: (والعَضيهَةَ: البهيتةُ، وهي الإفك والبهتان) الصحاح (٦/ ٢٢٤١).

الأرجل» يراد به الفروج وولد الإلحاق ونحوه)[١]. ولعل مما يدل على عموم اللفظة وشمولها ما رواه البخاري بسنده عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه)، فبايعناه على ذلك)[٢]، فلو كان أمر البهتان بين الأيدي والأرجل خاصاً بادعاء الولد لما أخذه على الرجال، إذ لا يتصور ذلك منهم والعلم عند الله.

" يفترينه " صفة لبهتان، أي بهتان مفترى زيادة في الإنكار، أو حال من يأتين أي: يأتين ببهتان حال كونهن مفتريات[٣].

قال الخليل رحمه الله: (فَرَى يَفْري فلانٌالكَذِبَ إذا اختلقه، والفِرية: الكَذِبُ والقذف)[٤]،وقد وصف البهتان هنا وهو الكذب بالافتراء وهو بمعنى الكذب أيضاً مبالغة في وصف فعلهن بالكذب والاختلاق.

---

(١) تفسير ابن عطية (٥/ ٢٩٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الايمان) باب (علامة الإيمان حب الأنصار) حديث رقم (١٨).

(٣) تفسير اللباب لابن عادل ـــ (ص: ٤٩٠٥).

(٤) العين (٨/ ٢٨٠).

﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ذهب بعض المفسرين إلى تحديد المعروف هنا بترك النياحة، وقيل: إظهار التسخط عند المصيبة عموماً، وقيل: لا يختلين بحديث الرجال إلا مع ذي محرم، وقيل غير ذلك، وبالنظر لمفردة المعروف فقد قال الراغب عن المعروف:(اسمٌ لكلّ فعل يُعْرَفُ بالعقل أو الشّرع حسنه) [(١)]،وأيضاً أخذه صلى الله عليه وسلم البيعة على الرجال بهذه البنود في الآية، يتوجه إبقاء لفظة المعروف على عمومها، فيكون الله تعالى نهى المؤمنات ، وأخذ عليهن أن لا يعصين رسول الله صلى الله عليه وسلم في ما يأمرهن به من معروف، ويندرج تحت ذلك كل أمره صلى الله عليه وسلم ونهيه، ولذا كان جواب هند بنت عتبة رضي الله عنها، حين أخذ عليهن أن لا يعصينه في معروف أن قالت: (مَا جَلَسْنَا مَجْلِسَنَا هَذَا وَفِي أَنْفُسِنَا أَنْ نَعْصِيَكَ فِي شَيْءٍ فَأَقَرَّ النِّسْوَةُ بِمَا أُخِذَ عَلَيْهِنَّ)(٢)، قال القرطبي رحمه الله: (واختلف في معناه على ما ذكرنا، والصحيح أنه عام في جميع ما يأمر به النبي صلى الله عليه وسلم وينهى عنه ؛ فيدخل فيه النوح وتخريق الثياب وجز الشعر

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٦١).

(٢) المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي (١/ ١٢٤).

والخلوة بغير محرم إلى غير ذلك. وهذه كلها كبائر ومن أفعال الجاهلية.)[١]، وقال القنوجي رحمه الله[٢] بعد أن ساق جملة من الأقوال في الآية الكريمة: (ومعنى القرآن أوسع مما قالوه مع دخول النوح فيه)[٣]، " في معروف " قيد أمره صلى الله عليه وسلم بالمعروف، مع أنه لا يأمر إلا به كما يقول أبو السعود رحمه الله: (للتنبيه على أنَّه لا يجوزُ طاعةُ مخلوقٍ في معصيةِ الخالق)[٤].

أشار الرازي رحمه الله إلى وجه ترتيب هذه المنهيات وتقديم بعضها على بعض بقوله:(قدم الأقبح على ما هو الأدنى منه في القبح، ثم كذلك إلى آخره، وقيل: قدم من الأشياء المذكورة ما هو الأظهر فيما بينهم)[٥].

﴿ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾هذا جواب إذا الشرطية في قوله

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٧٤).

(٢) محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لُطْف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيّب: من رجال النهضة الإسلامية المجددين. ولد ونشأ في قنوج (بالهند) وتعلم في دهلي. وسافر إلى بهوپال طلبا للمعيشة، ففاز بثروة وافرة، وتزوجبملكة بهويال، ولقب بنواب عالي الجاه أمير الملك بهادر، له نيف وستون مصنفا بالعربية والفارسية والهندسية. منها بالعربية (حسن الأسوة في ما ثبت عن الله ورسوله في النسوة) و (أبجد العلوم) و (فتح البيان في مقاصد القرآن) عشرة أجزاء، في التفسير، ولد عام ١٢٤٨ه وتوفي سنة ١٣٠٧ه. الأعلام للزركلي (٦/ ١٦٧).

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٤/ ٩١).

(٤) تفسير أبي السعود (٨/ ٢٤٠).

(٥) تفسير الرازي (٢٩/ ٥٢٤).

" إذا جاءك المؤمنات يبايعنك.." أي: إذا بايعنك على هذه الشرائط فبايعهن[١]، وسمى سبحانه هذه المعاهدة مبايعة كما يقول القنوجي رحمه الله: (تشبيهاً لها بها، كأن كل واحد منهم باع ما عنده بما عند الآخر)[٢]،" واستغفر لهن الله " أي: اطلب من الله المغفرة لهن بعد هذه المبايعة لهن منك[٣]، " إن الله غفور رحيم " بالغ المغفرة والرحمة، وهذا إخبار متضمن الوعد منه سبحانه برحمتهن ومغفرة ما مضى من ذنوبهن، متى وفين بما أُخذ عليهن.

(١) تفسير الرازي (٢٩/ ٥٢٤).
(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٤/ ٩٢).
(٣) تفسير فتح القدير (٥/ ٢١٦)

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع

هذا نداء من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يقبل مبايعة من جاءته مؤمنة راغبة في الإسلام، وبين سبحانه بنود هذه المبايعة، فبدأها بأصل المنهيات والمحرمات وهو الشرك به تعالى، فنهاهن عن الشرك بأنواعه صغيره وكبيره، ثم نهاهن عن السرقة وهي أخذ مال الغير من حرزه على وجه الخفية، وهو من الظلم والعدوان، ثم نهاهن عن فاحشة الزنا، وهي من القبائح والموبقات، ثم نهاهن تعالى عن قتل الأولاد، أيا كان دافع القتل خشية العار في حق الأنثى، أو خشية الفقر في حق الأنثى والذكر، وأيا كانت صورة القتل، سواء القتل المباشر، أو التسبب في قتله عن قصد وعمد، ثم نهاهن سبحانه عن البهتان والافتراء وهو الكذب والادعاء الباطل بكل صوره، يفيد ذلك عموم قوله سبحانه " بين أيديهن وأرجلهن " فيندرج تحت هذا الوصف، النميمة، والبهتان، وادعاء الولد بالزنا، او ادعائه بالالتقاط، ثم نهاهن سبحانه وبحمده عن معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يأمرهن به من معروف، والمعروف من الألفاظ الجامعة التي تعم كل بر فيحرص عليه، وكل نهي فيتقى، ثم أوصى سبحانه نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم إذا وفين بهذه الأمور والتزمن بها، أن يبايعهن، ويقبل منهن، وأن يسأل الله لهن المغفرة عما مضى،فالله

تعالى أهل لكل بر وإحسان، فهو غفور يستر ذنب عبده المقبل المنيب، ولا يؤاخذه به، وهذا من آثار رحمته بعباده سبحانه وبحمده.

المطلب الخامس: ما ترشد إليه آيات الموضوع

١ / نقل غير واحد من الأئمة الإجماع على عدم لزوم العمل بهذه الشروط في مبايعة النساء، قال مكي بن أبي طالب رحمه الله[١]: (وهذه الشروط كلها ليست على الإلزام، إنما هي على الندب، لأن الإجماع على أنه ليس على الإمام أن يشترط هذا على من أتته مؤمنة، فدل هذا على أنه على الندب، وقد قيل أنه منسوخ بالإجماع)[٢]، وقد نقل القرطبي رحمه الله عن المهدوي[٣] قوله: (أجمع المسلمون على أنه ليس للإمام أن يشترط عليهن هذا ؛ والأمر بذلك ندب لا إلزام، وقال بعض أهل النظر : إذا احتيج إلى المحنة من أجل تباعد الدار كان على إمام المسلمين إقامة

---

(١) مكى بن أبى طالب حمّوش بن محمدبن مختار القيسىّ المقرئ ، يكنى أبا محمد؛ أصله من القيروان، وسكن قرطبة، من أهلالتبحر فى علوم القرآن والعربية. حسن الفهم، جيد الدين كثير التأليف في علوم القرآن والعربية،ولد لسبع بقين من شعبان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، بالقيروان، وسافر إلى مصر؛ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، واختلف في مصر إلى المؤدّبين بالحساب، ثم رجع إلى القيروان واستكمل بها علومه، ثم نهض إلى مصر ثانية، بعد أن أكمل القراءات بالقيروان سنة سبعوسبعين وثلاثمائة، كان خيّرا فاضلا متواضعا متديّنا، مشهورا بالصلاح وإجابة الدعوة؛ من مصنفاته: الهداية إلى بلوغ النهاية في معانى القرآن وتفسيره وأنواع علومه، كتاب التبصرة فى القراءات، كتاب الموجز فى القراءات، كتاب المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره، كتاب الرعاية لتجويد القراءة، توفّى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة. ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (٣/ ٣١٣).

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية (١١/ ٧٤٣٢).

(٣) أحمد بن محمد أبو العباس المهدوي المقرئ أصله من المهدية من بلاد القيروان، ودخل الأندلس في حدود الثلاثين وأربعمائة أو نحوهما، كان عالماً بالقراءات والأدب متقدماً إماماً ألف في التفسير كتاباً حسناً ومن شعره في ظاءات القرآن.، له مؤلفات منها (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل) وهو تفسير كبير للآيات، يذكر القراآت والإعراب، واختصره وسماه (التحصيل في مختصر التفصيل)،(التيسير في القراآت) و (ري العاطش) و (الهداية) في القراآت، توفي رحمه الله سنة ٤٤٠ه. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص: ١٦٣) الأعلام للزركلي (١/ ١٨٤).

المحنة)[١]، وقال ابن جزي رحمه الله: (وهذه المبايعة للنساء غير معمول بها اليوم، لأنه أجمع العلماء على أنه ليس للإمام أن يشترط عليهن هذا فإما أن تكون منسوخة ولم يذكر الناسخ، أو يكون ترك هذه الشروط لأنها قد تقررت وعلمت من الشرع بالضرورة فلا حاجة إلى اشتراطها)[٢].

٢ / الشرك أصل المنهيات، وأعظم المحرمات، لا يقبل الله تعالى من صاحبه يوم القيامة صرفاً، ولا عدلاً، وصاحبه يوم القيامة خالد مخلد في النار، ولذا بدأ سبحانه بالنهي عنه في بيعة النساء، وهذه عادة القرآن، فإنا نجد النهي عن الشرك مقدم على كل منهي.

٣ / جواز أخذ الزوجة من مال زوجها الشحيح، الذي لا ينفق عليها ما يجب عليه، قال ابن كثير رحمه الله: (فأما إذا كان الزوج مقصرا في نفقتها، فلها أن تأكل من ماله بالمعروف، ما جرت به عادة أمثالها، وإن كان بغير علمه)[٣]، وقد قيد ابن العربي رحمه الله الأخذ بقوله: (وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ فِيمَا لَا يَخْزُنُهُ عَنْهَا فِي حِجَابٍ، وَلَا يَضْبِطُ عَلَيْهَا بِقُفْلٍ، فَإِنَّهَا إذَا هَتَكَتْهُ الزَّوْجَةُ، وَأَخَذَتْ مِنْهُ كَانَتْ سَارِقَةً،

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٧٦).
(٢) تفسير ابن جزي (٢/ ٣٦٩).
(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٩٩).

تَعْصِي بِهَا، وَتُقْطَعُ عَلَيْهِ يَدُهَا حَسْبَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ)[١].

٤ / دل قوله تعالى " ولا يقتلن أولادهن " على حرمة القتل المباشر أو التسبب في قتله، ويدخل في ذلك الإجهاض لغير ضرورة معتبرة، قال ابن كثير رحمه الله في الآية: (وهذا يشمل قتله بعد وجوده، كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق، ويعم قتله وهو جنين، كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء، تطرح نفسها لئلا تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه)[٢]، جاء في فتاوى اللجنة الدائمة في المملكة العربية السعودية، في الجواب على فتوى رقم (١٩٣٣٧) ما نصه: (الأصل في حمل المرأة أنه لا يجوز إسقاطه في جميع مراحله إلا لمبرر شرعي، فإن كان الحمل لا يزال نطفة وهو ما له أربعون يوما فأقل، وكان في إسقاطه مصلحة شرعية أو دفع ضرر يتوقع حصوله على الأم- جاز إسقاطه في هذه الحالة، ولا يدخل في ذلك الخشية من المشقة في القيام بتربية الأولاد أو عدم القدرة على تكاليفهم أو تربيتهم أو الاكتفاء بعدد معين من الأولاد، ونحو ذلك من المبررات الغير شرعية، أما إن زاد الحمل عن أربعين يوما حرم إسقاطه؛ لأنه بعد الأربعين يكون علقة وهو بداية خلق الإنسان، فلا يجوز إسقاطه بعد بلوغه

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٢٣٨).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ١٠٠)

هذه المرحلة حتى تقرر لجنة طبية موثوقة أن في استمرار الحمل خطرا على حياة أمه، وأنه يخشى عليها من الهلاك فيما لو استمر الحمل)[١].

٥ / في تقديمه سبحانه وبحمده المنهيات في هذه الآية الكريمة "لا يشركن .. لايسرقن .. لا يزنين.." على المأمورات المشمولة في كلمة " المعروف" إشارة إلى أن التخلية مقدمة على التحلية، ودفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة، قال البقاعي رحمه الله: (وقدم المنهيات على المأمورات المستفادة من المعروف لأن التخلي عن الرذائل مقدم على التحلي بالفضائل لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح)[٢].

٦ / دل قوله تعالى " ولا يعصينك في معروف " على أن طاعة الولاة مقيدة في ما دون المحرم،قال ابن الجوزي رحمه الله: (وفي هذه الآية دليل على أن طاعة الولاة إنما تلزم في المباح دون المحظور)[٣].

٧ / في قوله تعالى " فبايعهن واستغفر لهن الله " تنبيه على أن الجزاء من جنس العمل، فكما التزمن بما بايعتهن عليه، فالتزم لهن بقبول المبايعة، والاستغفار لهن، قال أبو

(١) فتاوى اللجنة الدائمة – ١ (٢١/ ٤٥٠)

(٢)نظم الدرر (٧/ ٥٦٧).

(٣)زاد المسير في علم التفسير (٨/ ٢٤٧).

السعود رحمه الله في قوله تعالى:"واستغفر لَهُنَّ الله"(زيادة على ما في ضمنِ المبايعةِ فإنها عبارةٌ عن ضمانِ الثوابِ من قبلِهِ عليهِ الصَّلاة والسَّلام بمقابلةِ الوفاءِ بالأمورِ المذكورةِ من قبلهنَّ)[١].

٨ / بالنظر إلى واقع مبايعة النساء بين يديه صلى الله عليه وسلم، نجد سماحة الإسلام، ويسر الشريعة، الأمر الذي استوعب جميع المدعوين، مع اختلاف مشاربهم، وطباعهم، يبدو ذلك بارزاً في موقف هند بنت عتبة رضي الله عنها يوم المبايعة، وكيف قبل صلى الله عليه وسلم إسلامها دون أدنى حرج، مع عظيم ما كان منها، كما تبدو تلك السماحة، وذلك اليسر في خبر المرأة التي قبضت يدها عند ذكر النياحة، مشترطة الوفاء لأناس واسوها في مصاب لها، ولم يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم تحرَّج أو تعنت في قبولها، فقد روى البخاري رحمه الله بسنده عن أم عطية رضي الله عنها قالت: (بايعنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقرأ علينا {أن لا يشركن بالله شيئا} ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها فقالت أسعدتني فلانة أريد أن أجزيها فما قال لها النبي صلى الله عليه و سلم شيئا

(١) تفسير أبي السعود (٨/ ٢٤١).

فانطلقت ورجعت فبايعها)[١].

٩ / وبالنظر أيضاً إلى واقع مبايعة النساء، نجد أن قاذورة الزنا نافت الحرية والشرف والإباء، قبل أن يحرمها الشرع، ويحذر منها، وذلك حين قالت هند رضي الله عنها متعجبة: (أو تزني الحرة يا رسول الله).

١٠ / بالتأمل في التنبيهات الواردة في الآية الكريمة نجد أنها قائمة على توطيد العبد علاقته مع الله، وذلك بنبذ الشرك بكل صوره وأنواعه، وتجرد قلبه لله تعالى، وتوطيد علاقته مع من حوله وذلك بكف الأذى بكل صوره عنهم، وهذان جانبان، حري بالمرء مراعاهما، فلا سلامة له بحال حتى يكونا على ما يحب الله تعالى، ولا يغني عنايته بأحدهما عن الآخر، روى أحمد في مسنده من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ (قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ هِيَ فِي النَّارِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنْ الْأَقِطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ هِيَ فِي الْجَنَّةِ)[٢]، فلم تغن عنها صلاتها ولا صيامها، حين آذت عباد الله، وفي المقابل روى مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت:(قلت: يا رسول الله ،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (تفسير القرآن) باب (إذا جاء ك المؤمنات يبايعنك) حديث رقم (٤٨٩٢).
(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٢١/١٥) حديث رقم (٩٦٧٥).

ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ، ويطعم المسكين ، فهل ذاك نافعه ؟ قال : لا ينفعه إنه لم يقل يوما : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)[١]، فنلحظ أن صلته ومعروفه للناس لم يغن عنه شيئاً، فلابد من العناية بهذين المقامين، علاقة العبد مع الله، وعلاقته مع خلقه.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل) حديث رقم: (٢١٤).

المبحث السادس

النهي عن موالاة اليهود (الآية : ١٣)

وفيــه ستة مطالــب: -

- المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.
- المطلب الثاني: التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق.
- المطلب الثالث: سبب النزول.
- المطلب الرابع: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.
- المطلب الخامس: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.
- المطلب السادس: ما ترشد إليه آيات الموضوع.

* * * * * *

النهي عن موالاة اليهود

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴾[1]

(١) سورة الممتحنة: ١٣.

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

إن ارتباط هذه الآية الكريمة في هذا الموضوع بمحور السورة الأساسى، وتناسقها مع جوها العام واضح جلي، فقد ختمت بالتأكيد على ما بدأت به من التحذير من موالاة الكفار، وموادتهم، مؤكدة على وجوب تجرد القلب، وخلوصه لله تعالى، حباً وبغضاً وولاء وبراء، يقول أبو حيان رحمه الله: (ولما فتح هذه السورة بالنهي عن اتخاذ الكفار أولياء ، ختمها بمثل ذلك تأكيداً لترك مولاتهم وتنفير المسلمين عن توليهم وإلقاء المودّة إليهم)[1].

(١) البحر المحيط (٨/ ٢٥٦).

المطلب الثاني: التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق

بهذا التوجيه الرباني العظيم، يكتمل عقد هذه السورة الكريمة، حيث التأكيد على ما بدأت به، وتتابعت آياتها في التأكيد عليه، من المفاصلة التامة، والبراء الكامل من الكفر، وأهله، يقول سيد رحمه الله: (وفي الختام يجيء هذا الإيقاع العام:«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَما يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحابِ الْقُبُورِ»، يجيء هتافا للذين آمنوا باسم الإيمان، وبالصفة التي تميزهم عن سائر الأقوام، إذ تصلهم بالله وتفصلهم عن أعداء الله، وهو هتاف يتجمع من كل إيقاعات السورة واتجاهاتها. فتختم به كما بدأت بمثله. ليكون هو الإيقاع الأخير. الذي تترك السورة أصداءه في القلوب)[١].

لقد توافقت خاتمة السورة مع أولها، للتأكيد على موضوع السورة الرئيس، وهو تجريد القلب لله سبحانه وبحمده حباً وبغضاً، وولاءً وبراءً، وقال القنوجي رحمه الله: (لما افتتح السورة بالنهي عن اتخاذ الكفار أولياء، ختمها بمثل ذلك تأكيداً لعدم موالاتهم، وتنفيراً للمسلمين عنها)[٢].

ويقول الألوسي رحمه الله مبينا تناسق موضوع هذه الآية الكريمة مع ما سبقها من

---

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٤٨).

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٤/ ٩٣).

موضوعات: (وقوله تعالى: " يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ " إلخ مستطرد فإنه لما جرى حديث المعاملة مع الذين لا يقاتلون المسلمين والذين يقاتلونهم وقد أخرجوهم من ديارهم من الأمر بمبرة أولئك والنهي عن مبرة هؤلاء أتى بحديث المعاملة مع نسائهم، ولما فرغ من ذلك أوصل الخاتمة بالفاتحة على منوال رد العجز على الصدر من حيث المعنى)[١].

(١) تفسير الألوسي (١٤/ ٢٧٥).

المطلب الثالث: سبب النزول

روى ابن المنذر رحمه الله بسنده عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: (كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو، وَزَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ، يُوَادَّانِ رِجَالا مِنَ الْيَهُودِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ} الآيَةَ)[١]، وهذا تصريح بسبب النزول كما هو ظاهر الرواية.

وقد نسب ابن عادل رحمه الله إلى ابن زيدٍ رحمه الله قوله: إنَّ ناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المؤمنين، ويواصلونهم، فيصيبون بذلك من ثمارهم، فنهوا عن ذلك[٢].

(١) تفسير ابن المنذر (١/ ١٠٧).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (١٩/ ٤١).

المطلب الرابع: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ختم الله سبحانه السورة بما بدأها به من النهي عن تولي أهل الكفر، وموادتهم(١)، فهذا نداء منه سبحانه لعباده المؤمنين، بأحب الأوصاف إليهم أن يحذروا موالاة من غضب عليهم سبحانه.

" قوماً غضب الله عليهم " ذهب جمع من المفسرين إلى أن المراد بالقوم هنا اليهود(٢)، وذلك لأجل وصفهم بالغضب، وهو من ألصق الأوصاف بهم في القرآن، وذهب بعض المحققين إلى شمول القوم في الآية لليهود وغيرهم من الكفرة، فكل الكفار قد غضب الله عليهم لكفرهم، قال الشوكاني رحمه الله: (هم جميع طوائف الكفر وقيل اليهود خاصة وقيل المنافقون خاصة وقال الحسن اليهود والنصارى والأول أولى لأن جميع طوائف الكفر تتصف بأن الله سبحانه غضب عليها)(٣).

ولعل حصر المراد باليهود أقرب مراعاة لسبب نزول الآية الكريمة، واعتباراً لصفة الغضب فهي بهم أليق، وإعمالاً للتشبيه في الآية دون الاظطرار إلى القول بالتكرار،

(١) ينظر تفسير النسفي (٤/ ١٩٧)، تفسير ابن كثير (٨/ ١٠٣).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠٢)، تفسير الثعلبي (٩/ ٢٩٩).
(٣) تفسير فتح القدير (٥/ ٢١٧).

والعلم عند الله، وقال عطية محمد سالم رحمه الله في تتمته على الأضواء نقلاً عن شيخه رحمه الله: (ومما تقدم للشيخ – رحمة الله تعالى عليه – في مقدمة الأضواء، أنه إذا اختلف في تفسير آية، وكان أكثر استعمال القرآن لأحد المعنيين كان مرجحا على الآخر، وهو محقق هنا)[١].

قال الطاهر رحمه الله: (بعد أن استقصت السورة إرشاد المسلمين إلى ما يجب في المعاملة مع المشركين ، جاء في خاتمتها الإِرشاد إلى المعاملة مع قوم ليسوا دون المشركين في وجوب الحذر منهم وهم اليهود ، فالمراد بهم غير المشركين إذ شُبه يأسهم من الآخرة بيأس الكفار ، فتعين أن هؤلاء غير المشركين لئلا يكون من تشبيه الشيء بنفسه، وقد نعتهم الله بأنهم قوم غَضب الله عليهم ، وهذه صفة تكرر في القرآن إلحاقها باليهود كما جاء في سورة الفاتحة أنهم المغضوب عليهم . فتكون هذه الآية مثلَ قوله تعالى : " يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزؤاً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء " في سورة العقود)[٢]، وجملة " غضب الله عليهم " وصف لقوم[٣].

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/ ١٠٢).
(٢) التحرير والتنوير ـــ (٢٨/ ١٦٩).
(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٠/ ٣١١).

﴿ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾ هذا بيان لسبب غضب الله تعالى عليهم، وهو يأسهم من الآخرة[١]، (اليأس انتفاء الطمع) [٢]، ومعنى يأسهم من الآخرة انقطاع رجائهم من أي خير لهم فيها، إما كما يقول البقاعي رحمه الله: (لإحاطة معاصيهم بهم أو لعدم اعتقادهم لقيامها ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)[٣]،و "من" هنا: (لابتداء الغاية أي: إنهم لا يُوقنون بالآخرةِ البتةَ)[٤].

﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾يعني: كما يئس الذين ماتوا على الكفر وصاروا في القبور من أن يكون لهم ثواب في الآخرة وذلك أن الكفار إذا دخلوا قبورهم أيسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم والمعنى أن اليهود الذين عاينوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يؤمنوا به قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم والله سبحانه وتعالى أعلم[٥].

وقد رجح ابن جرير رحمه اله القول الأول فقال: (وأولى القولين في ذلك عندي

---

(١) ينظر نظم الدرر (٧/ ٥٦٨).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٥٢).

(٣) نظم الدرر (٧/ ٥٦٨).

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٠/ ٣١١).

(٥) تفسير الخازن – دار الفكر (٧/ ٨٣)، ينظر أيضاً تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠٢)، (٢٢/ ٦٠٣).

بالصواب قول من قال: قد يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله لهم في الآخرة، وكرامته لكفرهم وتكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم على علم منهم بأنه لله نبي، كما يئس الكفار منهم الذين مضوا قبلهم فهلكوا، فصاروا أصحاب القبور، وهم على مثل الذي هؤلاء عليه من تكذيبهم عيسى صلوات الله عليه وغيره من الرسل، من ثواب الله وكرامته إياهم. وإنما قلنا: ذلك أولى القولين بتأويل الآية، لأن الأموات قد يئسوا من رجوعهم إلى الدنيا، أو أن يبعثوا قبل قيام الساعة المؤمنون والكفار، فلا وجه لأن يخص بذلك الخبر عن الكفار، وقد شركهم في الإياس من ذلك المؤمنون)[١].

يقول سيد طنطاوي رحمه الله: (وعلى كلا القولين، فالآية الكريمة تنهى المؤمنين عن موالاة قوم غضب الله عليهم، بأبلغ أسلوب، وأحكم بيان)[٢].

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠٥).

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٤/ ٣٤٨).

المطلب الخامس: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع

هذا ختام لهذه السورة الكريمة بمثل ما بدأت به، حيث ينادي سبحانه عباده بأحب أوصافهم إليهم، صفة الإيمان بالله تعالى الدافعة لكل خير، الصارفة عن كل شر، يحذرهم سبحانه من موالاة من غضب عليهم، وهم اليهود، الذين يئسوا من أن ينالوا خيراً في الآخرة، لكفرهم بها، وظلمهم أنفسهم بعدم الاستعداد لها، وقد شبه سبحانه يأسهم من أن يحصِّلوا خيراً في الآخرة، بيأس الكفار المكذبين من أصحاب القبور الذين مضوا قبلهم فهلكوا، وهم على مثل ماهم عليه من الكفر والتكذيب لأنبياء الله ورسله عليهم السلام، من ثواب الله وكرامته إياهم.

المطلب السادس: ما ترشد إليه آيات الموضوع

١ / في ختم السورة الكريمة بمثل ما بدأت به، من حيث النداء والمضمون، تأكيد على عظم، وشناعة، وقبح موالاة الكفار، وسوء عاقبته على أهل الإيمان في عاجل أمرهم، وآجله، قال المراغي رحمه الله: (لا تتخذوا اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليهم واستحقوا الطرد من رحمته- أولياء لكم وأصدقاء تسرون إليهم بما يضر نشر الدعوة، ويحول دون تقدم شئون الملة.)[١].

وقال الزحيلي: (وأكدت الآية الثانية تحريم موالاة الكفار وتزويدهم بأخبار المسلمين، والإسرار إليهم، واتخاذهم أصدقاء وأخلاء، لأنهم لا يؤتمنون على مصالح المسلمين، بل يخونونهم ويفيدون من ذلك في قتالهم ومعاداتهم، ولأنهم قوم كفروا بالآخرة ولم يؤمنوا بالبعث والحساب، ويئسوا من ثواب الآخرة، كما يئس الكفار الأحياء من رجوع موتاهم أصحاب القبور إلى الدنيا)[٢].

٢ / تكرار النداء بصفة الإيمان في التحذير من مثل هذه الموبقات، فيه دلالة على أهمية الإيمان في استجابة العبد لمراد الله تعالى، والحرص عليه، والحذر مما يوجب

(١) تفسير المراغي (٢٨/ ٧٧).
(٢) التفسير المنير (٢٨/ ١٥٦).

سخطه، يقول سيد رحمه الله: (يجيء هتافا للذين آمنوا باسم الإيمان، وبالصفة التي تميزهم عن سائر الأقوام، إذ تصلهم بالله وتفصلهم عن أعداء الله)[١].

٣ / في الآية دليل على خطورة اليأس من روح الله، فإنه يورد العبد الهلاك، وذلك أن طمعه في رحمة الله ينقطع، فلا يبقى له أي دافع لفعل الخير، وترك الشر، وقد ألمح القاسمي رحمه الله إلى أن اليأس سبب لطغيانهم، وفسادهم فقال: (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ أي من جزائها لجحدهم بها، ولذلك طغوا وبغوا وعاثوا)[٢].

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٤٨).
(٢) تفسير القاسمي (٩/ ٢١٤).

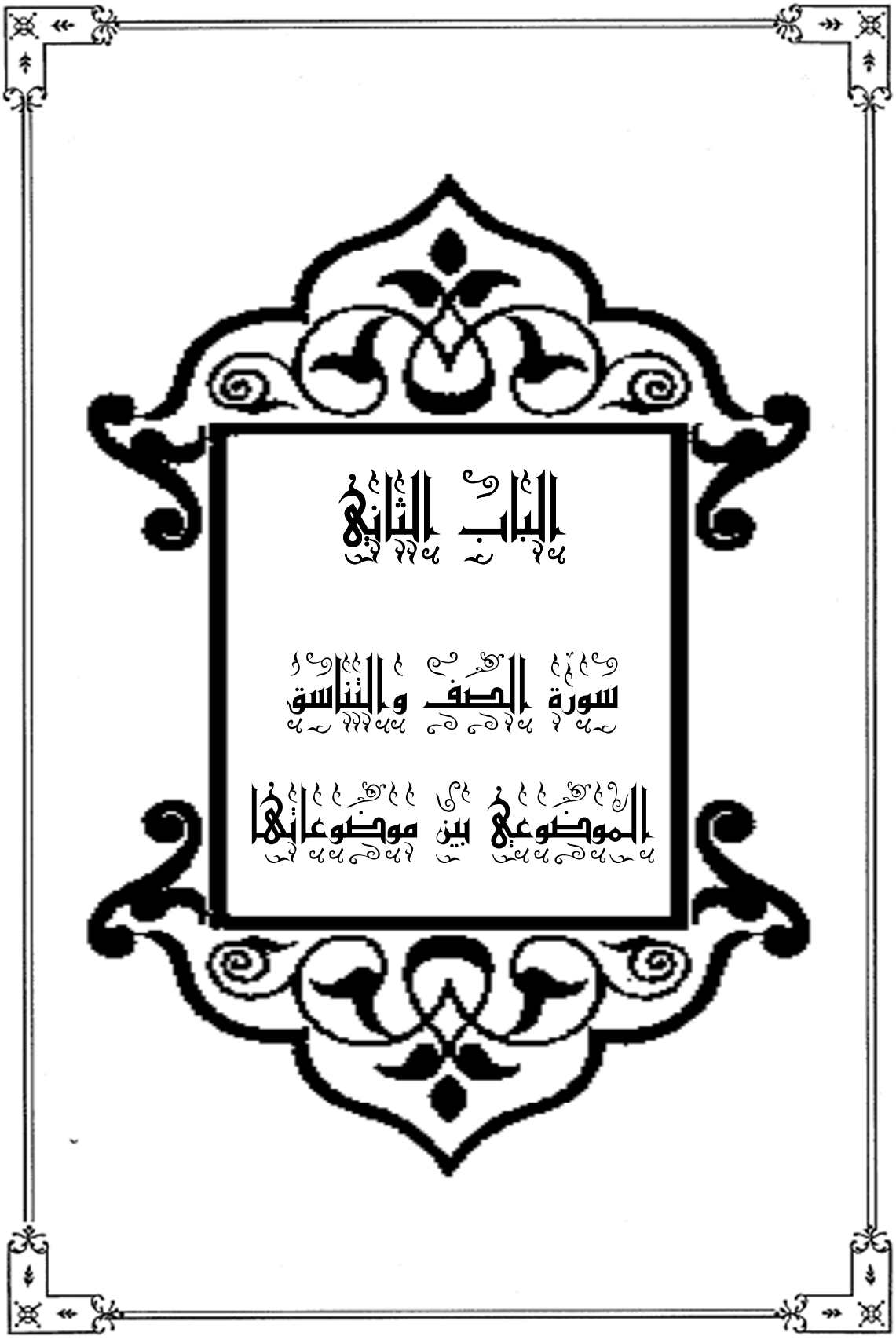

الباب الثاني

سورة الصف والتناسق

الموضوعي بين موضوعاتها

الفصل الأول

الفصل الأول

بين يدي السورة الكريمة

وفيه ثمانية مباحث: -

- **المبحث الأول :اسم السورة، وما اشتهر لها من أسماء.**
- **المبحث الثاني: ما ورد في فضل السورة أو في بعض آياتها.**
- **المبحث الثالث :عدد آيات السورة.**
- **المبحث الرابع: تاريخ نزول السورة.**
- **المبحث الخامس: مكية السورة أو مدنيتها ، ووجه اختصاصها بما اختصت به.**
- **المبحث السادس: مقاصد السورة .**
- **المبحث السابع : الوحدة الموضوعية للسورة.**
- **المبحث الثامن: مناسبات السورة الكريمة .**

* * * * * *

المبحث الأول

اسم السورة، وما اشتهر لها من أسماء

* * * * * *

اسم السورة، وما اشتهر لها من أسماء

سورة الصف، هذا هو الاسم التوقيفي لها[١]، فبهذا الاسم وردت الأحاديث والآثار، وبه ورد تعريفها في المصاحف وعامة كتب التفسير، وبه بوب بعض علماء الحديث في مصنفاتهم حين الحديث عن هذه السورة[٢]، فقد روى أحمد في مسنده بسنده عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه قَالَ (تَذَاكَرْنَا أَيُّكُمْ يَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْأَلَهُ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ مِنَّا فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَجَمَعَنَا فَقَرَأَ عَلَيْنَا هَذِهِ السُّورَةَ يَعْنِي سُورَةَ الصَّفِّ كُلَّهَا) [٣] ، ووجه تسميتها بهذا الاسم ظاهر، وهو ورود لفظ (صف) في أولها، يثني به الله تعالى على عباده المجاهدين في سبيله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[٤].

ومما ذُكر من أسماء هذه السورة الكريمة: سورة الحواريين، أورد هذا الاسم جمع من المفسرين في كتبهم، كابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير[٥]، وابن جزي رحمه الله في

---

(١) سبقت الإشارة إلى موضوع أسماء السور، وهل هو توقيفي أو اجتهادي. يراجع صـــ(٤١).

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٨٥٧)، سنن الترمذي (٥/ ٤١٢)، السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ٢٩٩)، مسند أبي عوانة (٢/ ٤٩٥)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٨٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩/٢٠٥) حديث رقم (٢٣٧٨٨).

(٤) سورة الصف: ٤.

(٥) زاد المسير في علم التفسير (٨/ ٢٤٩).

التسهيل لعلوم التنزيل[١]، والبقاعي رحمه الله في نظم الدرر[٢]، والسيوطي رحمه الله في الدر المنثور[٣]، وقد عزاه إلى ابن عباس رضي الله عنهما، دون إسناد، ولعل هذا من قبيل الاجتهاد في التسمية لورود خبر الحواريين في السورة في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ ﴾[٤] ... الآية.

(١) تفسير ابن جزي (٢/ ٣٧٠).
(٢) نظم الدرر (٦/ ١١٤).
(٣) الدر المنثور في التفسير (١٤/ ٤٣٩).
(٤) سورة الصف: ١٤.

المبحث الثاني

ما ورد في فضل السورة أو في بعض آياتها

* * * * * *

ما ورد في فضل السورة أو في بعض آياتها

لم يصح في ما أعلم في فضل السورة حديث يخصها بعينها، ولكنها مندرجة في الفضل في موضعين، أحدهما: أنها من سور المفصل، وفيها ما في المفصل من فضل فقد فُضِّل به صلى الله عليه وسلم عن سائر الأنبياء عليهم السلام، فقد روى أحمد في مسنده من حديث وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قَالَ أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَئِينَ وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ)[١].

وثانيهما: أنها من سور المسبحات، وقد ورد في المسبحات قوله صلى الله عليه وسلم كما عندأ حمد وأصحاب السنن من حديث عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كَانَ يَقْرَأُ الْمُسَبِّحَاتِ قَبْلَ أَنْ يَرْقُدَ وَقَالَ إِنَّ فِيهِنَّ آيَةً أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ)[٢].

(١) سبق تخريجه في: صـــ(٤٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩٢/٢٨) حديث رقم (١٧١٦٠).

المبحث الثالث

عدد آيات السورة

* * * * * *

عدد آيات السورة

عدد آياتها أربع عشرة آية باتفاق، قال أبو عمرو الداني رحمه الله: (لا نظير لها في عددها، كلمها مئتان وإحدى وعشرون كلمة، وحروفها تسع مئة وستة وعشرون حرفا، وهي أربع عشرة آية ليس فيها اختلاف)[١]، وقد نقل اتفاق أهل العدد على ذلك شهاب الدين الحنفي[٢] في حاشيته على تفسير البيضاوي فقال رحمه الله: (ولا خلاف في عدد آياتها)[٣]، وكذا الطاهر ابن عاشور رحمه الله فقال: (وعدد آيها أربع عشرة آية باتفاق أهل العدد)[٤]، وممن نص على أن عدد آياتها أربع عشرة آية من أئمة التفسير: ابن جرير رحـــــمه الله[٥]، أبو الليث السمرقندي[١] رحمه الله[٢]، الثعلبي رحمه الله[٣]، الواحدي

(١) البيان في عد آي القرآن (ص: ٢٤٥).

(٢) أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري: قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة، نسبته إلى قبيلة خفاجة، ولد بمصر عام٩٧٧ه، ونشأ بها، ورحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر. ثم عزل عنها فرحل إلى الشام وحلب وعاد إلى بلاد الروم، فنفي إلى مصر وولي قضاءاً يعيش منه فاستقر إلى أن توفي سنة ١٠٦٩ه، من أشهر كتبه (ريحانة الألبا) ترجم به معاصريه على نسق اليتيمة، و (شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل) و (عناية القاضي وكفاية الراضي – ط) حاشية على تفسير البيضاوي. ينظر الأعلام للزركلي (١/ ٢٣٨).

(٣) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (٨/ ١٩٠).

(٤) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٧٣).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠٦).

رحمه الله[٤]، البغوي رحمه الله[٥]، وغيرهم.

=

(١) الإمام، الفقيه، المحدث، الزاهد، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي، صاحب كتاب (تنبيه الغافلين) ، وله كتاب (الفتاوى)، يروي عن: محمد بن الفضل بن أنيف البخاري وجماعة، وتروج عليه الأحاديث الموضوعة، روى عنه: أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الترمذي، وغيره، وفاته في جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة. سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٢٢)، رجال الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٠).

(٢) تفسير السمرقندي (٣/ ٤٤٢).

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٠١).

(٤) التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٢٩٠).

(٥) تفسير البغوي (٥/ ٧٩).

المبحث الرابع

تاريخ نزول السورة

* * * * * *

تـاريخ نزول السورة

عند التأمل في روايات نزول صدر هذه السورة الكريمة، يتضح أنها نزلت قُبَيْل، وبُعَيْد فرض الجهاد، وذلك بعد أن تمنوا الجهاد، فلما فرض شق على بعضهم، قال ابن كثير رحمه الله: (وحملوا – أي: جمهور العلماء – الآية على أنها نزلت حين تمنوا فرضية الجهاد عليهم، فلما فرض نكل عنه بعضهم)[١]، وأول فرض الجهاد كان في حدود السنة الثانية للهجرة، بعد نزول قوله تعالى﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[٢]، نقل ابن جرير رحمه الله عن بعض الأئمة أن هذه الآية: (هي أول آية نزلت في أمر المسلمين بقتال أهل الشرك)[٣]، قال محمد محمد أبو شهبة[٤] رحمه الله مبيناً ما ترجح لديه في تحديد بدء فرض الجهاد: (والذي يترجح عندي بعد النظر

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ١٠٦).

(٢) سورة البقرة: ١٩٠.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٢٨٩).

(٤) ولد رحمه الله عام ١٣٣٢ه في قرية منية جناج التابعة لكفر الشيخ في مصر، ونشأ في بيت علم وفضل، وأتم حفظ القرآن في السنة التاسعة من عمره، إلى جانب ضبط جملة من العلوم كالقراءة والكتابة وأصول الدين والسيرة، جاور في مكة حرسها الله أربع سنين حين أعير للتدريس في المعهد العالي السعودي بمكة، له مشاركاته الفاعلة في كثير من البرامج المسموعة والمرئية في جملة من الدول كمصر والسعودية والعراق والسودان، له جملة طيبة من المؤلفات منها: المدخل لدراسة القرآن، وأعلام المحدثين، والسيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، توفي رحمه الله سنة ١٤٠٣ه. بتصرف من الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة على شبكة الانترنت.

والبحث أن يكون تشريع الجهاد في أوائل السنة الثانية للهجرة، وذلك لأن المسلمين في السنة الأولى كانوا مشتغلين بتنظيم أحوالهم الدينية والدنيوية، كبنائهم المسجد النبوي، وأمور معايشهم، وطرق اكتسابهم، وتنظيم أحوالهم السياسية: كعقد التآخي بينهم، وموادعتهم اليهود المساكنين لهم في المدينة، كي يأمنوا شرورهم، ولا يقال: إن النبي أرسل سرايا في السنة الأولى، لأنها في نظرنا كانت للمناوشات وإرغامهم على أن يفكروا جديا في تغيير خطتهم تجاه المسلمين، وتركهم يبلّغون دين ربهم وهم امنون مطمئنون)[١].

وقد أورد الطاهر رحمه الله أثر علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في بيان نزول صدر هذه السورة وهو: (في قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون " قال : كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون : لوددنا أن الله عزّ وجلّ دلّنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به فأخبر الله أن أحب الأعمال : إيمان به وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان و لم يُقرّوا به، فلما نزل الجهاد كَرِه ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم، فأنزل الله سبحانه وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون)، ومثله عن أبي صالح[٢]، يقتضي أن السورة نزلت بعد أن أمروا بالجهاد بآيات غير هذه السورة، وبعد أن وَعدوا بالانتداب للجهاد ثم تقاعدوا عنه وكرهوه، وهذا المروي عن ابن عباس وهو أوضح وأوفق بنظم الآية)[٣]، وقد أورد رحمه الله قول بعض المفسرين: أن المؤمنين قالوا: لو نعلم أحبّ الأعمال إلى الله لعملنا به فدلهم الله فقال : (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً)، فابتُلوا يوم أحد بذلك فولَّوا مدبرين فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون)[٤]. ثم اعترض عليه رحمه الله بأنه يقتضي أن صدر الآية نزل

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (٢ / ٧٥).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠٦).
(٣) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٧٢).
(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٤).

بعد آخرها، كما أورد رحمه الله قول الكلبي رحمه الله: أن المؤمنين لما قالوا: لو نعلم أحبّ الأعمال إلى الله لسارعنا إليها فنزلت(هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم). فابتلوا يوم أحد فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون)[١] تُعيّرهم بترك الوفاء، ثم اعترض عليه رحمه الله بأنه يقتضي أن معظم السورة نزل قبْل نزول الآية التي في أولها، فيبقى أثر ابن عباس رضي الله عنهما كما قال رحمه الله: أوضح وأوفق بنظم الآية، فتكون السورة نزلت جملة أو متتابعة بُعَيْد غزوة أحد، والعلم عند الله[٢].

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٤/ ٣٨٥).

(٢) ينظر التحرير والتنوير (بتصرف) (٢٨/ ١٧٣).

المبحث الخامس

مكية السورة أو مدنيتها ، ووجه اختصاصها بما اختصت به

وفيـــه مطلبان: –

- المطلب الأول: بيان مكية السورة أو مدنيتها.
- المطلب الثاني: بيان وجه اختصاص السورة بما اختصت به.

* * * * * *

المطلب الأول: بيان مكية السورة أو مدنيتها.

ذهب عامة أهل التفسير إلى القول بمدنية السورة كلها، منهم: ابن جرير[١]، والزجاج[٢]، والسمرقندي[٣]، وابن أبي زمنين[٤]، والسمعاني[٥]، وقد قال الماوردي: مدنية في قول الجميع[٦]، وكذا قال ابن عطية: مدنية في قول الجمهور[٧].

وذهب بعض المفسرين إلى القول بمكية السورة منهم : الثعلبي[٨]، والواحدي[٩].

والقول بمدنيتها أوجه، وذلك باعتبار الآثار الواردة في صدر هذه السورة، كأثر ابن عباس رضي الله عنهما الآنف، قال السيوطي رحمه الله: (المختار أنها مدنية ونسبه ابن الفرس إلى الجمهور ورجحه ويدل له ما أخرجه الحاكم وغيره عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه فأنزل الله سبحانه: "سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون " حتى ختمها قال عبد الله فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها)[١٠]. ومما يؤيد صحة القول بمدنيتها ورجحانه الموضوعات التي تضمنتها السورة، من الجهاد، والحديث عن أهل الكتاب، وتكرر

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠٦).
(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٦٣).
(٣) تفسير السمرقندي (٣/ ٤٤٢).
(٤) تفسير القرآن العزيز (٤/ ٣٨٢).
(٥) تفسير السمعاني (٥/ ٤٢٤).
(٦) تفسير الماوردي (٥/ ٥٢٧).
(٧) تفسير ابن عطية (٥/ ٣٠١) .
(٨) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٠١).
(٩) التفسير الوسيط (٤/ ٢٩٠).
(١٠) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٥١).

نداء المؤمنين، وهذه من خصائص السور المدنية، قال ابن عطية رحمه الله: (وهي مدنيـــة في قول الجمهور، وقال مكي عن ابن عباس والمهدوي عن عطاء ومجاهد إنها مكية والأول أصح لأن معاني السورة تعضده)[١]، وقد نقض القول بمكيتها محمد عزت دروزة[٢] بنـــاء علـــى موضوعاتها وقضاياها التي جاءت بها فقال: (وقد قال الزمخشري إن السورة مكيـــة، وروى بعضهم هذا عن عطاء أيضا، وهذا عجيب، وفيه مثال للاهتمام بالرواية أكثر من الـــنصّ، فحثّ المؤمنين على الجهاد والقتال في السورة والتنديد بالمقصرين فيه يجعلان احتمال مكيتها مستحيلا، لأن القتال إنما فرض وحرّض عليه بعد الهجرة، وكان النبي صلى الله عليه وســـلم لا يأذن للمسلمين في مكة حتى ولا بمقابلة المشركين بأذى على أذاهم)[٣].

(١) تفسير ابن عطية (٥/ ٣٠١).

(٢) محمد عزت بن عبد الهادي دروزة، مفكر وكاتب ومناضل فلسطيني، ولد في نابلس عام ١٣٠٥هـ، نشأ نشأة علمية، كان شغوفاً بالمطالعة والقراءة، له مؤلفات منها: (الدستور القرآني والسنة النبوية) و (التفسير الحديث) (سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم صورة مقتبسة من القرآن، توفي رحمه الله في دمشق سنة ١٤٠٤هـ. من الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة.

(٣) التفسير الحديث (٨/ ٥٥٥).

المطلب الثاني: بيان وجه اختصاص السورة بما اختصت به.

١ / لما كان وقت نزول هذه السورة الكريمة في بداية تكوين الدولة في المدينة، جاء التأكيد عل الصورة المنتظمة في الجهاد في سبيل الله، والعمل لنصرة دينه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾[1]، ولم يرد لفظ الصف في القرآن مراداً به الاصطفاف لقتال، ومجاهدة الكفار نصاً إلا في هذه السورة الكريمة.

٢ / ولما كان من مقاصد هذه السورة الكريمة، بيان أن دين الله تعالى هو الدين المرتضى الخاتم، جاءت البشارة فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم على لسان عيسى عليه السلام، بقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[2]، فلم ترد البشارة به صلى الله عليه وسلم، وبدينه الخاتم نصاً إلا في هذه السورة الكريمة.

---

(١) سورة الصف: ٤.

(٢) سورة الصف: ٦.

٣ / وكذا لم يرد تسميته صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم الأشرف (أحمد) إلا في هذه السورة الكريمة، قال تعالى﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[1].

٤ / يقول الطاهر ابن عاشور رحمه الله: (ولعلّها أول سورة نزلت ذكر فيها لفظ الحواريين)[2].

(١) سورة الصف: ٦.

(٢) التحرير والتنوير ـــ (٢٨/ ١٧١).

المبحث السادس

مقاصد السورة

* * * * * *

مقاصد السورة

من أول مقاصدها كما سبق: التأكيد على مبدأ الاصطفاف، والالتفاف، والتراص في مقام الجهاد في سبيل الله، ونصرة دينه.

ومن مقاصدها: التنويه بتنزيه، وإجلال كل من في السماوات والأرض، لله تعالى[١].

ومن مقاصد السورة الكريمة: تنبيه المسلم على الخلق الرضي، والسجية الحسنة، التي ينبغي أن يكون عليها، من صدق الأقوال والأفعال، يقول سيد رحمه الله عن هذه السورة الكريمة بأنها (توجه إلى خلق المسلم وطبيعة ضميره، وهو أن لا يقول ما لا يفعل، وألا يختلف له قول وفعل، ولا ظاهر وباطن، ولا سريرة وعلانية، وأن يكون هو نفسه في كل حال، متجردا لله، خالصا لدعوته، صريحا في قوله وفعله، ثابت الخطو في طريقه، متضامنا مع إخوانه)[٢].

ومن مقاصدها كما يقول الطاهر رحمه الله: (التحذير من أذى الرسول صلى الله عليه وسلم تعريضاً باليهود مثل كعب بن الأشرف، وضرب المثل لذلك بفعل اليهود مع موسى وعيسى عليهما السلام)[٣].

---

(١) ينظر التفسير الحديث (٨ / ٥٥٥)

(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٥١)

(٣) التحرير والتنوير ـــ (٢٨/ ١٧٣)

ومن مقاصدها: بيان أن دين الله تعالى هو المنهج المرتضى للبشرية جمعاء، بما تضمنه من الحق البين، والهدى التام، ومن ثم أراد الله تعالى له الرفعة، والعز والتمكين، بظهوره على الدين كله، يقول سيد رحمه الله عن هذه السورة الكريمة بأنها: (تقرر في ضمير المسلم أن دينه هو المنهج الإلهي للبشرية في صورته الأخيرة، سبقته صور منه تناسب أطوارا معينة في تاريخ البشرية، وسبقته تجارب في حياة الرسل وحياة الجماعات، تمهد كلها لهذه الصورة الأخيرة من الدين الواحد، الذي أراد الله أن يكون خاتمة الرسالات، وأن يظهره على الدين كله في الأرض)[١].

ومن مقاصدها: إشعار المؤمنين بضرورة تحملهم تبعات نصرة دينهم العظيم، بحيث يكونون على قدر من الصدق، والعزم، والمضي في تحقيق رفعة دينهم، وتمكينه في الأرض، يقول الأستاذ سيد رحمه الله: (وفيه يتضح في ضمير المسلم أن دينه هو دين الله في صورته الأخيرة في الأرض وأن أمانة العقيدة في البشرية كلها موكولة إليه يعلم أنه مكلف أن يجاهد في سبيل الله، كما يحب الله ويتضح طريقة، فلا يبقى في تصوره غبش، ولا يبقى في حياته مجال للتمتمة والغمغمة في هذه القضية، أو للتردد والتلفت عن الهدف المرسوم والنصيب المقسوم في علم الله وتقديره منذ بعيد)[٢].

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٥٠)
(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٥١)

ومن مقاصدها: الوعد بالعاقبة الحميدة الحسنة، في الدنيا بالنصر والتمكين، وفي الآخرة بالفوز بجنة الله ورضوانه، لمن آمن، وصدَّق، وأخلص، وجاهد في سبيل الله أعدائه.

ومن مقاصدها: التنبيه على التأسي، والاقتداء بأهل الصدق، والثبات، ممن سلف من صالحي الأمم السابقة.

المبحث السابع

الوحدة الموضوعية للسورة

* * * * * *

الوحدة الموضوعية للسورة

بالنظر في سياق الآيات نلحظ أن مقصود السورة الأعظم: الحث على الاجتماع، وتمام الائتلاف، ودقة الاصطفاف، في نصرة دين الله تعالى، فقد جاءت السورة في عمومها نسقاً واحداً، وعقداً منتظماً، في التأكيد على هذا المقصد العظيم، قال البقاعي رحمه الله: (مقصودها الحث على الاجتهاد التام في الاجتماع على قلب واحد في جهاد من دعت الممتحنة إلى البراءة منهم ، بحملهم على الدين الحق ، أو محقهم عن جديد الأرض أقصى المحق ، تنزيها للملك الأعلى عن الشرك ، وصيانة لجنابه الأقدس عن الإفك ، ودلالة على الصدق في البراءة منهم والعداوة لهم)[1].

فالسورة من أول موضوعاتها، إلى آخرها حاثة صراحة، أو بإشارة جلية إلى هذا المقام العظيم: الاصطفاف، والاجتماع، والتراص، والائتلاف لنصرة هذا الدين، بدءاً باستهلالها بذكر تسبيح كل من في السماوات والأرض لله تعالى، في تصوير يوحي باصطفاف كل من في السماوات والأرض في عبودية الله تعالى، وامتثال أمره، والاستسلام لحكمه، وأهل الإيمان من بني آدم أولى بذلك المقام، ثم ذم من تخلف عن هذا المقام، فادعاه بلسانه ولم يقم به حقيقة، ثم الإشادة والثناء صراحة على أرباب هذا المقام، وأن الله تعالى يحبهم، ويحب ذلك

(١) نظم الدرر (٧/ ٥٧٠).

منهم، ثم ضرب الأمثال بالأنبياء وجهادهم، وتخاذل أقوامهم عنهم ونكوصهم عن دعوتهم، في تحذير ضمني من صنيع أولئك الأقوام الذين تخلوا عن هذا المقام العظيم، ثم الوعد الجازم الحق بعز، وظفر، وعلو وتمكين الدين الحق في الأرض وفي ذلك من حث أهله على بذل أسباب تحقق هذا الوعد ما لا يخفى، ثم الحث على هذا المقام بذكر ثماره اليانعة في الدنيا والآخرة، ثم الختم بذكر أنموذج من أتباع الرسل تحلوا بمقام الاصطفاف، والاجتماع لنصرة دينهم ونبيهم، والحث صراحة على الاقتداء بهم، ليحظوا بما حظوا، من العز والتمكين والظهور على أعدائهم، فالسورة منتظمة متسقة في الحث على هذا المقام العظيم، الذي هو محورها، ومقصدها العام.

المبحث الثامن

مناسبات السورة الكريمة

وفيـــه خمسة مطالـــب: -

- المطلب الأول :مناسبة السورة للسورة التي قبلها
- المطلب الثاني:مناسبتها للسورة التي بعدها.
- المطلب الثالث: مناسبة اسم السورة لموضوعها .
- المطلب الرابع:مناسبة فاتحة السورة لموضوعها.
- المطلب الخامس: مناسبة فاتحة السورة لخاتمته .

* * * * * *

المطلب الأول: مناسبة السورة للسورة التي قبلها.

عند التأمل في السورتين، وما تضمنتاه من مقاصد، تتجلى عدة مناسبات بينهما

منها: أن في سورة الممتحنة إشارة إلى قضية الجهاد في سبيل الله، وأنها قائمة على الإخلاص لله تعالى، وابتغاء مرضاته، وفي سورة الصف يبين سبحانه ما يحمل أهل الإيمان على هذا المقام العظيم، الجهاد في سبيل الله، يقول الرازي رحمه الله: (وجه التعلق بما قبلها هو أن في تلك السورة بيان الخروج جهادا في سبيل الله وابتغاء مرضاته بقوله: " إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي " وفي هذه السورة بيان ما يحمل أهل الإيمان ويحثهم على الجهاد بقوله تعالى: " إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ")[١].

ومن أوجه التناسب بين السورتين الكريمتين: أنه جاء التأكيد في سورة الممتحنة بضرورة مفاصلة، ومفارقة، ومعاداة من حاد الله ورسوله، وفي سورة الصف حث، وتأكيد على الثبات عند مواجهتهم، وقتالهم، يقول أبوحيان رحمه الله: (وَمُنَاسَبَتُهَا لِآخِرِ السُّورَةِ قَبْلَهَا، أَنَّ فِي آخِرِ تلك: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَاقْتَضَى ذَلِكَ إِثْبَاتَ الْعَدَاوَةِ بَيْنَهُمْ، فَحَضَّ تَعَالَى عَلَى الثَّبَاتِ إِذَا لَقِيَ الْمُؤْمِنُونَ فِي الْحَرْبِ أَعْدَاءَهُمْ)[٢].

---

(١) تفسير الرازي (٢٩/ ٥٢٦).

(٢) البحر المحيط (١٠/ ١٦٤).

ويربط البقاعي رحمه الله بين تحذير الله تعالى للمؤمنين من صفة عدم الوفاء بالعهد في قوله تعالى " لم تقولون ما لا تفعلون " بقوله في آخر الممتحنة " لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم " بأن في آية الصف إشارة إلى سبب غضب الله على اليهود ومقتهم، وهو نقضهم الدائم للعهود والمواثيق، يقول رحمه الله نقلا عن أبي جعفر بن الزبير : (افتتحت بالتسبيح لما ختمت به سورة الممتحنة من قوله" لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم " وهم اليهود، وقد تقدم الإيماء إلى ما استوجبوا به هذا فأتبع بالتنزيه لما تقدم بيانه فإنه مما تعقب به ذكر جرائم المرتكبات ولا يرد في غير ذلك ، ثم أتبع ذلك بأمر العباد بالوفاء وهو الذي حد لهم في الممتحنة ليتنزهوا عن حال مستوجبي الغضب بنقيض الوفاء والمخالفة بالقلوب والألسنة " يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم " " لياً بألسنتهم وطعناً في الدين " " من الذين قالوا آمنا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم "

" ويقولون آمنا بالله والرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم " وبمجموع هذا استجمعوا اللعنة والغضب فقيل للمؤمنين :" يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون " احذروا أن تشبه أحوالكم حال من استحق المقت واللعنة والغضب)[1].

ومن أوجه التناسب بين السورتين الكريمتين: أن سورة الممتحنة جاءت بضرورة المفاصلة التامة، والتبري الكامل من المشركين، وهذا الأمر فيه من المشقة ما قد يقع من خلاله البعض في آفة ادعاء التظاهر بالبراءة، والمعاداة، فجاءت سورة الصف للتأكيد على أهمية الصدق،

(١) نظم الدرر (٧/ ٥٧١).

وتمام الموافقة بين القول والفعل، يقول أبو بكر الخطيب رحمه الله: (كانت السورة السابقة «الممتحنة» حديثا متصلا إلى المؤمنين، وما ينبغي أن يكون عليه موقفهم من المشركين، والذين يكيدون للإسلام والمسلمين، وأن هذا الموقف يقتضيهم أن يقطعوا ما بينهم وبين هؤلاء وهؤلاء من صلات القربى والمودة، وأن يجعلوا ولاءهم خالصا لدين الله والمؤمنين بالله- وهذه حال من شأنها أن تكشف عن ضعف بعض النفوس التي لا تحتمل هذه التجربة، ولا تصبر على هذا الامتحان، وهنا تكثر الأقوال التي يدّعى أصحابها دعاوى تحدّث عن موقفهم من المشركين، والمنافقين، على حين أن حالة أفعالهم أو ما فى قلوبهم، تخالف هذه الأقوال.. فكان أن بدأت سورة (الصف) بالتسبيح بحمد الله الذي هدى المؤمنين إلى الإيمان، ثم ببيان المنهج الذي ينهجه المؤمنون، كي يبقى هذا الإيمان سليما قوياً في صدورهم، وأساس هذا المنهج هو الأفعال لا الأقوال.. الأفعال التي تصدر عن قلب مؤمن، وعن مشاعر مستجيبة لهذا الإيمان، لا الأقوال التي لا يصدّقها العمل، ولا يزكيها الإيمان.. «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ» وهكذا تبدأ سورة «الصفّ» فتتصل هذا الاتصال الوثيق بسورة «الممتحنة» قبلها)[1].

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٩١٤).

المطلب الثاني: مناسبتها للسورة التي بعدها

توافقت السورتان الكريمتان على الاستهلال بتنزيه الله تعالى وتقديسه من جميع خلقه، فافتتحت سورة الصف بسبح لله بصيغة الماضي، وسورة الجمعة بيسبح بصيغة المضارع، للدلالة على ديمومة تسبيح وتنزيه الخلائق لله تعالى، يقول الرازي رحمه الله: (وجه تعلق هذه السورة بما قبلها هو أنه تعالى قال في أول تلك السورة: سبح لله، بلفظ الماضي وذلك لا يدل على التسبيح في المستقل، فقال في أول هذه السورة بلفظ المستقبل ليدل على التسبيح في زماني الحاضر والمستقبل)[١]، وقال البقاعي رحمه الله: (وكان سبحانه قد ذكر التسبيح الذي هو الأعظم الأشهر للتنزيه بلفظ الماضي ثلاث مرات في افتتاح ثلاث سور، وذلك نهاية الإثبات المؤكد، فثبت بذلك أنه وقع تنزيهه من كل ناطق وصامت، أخبر أول هذه السورة أن ذلك التنزيه على وجه التجديد والاستمرار بالتعبير بالمضارع لاستمرار ملكه فقال: {يسبح} أي يوقع التنزيه الأعظم الأبهى الأكمل {لله}[٢].

ومن أوجه تناسب السورتين الكريمتين: أن الله تعالى لما أثنى على الحواريين في آخر سورة الصف، مما يوحي بفضلهم على سائر الأمم حتى هذه الأمة المحمدية المباركة، بدأ سورة الجمعة بما يبين أفضلية هذه الأمة، وشرفها، وكرامتها على الله، نقل البقاعي رحمه الله عن

---

(١) تفسير الرازي (٣٠/ ٥٣٧).
(٢) نظم الدرر (٧/ ٥٩٠).

أبي جعفر بن الزبير رحمه الله: (لما ختمت سورة الصف بالثناء على الحواريين في حسن استجابتهم وجميل إيمانهم، وقد أمر المؤمنين بالتشبه بهم في قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله " كان ذلك مما يوهم فضل أتباع عيسى عليه السلام على أتباع محمد (صلى الله عليه وسلم) فاتبع ذلك بذكر هذه الأمة، والثناء عيلها، فافتتحت السورة بالتنزيه عما أشار إليه قوله : سبحانه نفسه عن ذلك ثم قال: " هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم" إلى قوله: "ذو الفضل العظيم")[١].

ومن أوجه تناسب السورتين الكريمتين: إبراز كل منهما أهمية اصطفاف المسلمين، وائتلافهم ووحدتهم، في سورة الصف في مواجهة أعدائهم، وفي سورة الجمعة في اصطفافهم في صلاتهم، وإقبالهم على الوعظ فيها، فكأن سورة الجمعة تتميم لما سبق في سورة الصف، من الدعوة إلى وحدة الصف، التي تتجلى واضحة في تطبيقها في صلاة الجمعة، يقول الدكتور وهبة الزحيلي: (في السورة المتقدمة أمر الله المؤمنين بأن يكونوا صفا واحدا في القتال، فناسب تعقيب سورة القتال بسورة صلاة الجمعة التي تستلزم الصف، لأن الجماعة شرط فيها دون سائر الصلوات)[٢].

(١) نظم الدرر (٧/ ٥٩١).
(٢) التفسير المنير للزحيلي (٢٨/ ١٨١).

ومن أوجه تناسب السورتين الكريمتين: ختم كل منهما بالتنويه على التجارة الرابحة مع الله تعالى، يقول الزحيلي: (ختم الله تعالى سورة الصف السابقة بالأمر بالجهاد وسماه تِجارَةً وختم هذه السورة بالأمر بالجمعة، وأخبر أنه خير من التجارة الدنيوية)[١].

(١) المرجع السابق.

المطلب الثالث: مناسبة اسم السورة لموضوعها

سبقت الإشارة إلى أن الاسم التوقيفي لهذه السورة الكريمة هو الصف، وارتباط هذا الاسم مع موضوع السورة الرئيس وهو الحث على الاجتماع، وتمام الائتلاف، ودقة الاصطفاف، في نصرة دين الله تعالى، ظاهر بيِّن، فالسورة في عمومها تدور حول التأكيد على أمر الاصطفاف، والائتلاف في مواجهة أعداء الله، بدءاً من استهلالها بالتسبيح الذي يظهر الكون كله صفاً واحداً، في طاعة الله، والإقبال عليه، ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1] ثم التحذير من الإخلال بالصف، ووحدته، بنقض العهد، ومخالفة القول الفعل، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[2] ثم الإشادة بالمعتنين بأمر الصف، ولوازمه، ومحبة الله تعالى لهم، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[3] ثم التذكير بعاقبة الاصطفاف، والائتلاف في مواجهة الأعداء، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[4] والختم بالتذكير بأنموذج كريم، وهم الحواريون، وبهذا الاسم سماها بعض الأئمة اجتهاداً، وارتباطه بأمر الصف واضح جلي، فهو تذكير بذلك النموذج الذي تمثل هذا المبدأ العظيم، وهو الاصطفاف، والائتلاف، والتلاحم في نصرة دينهم، ومواجهة أعدائهم، وكيف أحسن الله تعالى عاقبتهم لأجل ذلك، وأظهرهم على

(١) سورة الصف: ١
(٢) سورة الصف: ٢ – ٣
(٣) سورة الصف: ٤
(٤) سورة الصف: ١٠ – ١٣ .

عدوهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤ ﴾[1].

(١) سورة الصف: ١٤.

المطلب الرابع: مناسبة فاتحة السورة لموضوعها

لقد بدأت السورة الكريمة، بتنزيه وتقديس كل من في السماوات والأرض لله تعالى، في تصوير قرآني بديع، يظهر الكون كله بسماواته، وأرضه، وما فيهما، وما بينهما مسبحاً لله تعالى منزهاً له، وفي هذا التصوير البديع تأكيد لما تضمنه موضوع السورة الرئيس وهو التأكيد على الاجتماع والاصطفاف في حمل هذا الدين العظيم، يقول الطاهر رحمه الله: (مناسبة هذه الفاتحة لما بعدها من السورة بيان أن الكافرين محقوقون بأن تقاتلوهم لأنهم شذوا عن جميع المخلوقات فلم يسبحوا الله و لم يصفوه بصفات الكمال إذ جعلوا له شركاء في الإلاهية، وفيه تعريض بالذين أخلفوا ما وعدوا بأنهم لم يؤدُّوا حق تسبيح الله ، لأن الله مستحق لأن يوفّى بعهده في الحياة الدنيا وأن الله ناصر الذين آمنوا على عدوّهم)[١]، وفي ختم الآية الأولى من هذه السورة الكريمة بهذين الاسمين الكريمين " العزيز الحكيم " إيماء إلى معونة الله تعالى ونصره وتأييده لمن كان على ما يريده سبحانه، من الاصطفاف والائتلاف والاجتماع في مواجهة أعداء الله تعالى[٢].

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٧٤).

(٢) ينظر التحرير والتنوير (٢٨/ ١٧٤).

المطلب الخامس: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها

ارتباط فاتحة السورة بخاتمتها بيِّن جلي، وذلك أن الله تعالى حث في أولها على أمر الاصطفاف، والاجتماع وقوة العزم على نصرة دينه، وفي آخرها تأكيد على موضوع النصرة مذكراً لهم بأنموذج صدق وعزم وهم الحواريين، وكيف صدقوا مع نبيهم وتآزروا على نصره، فأحسن الله عاقبتهم ونصرهم على عدوه، فخاتمة السورة تأكيد على أولها، يقول سيد رحمه الله: (والعبرة المستفادة من هذه الإشارة ومن هذا النداء هي العبرة التي أشرنا إليها، وهي استنهاض همة المؤمنين بالدين الأخير، الأمناء على منهج الله في الأرض، ورثة العقيدة والرسالة الإلهية. المختارين لهذه المهمة الكبرى، استنهاض همتهم لنصرة الله ونصرة دينه «كَما قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ: مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ؟ قالَ الْحَوارِيُّونَ: نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ» .. والنصر في النهاية لأنصار الله المؤمنين، إنها الجولة الأخيرة في السورة، واللمسة الأخيرة في السياق وهي ذات لون وذات طعم يناسبان جو السورة وسياقها، مع ما فيها من تجدد في اللون وتنوع في المذاق)[١]، ويقول الخطيب رحمه الله: (هو دعوة أخرى إلى المؤمنين أن يكونوا أنصار الله، بأن يخلصوا وجودهم كلّه لله.. والصورة المثلى لهذا الإيمان، هو إيمان الحواريين، الذين كانوا أول المؤمنين بالمسيح، وهم اثنا عشر حواريّا.. فقد سبقوا إلى الإيمان، واحتملوا الصدمة الأولى التي صدم بها اليهود دعوة المسيح.. ومطلوب من هؤلاء المؤمنين السابقين من أتباع محمد، أن يكونوا فى إيمانهم على هذا الإيمان، يحتملون فيه ما احتمل الحواريون من ألوان الكيد والمكر، ومن صنوف البلاء والشدة)[٢].

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٦١).

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٩٣٩)

الفصل الثاني

الفصل الثاني

التناسق الموضوعي بين موضوعات سورة الصف

وفيه أربعة مباحث: -

- **المبحث الأول: الإخلاص لله شعار الإيمان.** (الآيات : من ١: ٤).
- **المبحث الثاني: الدين الحق هو دين الله جميعاً** (الآيات من ٥: ٩).
- **المبحث الثالث: التجارة الرابحة، مقوماتها، وثمراتها** (الآية ١٠).
- **المبحث الرابع: قدوة حسنة ، ونصر مبين** (آية ١٤).

* * * * * *

المبحث الأول

الإخلاص لله شعار كون الله. (الآيات : من ١ : ٤)

وفيــه خمسة مطالــب: –

- المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.
- المطلب الثاني: سبب النزول.
- المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.
- المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.
- المطلب الخامس: ما ترشد إليه آيات الموضوع.

* * * * * *

الإخلاص لله شعار كون الله

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ (١)

(١) سورة الصف: ١ – ٤.

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

افتتحت آيات هذا الموضوع بخبر عظيم يوحي باصطفاف الكون كله، وانتظامه في عبادة الله – طوعاً أو كرهاً – في إشارة إلى موضوع السورة الرئيس، وهو: التأكيد على اهتمام أهل الإسلام – فهم أولى من غيرهم – بمبدأ الاصطفاف، والالتئام، في جهادهم في سبيل الله أعدائه من الكفرة المعتدين.

ثم بدأت آيات الموضوع بالتحذير من مخالفة القول الفعل، وتغليظ ذلك، والتشديد فيه، مما يوحي بتأكيد مبدأ صدق الإرادة، وقوة العزم في حمل هذا الدين العظيم، ونصرته، خصوصاً في مقام الجهاد، ومجالدة أعداء الدين.

وفي آخر آيات هذا الموضوع يظهر جلياً التأكيد على مقصد السورة الرئيس، ومحورها العام، والنص عليه، وهو الاصطفاف، وتمام الائتلاف حساً ومعنى، في مواجهة الأعداء، ومجالدتهم، وأثر ذلك في ظهور الدين، ونصرته، وأن ذلك مما يحبه الله تعالى وبالتالي يحب أهله الممتثلين به.

المطلب الثاني: سبب النزول

روى الدارمي رحمه الله في سننه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَعَدْنَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَذَاكَرْنَا فَقُلْنَا: لَوْ نَعْلَمُ أَيَّ الْأَعْمَالِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَعَمِلْنَاهُ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى { سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا } حَتَّى خَتَمَهَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى خَتَمَهَا)[1]، وقد أورد ابن جرير رحمه الله الخلاف في سبب نزولها في تفسيره فقال بعضهم: (أنزلت توبيخا من الله لقوم من المؤمنين، تمنوا معرفة أفضل الأعمال. فعرفهم الله إياه، فلما عرفوا قصروا، فعوتبوا بهذه الآية) وأورد بسنده إلى ابن عباس، في قوله: {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون} قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه إيمان بالله لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان و لم يقروا به؛ فلما نزل الجهاد، كره ذلك أناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره، فقال الله: {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون}[2]، وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في توبيخ قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم،

(١) أخرجه الدارمي في سننه كتاب (الجهاد) باب (الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال) حديث رقم (٢٤٣٥).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠٦).

كان أحدهم يفتخر بالفعل من أفعال الخير التي لم يفعلها، فيقول فعلت كذا وكذا، فعذلهم الله على افتخارهم بما لم يفعلوا كذبا[١]، وقال آخرون: بل هذا توبيخ من الله لقوم من المنافقين، كانوا يعدون المؤمنين النصر وهم كاذبون[٢].

ثم رجح رحمه الله القول الأول فقال: (وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: عنى بها الذين قالوا: لو عرفنا أحب الأعمال إلى الله لعملنا به، ثم قصروا في العمل بعدما عرفوا. وإنما قلنا: هذا القول أولى بها، لأن الله جل ثناؤه خاطب بها المؤمنين، فقال: يا أيها الذين آمنوا؛ ولو كانت نزلت في المنافقين لم يسموا، ولم يوصفوا بالإيمان، ولو كانوا وصفوا أنفسهم بفعل ما لم يكونوا فعلوه، كانوا قد تعمدوا قيل الكذب، ولم يكن ذلك صفة القوم، ولكنهم عندي أملوا بقولهم: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله عملناه أنهم لو علموا بذلك عملوه؛ فلما علموا ضعفت قوى قوم منهم، عن القيام بما أملوا القيام به قبل العلم، وقوي آخرون فقاموا به، وكان لهم الفضل والشرف)[٣]، وأيده على هذا الترجيح جمع من المفسرين كالزمخشري[٤]، وأبو السعود[٥]، والطاهر ابن عاشور[٦]، وقد نسب ابن كثير رحمه الله إلى جمهور أهل العلم أنهم حملوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فرضية الجهاد عليهم، فلما فرض

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠٨).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠٩).
(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠٩).
(٤) تفسير الزمخشري (٤/ ٥٢٣).
(٥) تفسير أبي السعود (٨/ ٢٤٣).
(٦) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٧٥).

نكل عنه بعضهم) [١]، وعلى هذا يكون حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه سببا لنزول هذه الآيات الكريمات، وذلك لصحته، ودلالته على النزول صراحة، وموافقته لسياق الآيات قال الطاهر رحمه الله: (وتعقيب الآية بقوله : "إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً..."الخ، يؤذن بأن اللوم على وعد يتعلق بالجهاد في سبيل الله، وبذلك يلتئم معنى الآية مع حديث الترمذي في سبب النزول وتندحض روايات أخرى رويت في سبب نزولها)[٢].

.

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ١٠٦).

(٢) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٧٥).

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾

" سبح لله ما في السموات وما في الأرض " أي: صلى وسجد لله ونزه ومجد طائعاً أو كارهاً ما في السماوات وما في الأرض(١)، وإضافة اللام للفظ الجلالة هنا للتأكيد كقولك نصحت له، وهبت له، وجاء التسبيح هنا بصيغة الماضي، وفي موضع بصيغة المضارع، وفي موضع بصيغة الأمر، ليدل على أن تسبيح الله سبحانه، وتنزيهه عما لا يليق دائم، لا ينقطع، على أي حال، وفي أي آن(٢)، قال الزمخشري رحمه الله: (جاء في بعض الفواتح سَبَّحَ على لفظ الماضي، وفي بعضها على لفظ المضارع، وكل واحد منهما معناه: أنّ من شأن من أسند إليه التسبيح أن يسبحه، وذلك هجيراه وديدنه)(٣).

" وهو العزيز الحكيم " الْعَزِيزُ في سلطانه وقدرته، والْحَكِيمُ في أفعاله وتدبيره(٤)، وختم سبحانه الآية الكريمة بهذا الاسمين الكريمين " العزيز الحكيم " كما يقول الطاهر رحمه الله: (إيماء إلى أنه الغالب لعدوّه فما كان لكم أن تَرهَبُوا أعداءه فتفرّوا منهم عند اللقاء، وإجراء صفة " الحكيم " إن حملت على معنى المتصف بالحكمة أن الموصوف بالحكمة لا يأمركم

(١) ينظر الهداية الى بلوغ النهاية (١١/ ٧٤٣٥).
(٢) ينظر تفسير الرازي (٢٩ / ٥٢٦).
(٣) تفسير الزمخشري (٤/ ٤٧٢).
(٤) تفسير ابن عطية (٥/ ٣٠١).

بجهاد العدوّ عبثاً ولا يخليهم يغلبونكم، وإن حملت على معنى المُحكِم للأمور فكذلك)[١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾

بعد أن وصف نفسه بصفات الكمال ذكر ما يلحق المخلوقين من صفات النقص[٢]، فهذا تأديب وتوبيخ للمؤمنين[٣]، يحذرهم سبحانه فيه خلة أهل النفاق، وطريقة أهل الزيغ، حين يخالف المرء بقولهِ فعلَه، ولا يلتزم ما عاهد الله تعالى عليه، أو يدعي مالم يفعله كذباً وبهتاناً، وكلها معان أوردها المفسرون، ومعنى الآية العام يحتملها جميعاً، قال الماوردي رحمه الله: (وهذه الآية وإن كان ظاهرها الإنكار لمن قال ما لا يفعل فالمراد بها الإنكار لمن لم يفعل ما قال ، لأن المقصود بها القيام بحقوق الالتيام دون إسقاطه)[٤]، ويقول الرازي رحمه الله: (وقيل: إنها في حق كل مؤمن، لأنهم قد اعتقدوا والوفاء بما وعدهم الله به من الطاعة والاستسلام والخضوع والخشوع فإذا لم يوجد الوفاء بما وعدهم خيف عليهم في كل زلة أن يدخلوا في هذه الآية)[٥]، وقال ابن جزي رحمه الله بعد أن ساق الأقوال في الآية الكريمة: (ومع ذلك فحكم الآية على العموم في زجر من يقول ما لا يفعل)[٦].

" لم تقولون ما لا تفعلون " الاستفهام هنا كما يقول أبو حيان رحمه الله: (يراد به

---

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٧٤).
(٢) تفسير المراغي (٢٨/ ٨٠).
(٣) الهداية الى بلوغ النهاية (١١/ ٧٤٣٥).
(٤) تفسير الماوردي (٥/ ٥٢٧).
(٥) تفسير الرازي مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٩/ ٥٢٦).
(٦) تفسير ابن جزي (٢/ ٣٧٠).

الإنكار والتوبيخ)[١].

" تقولون ما لا تفعلون " ووجَّه الإنكار هنا إلى القول مع أن الذم في عدم التزامه كما يقول المراغي رحمه الله: (لبيان أن معصيتهم مزدوجة، وأنهم عملوا جرمين، فهم تركوا فعل الخير، وقد وعدوا بفعله)[٢]، وخاطبهم هنا سبحانه بوصف الإيمان مع وقوعهم في ما يخالف كماله كما يقول الطاهر رحمه الله: (تعريضاً بأن الإِيمان من شأنه أن يزع المؤمن عن أن يخالف فعلُه قولَه في الوعد بالخير)[٣].

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

"كبر" قال الخليل رحمه الله: (إذا أردت الأمر العظيم قلت: كَبُرَ علينا كَبارةً)[٤]، والكلمة هنا سيقت لتعظيم وتفخيم مخالفة القولِ الفعلَ، أَيْ: (عَظُمَ ذَلِكَ فِي الْمَقْتِ وَالْبُغْضِ عِنْدَ اللَّهِ أَيْ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ بُغْضًا شَدِيدًا أَنْ تَقُولُوا، مَا لَا تَفْعَلُونَ، أي تَعِدُوا مِنْ أَنْفُسِكُمْ شَيْئًا ثُمَّ لم تفوا بِهِ)[٥]، (والمقت : البغض الشديد)[٦]، وقد هوَّل الله هذه الخلة البغيضة، وعظَّم شأنها بوصفها بالمقت، وليس المقت فحسب بل أكبر المقت، وأعظمه،

(١) البحر المحيط (٨/ ٢٥٨).
(٢) تفسير المراغي (٢٨/ ٨٠).
(٣) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٧٤).
(٤) العين (٥/ ٣٦٢).
(٥) تفسير البغوي (٥/ ٧٩).
(٦) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٧٥).

ووصف المقت بأنه عند الله ، أي مقتٌ لا تسامح فيه[١].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾

وجه تعلق هذه الآية بما قبلها ، أن قوله تعالى : " كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللّهِ " في ذم المخالفين في القتال ، وهم الذين وعدوا بالقتال ولم يقاتلوا ، وهذه الآية مدح للموافقين في القتال[٢]، قال ابن كثير رحمه الله: (فَهَذَا إِخْبَارٌ مِنْهُ تَعَالَى بِمَحَبَّةِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا اصْطَفُّوا مُوَاجِهِينَ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَدِينُهُ هُوَ الظَّاهِرُ الْعَالِي عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ)[٣]، " صفاً " منصوب على الحال، أي: حال كونهم مصطفين، ملتحمين في مواجهة عدوهم.

" كأنهم بنيان مرصوص " وهذا تأكيد لأمر الاصطفاف، والالتحام، والترابط حال مواجهة العدو، فحث سبحانه عباده من خلال هذا التشبيه أن يكونوا في مواجهة أعدائهم: كأنهم في اصطفافهم هنالك حيطان مبنية قد رص، فأحكم وأتقن، فلا يغادر منه شيئا[٤].

" مرصوص " إما: الملتصق بعضه إلى بعض لا ترى فيه كوة ولا ثقباً، أو: المبني بالرصاص[٥]، ومفاد القولين: إظهار القوة والبأس، والاجتماع والائتلاف في مواجهة العدو، والتراص والاصطفاف في مواجهة العدو كما هو مأمور به حساً، وظاهراً، وفهو مأمور به

(١) ينظر التحرير والتنوير (٢٨/ ١٧٥).
(٢) تفسير اللباب (ص: ٤٩٠٩).
(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ١٠٧).
(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٦١١).
(٥) تفسير الماوردي (٥/ ٥٢٨).

أيضاً معنى وباطناً، وذلك باتفاق الكلمة، واجتماع القلوب، وعدم تفرقها، واختلافها، قال الزجاج رحمه الله: (ويجوز - واللَّه أعلم - أن يكون عني أن تستوي نِياتُهُمْ في حَرْبِ عَدُوهِمْ حتى يكونوا في اجتماع الكلمةِ ومُوَالَاةِ بعضهم بعضاً كالبنيانِ المرصوص)[1].

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٦٤).

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع

هذا إخبار منه سبحانه بتنزيه، وتمجيد كل ما في السماوات والأرض له سبحانه وبحمده، وأنه تبارك وتعالى أهل لذلك التنزيه والتمجيد، فهو العزيز الذي قد قهر كل شيء، فلا يمتنع عليه شيء، ولا يستعصي عليه مستعصي، الحكيم في خلقه وأمره، فلا يخلق شيئا عبثا، ولا يشرع ما لا مصلحة فيه، ولا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته تبارك وتعالى، وبعد هذا الإخبار بعظمته، وجبروته تعالى، ينادي سبحانه عباده المؤمنين محذراً لهم من خلة دنيئة، وعادة مشينة، لا تتناسب والإيمان به سبحانه الذي وسمهم به حين ناداهم، وهي مخالفة القول للفعل بكل صورها وأنواعها، وأخبر بأن ذلك من أشد، وأعظم ما يبغضه الله تعالى، ويمقت أهله، وبعد أن حذرهم سبحانه من ما يبغضه، ويمقته من عادة أهل النفاق، ذكَّرهم بما يحبه، ويرضاه من خلال أهل الإيمان، وهو الجهاد في سبيله، في أعلى صوره، وأضبط هيئاته، بأن يكونوا على قلب رجل واحد في التآلف، والترابط، والتواد، والتراحم، والاصطفاف، مشبهاً ذلك من باب التأكيد على هذه المعاني بالبنيان المرصوص، سواء المنضم بعضه إلى بعض في دقة، وإحكام، أو المبني بالرصاص، وذلك غاية ما يكون في التماسك، والترابط، والقوة، والاجتماع.

المطلب الخامس: ما ترشد إليه آيات الموضوع

١ / في قوله في مطلع هذه السورة الكريمة " سبَّح لله " بصيغة الماضي، وفي مطلع بعض السور " يسبح لله " بصيغة المضارع، وفي بعضها " سبِّح " بصيغة الأمر، دلالة واضحة على عظمة وجلال الله تعالى، ومشروعية تسبيحه في كل الأوقات، وعلى كل الأحوال.

٢ / " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون " تعتبر هذه الآية من أعظم ما يوعظ به من يتصدى لنصح الناس، وتوجيههم، من أئمة، ودعاة، ومصلحين، ومربين، ونحوهم، بأن عليهم أن يجاهدوا أنفسهم على مقام الصدق مع الله في التزام ما به يأمرون، وإليه يدعون، (بَعَثَ أَبُو مُوسَى إِلَى قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ ثَلاثُمِائَةِ رَجُلٍ، كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ قراء أهل البصرة وخيارهم. وقال: كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِإِحْدَى الْمُسَبِّحَاتِ، فأنسيناها، غير أني قد حَفِظْتُ مِنْهَا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ فَتُكْتَبُ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ، فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1].

٣ / لقد تظافرت نصوص الوحيين على تربية المسلم على الصفاء، والنقاء، وصدق الظاهر

(١) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الزكاة، باب لو كان لابن آدم واديان من مال.) رقم (٢٣٨٣).

والباطن، والبعد عن الكذب، والخُلف، والتلون، يقول سيد رحمه الله: (إن الآيتين الأوليين تتضمنان العقاب من الله سبحانه والاستنكار لأن يقول الذين آمنوا ما لا يفعلون، وهما بهذا ترسمان الجانب الأصيل في شخصية المسلم.. الصدق.. والاستقامة. وأن يكون باطنه كظاهره، وأن يطابق فعله قوله.. إطلاقا.. وفي حدود أبعد مدى من موضوع القتال الذي يجيء في الآية الثالثة، وهذه السمة في شخصية المسلم يدق القرآن عليها كثيرا، وتتابعها السنة في تكرار يزيدها توكيدا: يقول الله تعالى منددا باليهود: «أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ. أَفَلا تَعْقِلُونَ؟» ويقول تعالى منددا بالمنافقين: «وَيَقُولُونَ: طاعَةٌ. فَإِذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ» ويقول فيهم كذلك: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ، وَإِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ» .ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان » . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة)[1].

٤ / وفي الآيتين الكريمتين دلالة على أهمية الكلمة في شريعة الإسلام، فالمؤمن يرى كلمته حين تصدر منه عقداً ملزماً، يجب الوفاء به، يقول عبد الكريم الخطيب رحمه الله: (

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٥٣).

فإن الكلمة على لسان المؤمن يجب أن تكون عقدا بين المؤمن ونفسه، لا تبرأ ذمته حتى يفى بهذا العقد، ويحققه، فإنه عن الكلمة تلقّى المؤمن رسالة السماء، وعرف شريعة الله، فليكن للكلمة عنده- سواء نطق بها هو، أو استمع إليها- حساب وتقدير)[١].

٥ / يدل عموم قوله تعالى " لم تقولون ما لا تفعلون " على ذم كل من خالف قوله فعله، بأي حال من الأحوال، إلا أن يكون ثمة عذر يقبله الله منه، يقول عطية محمد سالم رحمه الله: (وقد استدل بالآية من عموم لفظها على الإنكار على كل من خالف قوله فعله، سواء في عهد أو وعد أو أمر أو نهي، ففي الأمر والنهي كقوله تعالى: " أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم "، وكقوله عن نبي الله شعيب لقومه: وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه " وفي العهد قوله: " وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا")[٢]، ويقول سيد رحمه الله، بعد أن ساق الأقوال في سبب نزول الآيتين الكريمتين: (ولكن النصوص القرآنية دائما أبعد مدى من الحوادث المفردة التي تنزل الآيات لمواجهتها، وأشمل لحالات كثيرة غير الحالة التي نزلت بسببها. ومن ثم فإننا نسير مع هذه النصوص إلى مدلولاتها العامة، مع اعتبار الحادث الذي تذكره روايات النزول)[٣].

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٩١٦).

(٢) أضواء البيان (٨/ ١٠٥).

(٣) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٥٢).

٦ / ولعظيم قبح هذه الخلة، وهي مخالفة القول الفعل كما يقول الزمخشري رحمه الله: (لم يقتصر على أن جعل البغض كبيرا، حتى جعل أشده وأفحشه، وعِنْدَ اللَّهِ أبلغ من ذلك، لأنه إذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك)[1].

٧ / يستدل بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾[2] على مسائل منها:

أن كل من ألزم نفسه عقداً لزمه الوفاء به، إذ ترك الوفاء به يوجب أن يكون قائلاً ما لا يفعل، ومنها: أنه لا يجوز للمرء أن يعِدَ بفعل شيء، وفي ضميره عدم الوفاء به، لأن ذلك داخل في الفعل الذي مقته الله في هذه الآية الكريمة، وهل كل من وعد أحداً وعداً لزمه الوفاء به؟ فرَّق بعض أهل العم بين الوعد المنوط بسبب، او فيه غرم، كأن يقول إذا تزوجت أعطيتك كذا وكذا، أو إذا ابتعت كذا أعطيتك كذا، وبين الوعد المطلق بلا سبب، وليس فيه غرم، فقال بعضهم يلزمه الوفاء في الأول، ولا يلزمه في الثاني، وذهب بعضهم إلى لزوم الوفاء بوعده سواء كان فيه غرم، أو لا، قال ابن كثير رحمه الله: (اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مَنْ ذَهَبَ مِنَ عُلَمَاءِ السَّلَفِ إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ الْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ مُطْلَقًا، سَوَاءٌ تَرَتَّبَ عَلَيْهِ غُرم لِلْمَوْعُودِ أَمْ لَا، وَاحْتَجُّوا أَيْضًا مِنَ السُّنَّةِ بِمَا ثَبَتَ

(١) تفسير الزمخشري (٤/ ٥٢٣).
(٢) سورة الصف: ٢ – ٣

فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلم قَالَ: آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّث كَذَبَ، إِذَا وَعَد أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)[١]،[٢] وقال ابن العربي بعد أن ساق القولين: (وَالصَّحِيحُ عِنْدِي أَنَّ الْوَعْدَ يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ إلَّا لِعُذْرٍ.)[٣].

٨ / في قوله تعالى " إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص " دلالة على إثبات صفة المحبة لله تعالى على وجه يليق بجلاله سبحانه، من غير تمثيل، ولا تأويل، ولا تعطيل.

٩ / وفي التشبيه الوارد فيها " كأنهم بنيان مرصوص " بيان للحالة التي ينبغي أن يكون عليها أهل الإسلام في مواجهة، ومجالدة عدوهم، فمن دلالات هذا التشبيه:

أن يثبت أهل الإيمان في مواجهة أعائهم، قال الرازي رحمه الله: (وقيل: ضرب هذا المثل للثبات: يعني إذا اصطفوا ثبتوا كالبنيان المرصوص الثابت المستقر، قال أبو إسحاق: أعلم الله تعالى أنه يحب من يثبت في الجهاد ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص)[٤].

ومن دلالاته: الاجتماع، ووحدة الكلمة، وتآلف القلوب، يقول الزجاج رحمه الله:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (علامة المنافق) حديث رقم (٣٣) وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (بيان خصال المنافق) حديث رقم (٥٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ١٠٥).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٢٤٣).

(٤) ينظر تفسير الرازي (٢٩/ ٥٢٧).

(ويجوز – واللَّه أعلم – أن يكون عني أن تستوي نِياتُهُمْ في حَرْبِ عَدُوهِمْ حتى يكونوا في اجتماع الكلمةِ ومُوَالَاةِ بعضهم بعضاً كالبنيانِ المرصوص)[١].

ومن دلالاته: الصبر، والمصابرة، وقوة التحمل في مواجهة العدو لتحقيق المراد من نصر الله، وتمكينه، خصوصاً في ظل هذه الهجمة الشرسة على الإسلام وأهله، من عامة ملل الكفر، وأعوانهم من المنافقين المندسين في صفوف أهل الإسلام، يقول عطية محمد سالم رحمه الله: (وإن المسلمين اليوم لأحوج ما يكونون إلى الالتزام بهذا التوجيه القرآني الكريم، إزاء قضيتهم العامة مع عدوهم المشترك، ولا سيما، وقد مر العالم الإسلامي بعدة تجارب في تاريخهم الطويل وكان لهم منها أوضح العبر، ولهم في هذا المنهج القرآني أكبر موجب لاسترجاع حقوقهم والحفاظ على كيانهم، فضلا عن أنه العمل الذي يحبه الله من عباده، وبالله تعالى التوفيق)[٢]، ويقول الزحيلي: (وهذا تعليم من الله للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم، وحث على الجهاد بأسلوب آخر، ودليل على قوتهم وشدتهم في أمر الله، دون تراخ فيهم، وإشارة إلى إحكام أمر القتال، وتنفيذ مهمة الجهاد بدقة وإتقان، وتضامن واجتماع حازم على وحدة الكلمة، وإمضاء الأمر بعزيمة لا تعرف اللين، وهمة لا تردد فيها، ولقاء للعدو بقلوب ثابتة راسخة لا تخاف ولا تخشى الموت. وهكذا تبني الأمم القوية أمجادها، وتثبت هيبتها

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٦٤).
(٢) أضواء البيان (٨/ ١٠٧).

وشخصيتها الذاتية، وتنتزع احترام الآخرين لها)[١].

١٠ / التقييد في قوله تعالى " في سبيله " يدل على أهمية تجرد القلب في هذا المقام العظيم، الجهاد في سبيل الله، وأن يكون سعي المسلمين جماعات، ووحداناً، في جهادهم لأعدائهم خالصاً لوجه الله تعالى، لا تشوبه شائبة من شوائب الدنيا، وإلا استحال هذا المقام العظيم وبالاً على صاحبه.

١١ / يستدل بقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾[٢] كما يقول القرطبي رحمه الله بأنه: (لا يجوز الخروج عن الصف إلا لحاجة تعرض للإنسان ، أو في رسالة يرسلها الإمام ، أو في منفعة تظهر في المقام ، كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها. وفي الخروج عن الصف للمبارزة خلاف على قولين أحدهما : أنه لا بأس بذلك إرهابا للعدو ، وطلبا للشهادة وتحريضا على القتال. وقال أصحابنا : لا يبرز أحد طالبا لذلك ، لأن فيه رياء وخروجا إلى ما نهى الله عنه من لقاء العدو. وإنما تكون المبارزة إذا طلبها الكافر ؛ كما كانت في حروب النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وفي غزوة خيبر ، وعليه درج السلف)[٣].

(١) التفسير المنير للزحيلي (٢٨/ ١٦٣).
(٢) سورة الصف: ٤ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٨١).

المبحث الثاني

الدين الحق هو دين الأنبياء جميعاً (الآيات من ٥: ٩)

وفيــه خمسة مطالــب: -

- المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.
- المطلب الثاني: التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق.
- المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.
- المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.
- المطلب الخامس: ما ترشد إليه آيات الموضوع.

* * * * * *

﴿ الدين الحق هو دين الله جميعاً ﴾

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (١)

(١) سورة الصف: ٥ – ٩.

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

حين نتأمل آيات هذا الموضوع نلحظ ارتباطها الوثيق، بمحور السورة الرئيس، وموضوعها الأساس، وهو: التأكيد على الاصطفاف، والاجتماع، والصدق في نصرة هذا الدين العظيم الخاتم، وذلك بالتذكير بخذلان قوم موسى وعيسى لهما، ونكوصهم عن حمل الأمانة الملقاة على ظهورهم، والتذكير بظهور هذا الدين، وعلو شأنه، ورفعة أهله القائمين به، الأمر الذي يستلزم من أهل الإسلام بذل الوسع في نصرة هذا الدين، والسعي في رفعته.

المطلب الثاني: التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق.

لما سبقت الإشارة في موضوع الآيات السابقة إلى مقام الجهاد في سبيل الله، أوضح سبحانه هنا في موضوع هذه الآيات الكريمات جهاد بعض أنبيائه، ورسله، وعقوبة من خذلهم من أقوامهم، قال القرطبي رحمه الله: (لما ذكر أمر الجهاد بين أن موسى وعيسى أمرا بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله؛ وحل العقاب بمن خالفهما؛ أي واذكر لقومك يا محمد هذه القصة)[1].

فهذا الموضوع كالتقرير لموضوع الآيات السابقة، من بيان قبح ترك الجهاد، والتخاذل عنه، قال أبو السعود رحمه الله: (" وَإِذْ قَالَ موسى لِقَوْمِهِ " كلامٌ مستأنفٌ مقرِّرٌ لما قبله من شناعة تركِ القتالِ وإذْ منصوبٌ على المفعوليةِ بمضمرٍ خوطبَ به النبي عليه الصلاة والسلام بطريقِ التلوينِ أيْ واذكُر لهؤلاءِ المعرضينَ عن القتالِ وقتَ قولِ مُوسى لبني إسرائيلَ حينَ ندبَهُم إلى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِى كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلُوا بأمرِهِ وعَصوه أشدَّ عصيانٍ حيثُ قالُوا يا موسى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حتى يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا داخلون إلى قولِهِ تعالى فاذهب أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إنا ههنا قاعدون وأصرُّوا على ذلكَ وآذَوه عليهِ الصَّلاةُ

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٨٢).

والسَّلامُ كلُّ الآذية)[١].

ونلحظ في موضوع الآيات السابقة التحذير من مخالفة القول الفعل، وهو ضرب من الكذب، ويعد ذلك أذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي موضوع هذه الآيات الكريمات إشارة إلى أذية قوم موسى عليه السلام له، قال أبو حيان رحمه الله: (ولما كان في المؤمنين من يقول ما لا يفعل ، وهو راجع إلى الكذب ، فإن ذلك في معنى الإذاية للرسول عليه الصلاة والسلام ، إذ كان في أتباعه من عانى الكذب ، فناسب ذكر قصة موسى وقوله لقومه : " لِمَ تُؤْذُونَنِى ")[٢].

وقال الطاهر رحمه الله: (يجوز أن تكون الجملة معترضة استئنافاً ابتدائياً انتقل به من النهي عن عدم الوفاء بما وعدوا الله عليه إلى التعريض بقوم آذوا النبي (صلى الله عليه وسلم) بالقول أو بالعصيان أو نحو ذلك ، فيكون الكلام موجهاً إلى المنافقين، فقد وسموا بأذى الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة) (الأحزاب : ٥٧) الآية . وقوله تعالى : (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) (التوبة : ٦١) وقوله : (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) (التوبة : ٦١) وعلى هذا الوجه فهو اقتضاب نقل به الكلام من الغرض الذي قبله لتمامه إلى هذا

(١) تفسير أبي السعود (٨/ ٢٤٣).
(٢) البحر المحيط في التفسير (٨/ ٢٥٩).

الغرض)[١].

وفي آيات الموضوع السابق إشعار بمحبته سبحانه للمجاهدين الصادقين الصافين في مواجهة أعدائهم، وفي آيات هذا الموضوع تحذير لأمة محمد صلى الله عليه وسلم من أن يفعلوا ما فعله قوم موسى وعيسى معهما من النكوص والخذلان[٢].

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٧٧).

(٢) ينظر فتح البيان (١٤ / ١٠٠).

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

واذكر يا محمد حين قال موسى عليه السلام لقومه " يا قوم " هذا استعطاف لقومه، واستنهاض منه لهم إلى رضى ربهم(١).

" لم تؤذونني " هذا مقول القول، أي لم تؤذونني بمخالفة ما آمركم به من الشرائع التي افترضها الله عليكم(٢)، والاستفهام هنا للإنكار أي: إنكار أن يكون للأذية سبب(٣).

" وقد تعلمون أني رسول الله إليكم " وهذا القول منه عليه السلام إنكار لحالهم، إذ الواجب والحال هذه – وهي علمكم التام بصدق رسالتي – أن تصدقوا، وتؤمنوا، بدل التكذيب، والإيذاء(٤).

" تعلمون " عبر بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار في التكذيب مع تجدد البينات، والحجج الباهرات، فكفرهم متصل، وتكذيبهم مستمر(٥)، قال الطاهر رحمه الله: (والإتيان

---

(١) نظم الدرر (٧ / ٥٧٤).
(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٤/ ١٠٠).
(٣) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٧٨).
(٤) ينظر البحر المحيط (٨ / ٢٩٥).
(٥) ينظر تفسير أبي السعود (٨/ ٢٤٣).

بعد " قد " بالمضارع هنا للدلالة على أن علمهم بذلك مجدّد بتجدد الآيات والوحي ، وذلك أجدى بدوام امتثاله لأنه لو جيء بفعل المضي لما دلّ على أكثر من حصول ذلك العلم فيما مضى . ولعله قد طرأ عليه ما يبطله)[١]، ولذا قال بعدها:

" فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم " (الزَّوْغ مثل الزَّيْغ، وَهُوَ الْميل عَن الْقَصْد)[٢].

أي: (أي لما خالفوا ما أمرهم رسولهم جعل الله في قلوبهم زيغاً ، أي تمكن الزيغ من نفوسهم فلم ينفكوا عن الضلال)[٣].

" والله لا يهدي القوم الفاسقين " وختْمُ الآية الكريمة بهذه الجملة فيه تقرير لمضمون ما قبلها من الإزاغة، ومؤذن بعلتها، وأظهر هنا في موقع الإضمار لذمهم بالفسق، وتعليل عدم هدايتهم[٤].

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾

لما ذكر شيئاً من قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل ، ذكر أيضاً شيئاً من قصة

(١) التحرير والتنوير(٢٨/ ١٧٩).
(٢) جمهرة اللغة (٢/ ٨٢٠).
(٣) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٧٩).
(٤) ينظر تفسير أبي السعود (٨ / ٢٤٣).

عيسى عليه السلام[١].

" مصدقاً لما بين يدي من التوراة " يعني: (التوراة قد بشرت بي، وأنا مصداق ما أخبرت عنه،)[٢].

" ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد " هذا عطف على ما قبله، فهو متمم لدعوة موسى عليه السلام، ومبشرٌ بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم.

" اسمه أحمد " صيغة مبالغة من الحمد، وهو الذي لا يُذَم، وسمي بذلك لأمرين كما يقول البغوي رحمه الله: (أحدهما أنه مبالغة من الفاعل أي الأنبياء كلهم حمادون لله عز وجل وهو أكثر حمدا لله من غيره والثاني أنه مبالغة من المفعول أي الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مبالغة وأجمع للفضائل والمحاسن التي يحمد بها)[٣].

" فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين " " جاءهم " (يحتمل أن يريد عِيسَى، وتكون الآية وما بعدها تمثيلا بأولئك لهؤلاء المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أن يكون التمثيل قد فرغ عند قوله: اسْمُهُ أَحْمَدُ، ثم خرج إلى ذكر أَحْمَدُ لما تطرق ذكره، فقال مخاطبة للمؤمنين، فَلَمَّا جاء أحمد هؤلاء الكفار قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ)[٤]، قال أبو حيان رحمه الله: (لما فرغ من كلام عيسى، تطرق إلى الإخبار عن أحمد صلى الله عليه

---

(١) البحر المحيط (٨/ ٢٥٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ١٠٩).
(٣) تفسير البغوي (٥/ ٨٠).
(٤) تفسير ابن عطية (٥/ ٣٠٣).

وسلم، وذلك على سبيل الإخبار للمؤمنين)[١].

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

ولما كانوا أظلم الناس بصنيعهم في الآية السابقة، حيث تعمدوا الكذب، والافتراء، مع وضوح وجلاء الآيات والبراهين عطف عليها سبحانه قوله " ومن أظلم ممن افترى على الكذب وهو يدعى إلى الإسلام..."[٢].

قال المراغي رحمه الله: (بعد أن ذكر فيما سلف أن الجاحدين لنبوته صلى الله عليه وسلم من المشركين وأهل الكتاب لما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مفترى- أردف ذلك ببيان أنهم دعوا إلى الإسلام والخضوع لخالق الخلق ومبدع العالم، وأقيمت لهم على ذلك الأدلة ونصب لهم المنار، لكنهم ظلموا أنفسهم وجحدوا النور الواضح، والبرهان الساطع)[٣].

" ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام " أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب، والحال أنه يدعى إلى الإسلام وتبين له معالمه ودلائله، وهذا تعجب ممن كفر بعيسى ومحمد عليهما السلام بعد المعجزات التي ظهرت لهما[٤].

" وهو يدعى إلى الإسلام " وذكْرُ الإسلام هنا دون ما سواه زيادة في تشنيع حال الذين أعرضوا عنه لأن اسم الإسلام يوحي بما فيه من خير وسلامة العبد في الدنيا والآخرة،

(١) البحر المحيط (٨/ ٢٥٩).
(٢) ينظر نظم الدرر (٧/ ٥٨٢).
(٣) تفسير المراغي (٢٨/ ٨٦).
(٤) ينظر تفسير اللباب (ص: ٤٩١١).

وبذلك حق عليه وصف (أظلم)[١].

" والله لا يهدي القوم الظالمين " هذا بيان لسبب ظلمهم، وفساد عقولهم، أي: والله لا يرشد الظالمين لأنفسهم إلى ما فيه صلاحهم ورشادهم، لأنهم دسّوها باجتراح السيئات، وارتكاب الموبقات، فختم على قلوبهم، وجعل على أبصارهم غشاوة، فلا تفهم الأدلة المنصوبة فى الكون، ولا تهتدى بهدى العقل، بل تسير فى عماية وتمشى فى ظلام دامس لا تلوى على شىء[٢].

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

بعد أن ذكر سبحانه شدة عنادهم، وصلفهم في رد الحق، بين تعالى جلدهم واجتهادهم في إبطال دين الله[٣].

وهذه الآية كالتعليل لما قبلها، فهي في بيان الدافع لهم لرد الرسالة، والتكذيب بها مع قيام الحجج ووضوح البراهين، وذلك لأجل أن لا ينتشر هذا الدين، قال الطاهر رحمه الله عن الآية أنها: (استئناف بياني ناشىء عن الإِخبار عنهم بأنهم افتروا على الله الكذب في حال أنهم يُدعون إلى الإِسلام لأنه يثير سؤال سائل عما دعاهم إلى هذا الافتراء، فأجيب بأنهم

(١) ينظر التحرير والتنوير (٢٨ / ١٨٩).
(٢) تفسير المراغي (بتصرف يسير) (٢٨/ ٨٧).
(٣) ينظر تفسير المراغي (٢٨/ ٨٧).

يريدون أن يخفوا الإِسلام عن الناس ويعوقوا انتشاره)[١].

" يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم " أي: يحاولون أن يردوا الحق بالباطل، ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس بفيه، وكما أن هذا مستحيل كذلك ذاك مستحيل[٢]، قال الطاهر رحمه الله: (فالكلام تمثيل دال على حالة الممثل لهم، والتقدير : يريدون عوق ظهور الإِسلام كمثل قوم يريدون إطفاء النور ، فهذا تشبيه الهيئة بالهيئة تشبيه المعقول بالمحسوس)[٣].

" بأفواههم " إما بمقالاتهم الفاسدة، وكلامهم الباطل، قال ابن عطية رحمه الله: (إشارة إلى الأقوال أي بقولهم: سحر وشعر وتكهن وغير ذلك)[٤]، والتشبيه هنا لإظهار العجز والاستحالة.

" والله متم نوره ولو كره الكافرون " قال البقاعي رحمه الله: (ولما أخبر بعلة إرادتهم وأشار إلى وهي أمرهم بعد أن أخبر بردهم للحق وجرأ عليهم بالإخبار بإضلالهم ، زاد ذلك بقوله مظهرا غير مضمر تنبيهاً على جميع صفات الجلال والإكرام : (والله) أي الذي لا مدافع له لتمام عظمته)[٥]، وهذه الجملة كما يقول الطاهر رحمه الله: معطوفة على جملة "

---

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٨٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ١١٢).
(٣) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٩٠).
(٤) تفسير ابن عطية (٥/ ٣٠٣).
(٥) نظم الدرر (٧/ ٥٨٣).

يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم " وهي إخبار بأنهم لا يبلغون مرادهم وأن هذا الدِّين سيتم، أي يبلغ تمام الانتشار . وفي الحديث (والله لَيَتَمَّن هذا الأمرُ حتى يسيرَ الراكبُ من صنَعاء إلى حضرَموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون)[١][٢].

" ولو كره الكافرون " يعم كما يقول الطاهر رحمه الله: (جميع الكافرين بالإِسلام من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم، ولكن غلب اصطلاح القرآن على تخصيص وصف الكافرين بأهل الكتاب ومقابلتهم بالمشركين أو الظالمين)[٣]

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾

هذه الآية الكريمة تأكيد لمعنى الآية السابقة، فالله تعالى هنا يظهر اختصاصه بأمر هذا الدين الذي أراد أعدائه إخماده، وإضعافه، وأنه تكفل سبحانه بإظهاره، وإعزازه، قال ابن عطية رحمه الله: (هذا تأكيد لأمر الرسالة وشد لأزرها كما يقول الإنسان لأمر يثبته ويقويه أنا فعلته، أي فمن يقدر على معارضته فليعارض)[٤].

وفيها أيضاً بيان سبب تمام نور الله المشار إليه في الآية السابقة، يقول السعدي رحمه الله: (ثم ذكر سبب الظهور والانتصار للدين الإسلامي، الحسي والمعنوي، فقال: " هُوَ الَّذِي

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٩٠).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (علامات النبوية في الإسلام) حديث رقم (٣٦١٢).
(٣) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٩١).
(٤) تفسير ابن عطية (٥/ ٣٠٤).

أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ")[١].

" هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق " الهدى هو: العلم النافع، ودين الحق: هو العمل الصالح[٢].

" ليظهره على الدين كله " هذه الجملة تعليل لما قبلها، فقد أرسل سبحانه رسوله بالهدى ودين الحق، وتولى ذلك سبحانه بنفسه لأجل أن يظهره على الدين كله.

ومفاد هذه الجملة المباركة من الآية الكريمة: أنه لا يبقى دين غير دين الإسلام على وجه الأرض البتة، وهذا لا يكون إلا في زمن عيسى عليه السلام حين يكسر الصليب، ويقتل الخنزير[٣]، أو يكون المراد بهذه الجملة المباركة: أن يبقى دين الله ظاهراً، مهيمناً على الدين كله، مع وجود غيره، وهذا وجد على مر الأزمان[٤].

" ولو كره المشركون " وخص المشركين هنا بالذكر كما يقول الطاهر رحمه الله: (إتماماً للذين يكرهون إتمام هذا النور ، وظهور هذا الدين على جميع الأديان . ويعلم أن غير المشركين يكرهون ظهور هذا الدين لأنهم أرادوا إطفاء نور الدين لأنهم يكرهون ظهور هذا الدين)[٥].

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٦٠).
(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٣٠٣).
(٣) ينظر تفسير الطبري (٢٢/ ٦١٥).
(٤) ينظر تفسير ابن عطية (٥/ ٣٠٤).
(٥) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٩٣)

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع

واذكر يا محمد لقومك قول موسى عليه السلام لقومه مستنكراً لِمَ يقع الإيذاء منكم لي، وقد تبين لكم على وجه التحقق، واليقين أني رسول الله إليكم مبلغكم عنه مراده منكم، واذكر أيضاً كيف قابلوا هذا التذكير بالصدود، والعناد، فابتلاهم الله تعالى بعد أن مالوا عن الحق عن قصد وعلم بمجازاتهم من جنس صنيعهم، حيث أزاغ قلوبهم، وصرفها عن الحق، وذلك جزاء فسقهم، وخروجهم عن طاعة ربهم والاستجابة لأمره سبحانه.

وكذلك يوجه سبحانه نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام، أن يذكر لقومه موقف قوم عيسى عليه السلام منه، حين أبلغهم أنه رسوله المثبت علمه وخبره في ما بين أيديهم من التوراة، وأنه جاءهم مبشراً بمحمد صلى الله عليه وسلم، فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم على وفق ما بُشِّروا به، ومؤيداً من ربه بالبينات وهي الدلائل الواضحات على صدقه، قالوا كذباً، وعناداً هذا سحر بيِّن.

ولما كان قولهم هذا من باب وضع الشيء في غير موضعه وهو الظلم قال بعدها: "ومن أظلم" أي: ولا أحد أظلم ممن هذه حاله وهي أن يفتري على الله الكذب، وقد استبان له الحق بدلالته عليه، وإرشاده إليه، وقد حرمه الله هدايته وتوفيقه فهو ليس له بأهل، حيث يكذب على الله ويصم كلامه، ووحيه بالسحر، وقد استبانت له معالم الهدى، واتضحت له دلائل الحق.

ثم بين سبحانه سبب افترائهم الكذب على الله، ومحاولتهم التشكيك في شريعته وهو أنهم

يريدون بذلك – يائسين بائسين – أن يطفئوا نور الله، ويطمسوا معالم هديه بمقالاتهم الفاسدة، وقد شبه الله محاولاتهم البائسة بمن يحاول إطفاء نور الشمس بفمه، ثم أكد سبحانه بطلان سعيهم، وخيبة كيدهم بتأكيد تكفله سبحانه بإتمام نوره، وإعزاز دينه، ولو كره الكافرون ذلك وسعوا بكل ما أوتوا لمنعه.

ثم يخبر سبحانه أن تمام هذا النور، وظهور الشريعة، وعز أهلها قضاءٌ قضاه وقدره، حين أرسل رسوله بما فيه صلاح البشرية في دينها ودنياها وآخرتها، من الهدى وهو: العلم النافع، ودين الحق، وهو: العمل الصالح، وقد كمَّل سبحانه هذه الشريعة الخاتمة لتكون ظاهرة مهيمنة على ما سواها، ولو كره ذلك المشركون، وبذلوا ما في وسعهم لمنعه، وتحجيمه.

المطلب الخامس: ما ترشد إليه آيات الموضوع

١ / في قوله تعالى " وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني..." الآية، تسلية، وتصبير للنبي صلى الله عليه وسلم على ما يلقى من الأذى الكبار من قومه، قال ابن كثير رحمه الله: (وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أصاب من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر؛ ولهذا قال: "رحمة الله على موسى: لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر"[١])[٢].

٢ / في قوله تعالى عن قوم موسى عليه السلام " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم " بيان لسوء عاقبة من آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول الفخر الرازي رحمه الله : (وفي هذا تنبيه على عظيم إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم حتى إنه يؤدي إلى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى)[٣]، وقال ابن كثير رحمه الله : (وفيه نهي للمؤمنين أن ينالوا من النبي صلى الله عليه وسلم أو يوصلوا إليه أذى، كما قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها} [الأحزاب: ٦٩])[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (غزوة الطائف) حديث رقم (٤٣٣٥).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ١٠٩).
(٣) تفسير الرازي (٢٩/ ٥٢٨).
(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ١٠٩).

٣ / وفيها أيضاً كما يقول السعدي رحمه الله: (أن إضلال الله لعباده، ليس ظلما منه، ولا حجة لهم عليه، وإنما ذلك بسبب منهم، فإنهم الذين أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعد ما عرفوه، فيجازيهم بعد ذلك بالإضلال والزيغ الذي لا حيلة لهم في دفعه وتقليب القلوب عقوبة لهم وعدلا منه بهم كما قال تعالى: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ})[١].

٤ / في قوله تعالى " مصدِّقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد " بيان لمنهج الله الواحد المتسق في أصوله وكلياته منذ خلق البشرية إلى قيام الساعة، فكل نبي يصدق النبي الذي قبله، ويبشر بالنبي الذي بعده[٢]، يقول سيد رحمه الله عند قوله تعالى: («مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» في هذه الصيغة التي تصور حلقات الرسالة المترابطة، يسلم بعضها إلى بعض، وهي متماسكة في حقيقتها، واحدة في اتجاهها، ممتدة من السماء إلى الأرض، حلقة بعد حلقة في السلسلة الطويلة المتصلة.. وهي الصورة اللائقة بعمل الله ومنهجه. فهو منهج واحد في أصله، متعدد في صوره، وفق استعداد البشرية وحاجاتها وطاقاتها، ووفق تجاربها ورصيدها من المعرفة حتى تبلغ مرحلة الرشد العقلي والشعوري)[٣].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٥٩).

(٢) ينظر تفسير السعدي (ص: ٨٥٩).

(٣) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٥٦).

٥ / في قوله تعالى عن عبده عيسى عليه السلام: " ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد " في تسميته أحمد بيان لشرف هذا النبي الكريم الخاتم صلى الله عليه وسلم، وفي هذه التسمية علم من أعلام النبوة، قال القرطبي رحمه الله: (فاسم محمد مطابق لمعناه، والله سبحانه سماه قبل أن يسمي به نفسه. فهذا علم من أعلام نبوته، إذ كان اسمه صادقا عليه، فهو محمود في الدنيا لما هدي إليه ونفع به من العلم والحكمة. وهو محمود في الآخرة بالشفاعة. فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ. ثم إنه لم يكن محمدا حتى كان أحمد، حمد ربه فنبأه وشرفه، فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى عليه السلام فقال: اسمه أحمد. وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه: تلك أمة أحمد، فقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد. فبأحمد ذكره قبل أن يذكره بمحمد، لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له. فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل)[1].

٦ / في قوله تعالى " والله متم نوره ولو كره الكافرون " " هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " وعد ناجز، وقضاء نافذ، قدره الله وكتبه بأن الرفعة، والغلبة، والظفر، والتمكين لهذا الدين العظيم الخاتم، وأهله الصادقين في حمله، قال السعدي رحمه الله: ({لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} أي: ليعليه

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٨٣ - ٨٤)، تفسير السعدي (ص: ٨٦٠).

على سائر الأديان، بالحجة والبرهان، ويظهر أهله القائمين به بالسيف والسنان، فأما نفس الدين، فهذا الوصف ملازم له في كل وقت، فلا يمكن أن يغالبه مغالب، أو يخاصمه مخاصم إلا فلجه[١] وبلسه[٢]، وصار له الظهور والقهر، وأما المنتسبون إليه، فإنهم إذا قاموا به، واستناروا بنوره، واهتدوا بهديه، في مصالح دينهم ودنياهم، فكذلك لا يقوم لهم أحد، ولا بد أن يظهروا على أهل الأديان، وإذا ضيعوه واكتفوا منه بمجرد الانتساب إليه، لم ينفعهم ذلك، وصار إهمالهم له سبب تسليط الأعداء عليهم، ويعرف هذا، من استقرأ الأحوال ونظر في أول المسلمين وآخرهم).

ويقول سيد رحمه الله: (ولقد تمت إرادة الله فظهر هذا الدين على الدين كله. ظهر في ذاته كدين، فما يثبت له دين آخر في حقيقته وفي طبيعته. فأما الديانات الوثنية فليست في شيء في هذا المجال. وأما الديانات الكتابية فهذا الدين خاتمتها، وهو الصورة الأخيرة الكاملة الشاملة منها، فهو هي، في الصورة العليا الصالحة إلى نهاية الزمان، ولقد حرفت تلك الديانات وشوهت ومزقت وزيد عليها ما ليس منها، ونقصت من أطرافها، وانتهت لحال لا تصلح معه لشيء من قيادة الحياة. وحتى لو بقيت من غير تحريف ولا تشويه فهي نسخة سابقة لم تشمل كل مطالب الحياة المتجددة أبدا، لأنها جاءت في تقدير الله لأمد محدود، فهذا تحقيق وعد الله من ناحية طبيعة الدين وحقيقته. فأما من ناحية واقع الحياة، فقد صدق وعد الله مرة، فظهر هذا الدين قوة وحقيقة ونظام حكم على الدين كله فدانت له معظم

---

(١) (فَلَجَ) الْفَاءُ وَاللَّامُ وَالْجِيمُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى فَوْزٍ وَغَلَبَةٍ، وَالْآخِرُ عَلَى فُرْجَةٍ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ الْمُتَسَاوِيَيْنِ. مقاييس اللغة (٤/ ٤٤٨).

(٢) قال الخليل: بلس: الْمُبْلِسُ: الكئيبُ، وقال ابن فارس: الْأَصْلُ في بلس الْيَأْسُ، يُقَالُ أَبْلَسَ إِذَا يَئِسَ الحزين الْمُتَنَدِّم. العين (٧/ ٢٦٢) مقاييس اللغة (١/ ٣٠٠).

الرقعة المعمورة في الأرض في مدى قرن من الزمان. ثم زحف زحفا سلميا بعد ذلك إلى قلب آسيا وإفريقية، حتى دخل فيه بالدعوة المجردة خمسة أضعاف من دخلوا في إبان الحركات الجهادية الأولى.. وما يزال يمتد بنفسه دون دولة واحدة- منذ أن قضت الصهيونية العالمية والصليبية العالمية على الخلافة الأخيرة في تركيا على يدي «البطل» الذي صنعوه! - وعلى الرغم من كل ما يرصد له في أنحاء الأرض من حرب وكيد، ومن تحطيم للحركات الإسلامية الناهضة في كل بلد من بلاد الإسلام على أيدي «أبطال» آخرين من صنع الصهيونية العالمية والصليبية العالمية على السواء، وما تزال لهذا الدين أدوار في تاريخ البشرية يؤديها، ظاهرا بإذن الله على الدين كله تحقيقا لوعد الله، الذي لا تقف له جهود العبيد المهازيل، مهما بلغوا من القوة والكيد والتضليل)[1].

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٥٨).

المبحث الثالث

التجارة الرابحة ، مقوماتها ، وثمراتها (الآية ١٠- ١٣)

وفيــه خمسة مطالــب: -

- المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.
- المطلب الثاني: التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق.
- المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.
- المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.
- المطلب الخامس: ما ترشد إليه آيات الموضوع.

* * * * * *

التجارة الرابحة ، مقوماتها ، وثمراتها

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾(١)

(١) سورة الصف: ١٠ – ١٣.

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

في موضوع هذه الآيات الكريمات يأتي التشويق بكل صوره، والحث بكل أساليبه لأهل الإيمان بمقام الجهاد في سبيل الله، ولا بد أن يكون على الصورة التي أرادها الله، وذكَّر بها في أول السورة (صفاً كأنهم بنيان مرصوص) وهذا هو موضوع السورة الرئيس، ومحورها الأساس، فالله هنا يرغِّب أوليائه في مقام الاصطفاف في سبيله، ويذكرهم بعاقبة ذلك في الدنيا والآخرة، يقول سيد رحمه الله: («وَتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ» .. وهو الموضوع الرئيسي الذي تعالجه السورة، يجيء في هذا الأسلوب، ويكرر هذا التكرار، ويساق في هذا السياق. فقد علم الله أن النفس البشرية في حاجة إلى هذا التكرار، وهذا التنويع، وهذه الموحيات، لتنهض بهذا التكليف الشاق، الضروري الذي لا مفر منه لإقامة هذا المنهج وحراسته في الأرض)[1].

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٥٩).

المطلب الثاني: التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق.

إن ارتباط وتناسق موضوع هذه الآيات الكريمات بما سبق واضح جلي، حيث جاء في الموضوع السابق الحث على الجهاد في سبيل الله، والتحذير من النكوص عنه، كحال قوم موسى وعيسى عليهما السلام، وفي موضوع هذه الآيات بيان لثمرة هذا الجهاد، وما ينتظر أهله في الدنيا والآخرة، قال المراغي رحمه الله: (بعد أن حث فى الآية السابقة على الجهاد في سبيله، ونهاهم أن يكونوا مثل قوم موسى في التواكل والتخاذل، إذ قالوا له: اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون، ونهاهم أيضا عن أن يكونوا مثل قوم عيسى فى العصيان بعد أن أتى لهم بالأدلة الباهرة على صدق نبوته- ذكر هنا أن الإيمان بالله والجهاد بالمال والنفس في سبيله تجارة رابحة، فإن المجاهد ينال الفوز العاجل، والثواب الآجل، فيظفر بالنصرة فى الدنيا والغلبة على العدو وأخذ الغنائم وكرائم الأموال، ويحظى في الآخرة بغفران الذنب، ورضوان الرب، والكرامة في جنات الخلود والإقامة، ولا فوز أعظم من هذا)[1].

و بالنظر إلى موضوع الآيات السابقة نلحظ الوعد، والبشارة بعز الدين، وظهور ورفعة أهله، وهنا في موضوع هذه الآيات الكريمات نلحظ بياناً للسبيل إلى تلك الرفعة، وهو الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس، فإن من ثمراته المنصوص عليها هنا (النصر، والفتح القريب).

(١) تفسير المراغي (٢٨/ ٨٩).

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ هذا نداء من الله تعالى لعباده المؤمنين، بطريق التشويق والإغراء، وهذه التجارة بين أهل الإيمان، وربهم تعالى، وإنما جعل العمل المذكور بمنزلة التجارة لأنهم يربحون فيه كما يربحون فيها وذلك بدخولهم الجنة ونجاتهم من النار(١).

﴿ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ هذه الآية الكريمة استئناف، وهي كالجواب لسؤال يرد في ذهن السامع لما قبلها: كيف نعمل لتحصيل هذه التجارة(٢)؟.

فالآية الكريمة بيان، وإيضاح لماهية التجارة المشار إليها في الآية السابقة.

قال البقاعي رحمه الله: (ولما كان الاتجار إجهاد النفس في تحصيل الربح النافع ، وكان الإيمان والجهاد أعظم إجهاد النفس في تحصيل – الجنة الباقية التي لا ريح توازيها ، فاستعار لهما اسمها)(٣).

" تؤمنون بالله ورسوله " هذا أمر في صورة الخبر، أي: إن رمتم تحصيل التجارة المشار

---

(١) تفسير فتح القدير(٥/ ٢٢٢)
(٢) ينظر تفسير الزمخشري (٤ / ٥٢٦)
(٣) نظم الدرر (٧/ ٥٨٥)

إليها فآمنوا بالله ورسوله.

" وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم " هذا كالبرهان على الإيمان الذي سبقه، قال البقاعي رحمه الله: (" وتجاهدون " أي وجاهدوا بياناً لصحة إيمانكم على سبيل التجديد والاستمرار)[١]، ويقول السعدي رحمه الله مبيناً أن الحث على الجهاد هنا لإثبات صدق الإيمان قبله: (ومن المعلوم أن الإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق به، المستلزم لأعمال الجوارح، ومن أجل أعمال الجوارح الجهاد في سبيل الله فلهذا قال: {وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ} بأن تبذلوا نفوسكم ومهجكم، لمصادمة أعداء الإسلام)[٢].

" ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون " هذ تعقيب على التجارة الرابحة التي دلهم عليها بالتحسين والتزيين[٣]، خير لكم أي: من تجارة الدنيا، والكد لها والتصدي لها وحدها[٤].

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ هذا جواب (تؤمنون باللَّه وَرَسُوله وتُجَاهِدُونَ) لأن معناه معنى الأمْرِ[٥]، وهو

(١) نظم الدرر (٧/ ٥٨٥)
(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٦٠)
(٣) ينظر في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٥٩)
(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ١١٢)
(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٦٦)

بيان لربح تلك التجارة المرغَّب فيها في الآية السابقة[١].

وهذه الآية الكريمة أيضاً: تفصيل لما وعد الله به أرباب هذه التجارة الرابحة من خيري الدنيا والآخرة بعد الإجمال في قوله " ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون "، يقول سيد رحمه الله: (ثم يفصل هذا الخير في آية تالية مستقلة، لأن التفصيل بعد الإجمال يشوق القلب إليه، ويقره في الحس ويمكن له)[٢].

" يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات..." فبعد أن زكاهم من دنس الذنوب، أكرمهم بدخول جنته.

" ومساكن طيبة " الجمع هنا يشير إلى كثرتها المفرطة، قال البقاعي رحمه الله: (ولما كانت المساكن لا تروق إلا بما يقارنها من المعاني الحسنة قال : " طيبة ")[٣].

" في جنات عدن " الوصف في الجملة السابقة للمساكن بـــ" طيبة " باعتبار حسنها في ذاتها، والوصف هنا بقوله " في جنات عدن " باعتبار محلها[٤].

" ذلك الفوز العظيم " أي: ما تقدم ذكره لمن آمن وجاهد هو الفوز الذي لا يدانيه فوز.

﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ لما ذكر سبحانه وبحمده ما وعدهم به في الآخرة من الثواب جزاء جهادهم، وصدقهم، ذكر ما يسرهم في العاجلة، وهو

(١) ينظر لطائف الإشارات (٣ / ٥٧٨)
(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٥٩)
(٣) نظم الدرر (٧/ ٥٨٧)
(٤) ينظر تفسير الألوسي (١٤/ ٢٨٤).

ما يفتح عليهم من البلاد[١]، وقال الماوردي رحمه الله مبيناً مناسبة الآية الكريمة لما قبلها: (وهذا من الله لزيادة الترغيب ، لأنه لما وعدهم بالجنة على طاعته وطاعة رسوله علم أن منهم من يريد عاجل النصر لقاء رغبة في الدنيا ولقاء تأييد الدين فوعدهم بما يقوي به الرغبة)[٢].

" وأخرى تحبونها " هذا عطف على ما سبق من ثمرات الإيمان بالله والجهاد في سبيله في الآخرة، "وأخرى" أي مما وعدكم به متى آمنتم به، وجاهدتم في سبيله.

" تحبونها " هذا نعت لأخرى، أي: مثوبة، وخصلة أخرى تحبونها[٣].

" نصر من الله وفتح قريب " هذا تفسير لأخرى التي يحبونها، وإيضاح لها[٤].

" وبشر المؤمنين " قال أبو السعود رحمه الله: (عطفٌ على محذوفٍ مثل قُل يأيها الذين وبشر أو على تؤمنونَ فإنَّه في معنى آمِنُوا كأنَّه قيلَ آمِنُوا وجاهِدُوا أيُّها المؤمنونَ وبشرْهُم يأيها الرسولُ بما وعدتَهُم على ذلك عاجلا وآجلا)[٥].

(١) ينظر تفسير البحر المحيط (٨ / ٢٦١).
(٢) تفسير الماوردي (٥/ ٥٣١).
(٣) ينظر تفسير اللباب لابن عادل (ص: ٤٩١٥).
(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٦١٩).
(٥) تفسير أبي السعود (٨/ ٢٤٦).

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع

هذا نداء من الله تعالى لعباده المؤمنين يشوقهم فيه، ويرغبهم في مقام الجهاد في سبيله، جاعلا ذلك بمثابة الاتجار معه سبحانه وبحمده، وأخبرهم سبحانه أن مآل هذه التجارة السلامة والنجاة من عذابه سبحانه، وقد علم تعالى عظيم شفقة عباده، وخوفهم من عذابه.

ثم بين لهم سبحانه بنود هذه التجارة، وأنها قائمة على الإيمان الصادق بالله ورسوله، وتصديق ذلك بالجهاد بالأموال والأنفس في سبيل الله، ولعظم ذلك على أنفسهم، قرَّبه إليهم بوصفه بالخيرية التامة والعاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة.

ثم بين لهم تعالى ثمار هذا المقام العظيم، موضحاً أن له ثماراً في الدنيا والآخرة، فبدأ تعالى بذكر الأولى والأهم وهي ثماره في الآخرة، من مغفرة الذنوب، ودخول الجنات، والتنعم بما فيها من المساكين الطيبة والأنهار الجارية، في خلود دائم، ونعيم غير منقطع، مذكراً إياهم بأن ذلك هو الفوز الحقيقي، الذي لا يدانيه فوز.

ولما كانت النفوس مجبولة على محبة العاجل، بين لهم سبحانه شيئاً من ثمار هذا المقام العظيم في الدنيا، وهو النصر المبين، والظفر والتمكين، والفتح القريب العاجل، ثم عم البشارة لكل من آمن به سبحانه حتى ولو لم يبلغ مترلة المجاهدين، بشَّرهم بالثواب العاجل والآجل، كل على حسب إيمانه.

المطلب الخامس: ما ترشد إليه آيات الموضوع

١ / في قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم..." جعل الله تعالى التجارة الرابحة المنجية من عذابه هي: الإيمان والجهاد، وفي ذلك دلالة على عظم شأنهما، وأنهما أعظم تجارة يتجر بها العباد مع ربهم، قال القشيري رحمه الله: (سمّى الإيمان والجهاد تجارة لما في التجارة من الرّبح والخسران ونوع تكسّب من التاجر- وكذلك: فى الإيمان والجهاد ربح الجنّة وفي ذلك يجتهد العبد، وخسرانها إذا كان الأمر بالضّدّ)(١).

٢ / ووجه تسمية الإيمان الصادق بالله ورسوله، والجهاد الخالص في سبيله تجارة، باعتبار مآلها، يقول الرازي رحمه الله: (وكما أن التجارة تنجي التاجر من محنة الفقر، ورحمة الصبر على ما هو من لوازمه، فكذلك هذه التجارة وهي التصديق بالجنان والإقرار باللسان، كما قيل في تعريف الإيمان فلهذا قال: بلفظ التجارة، وكما أن التجارة في الربح والخسران، فكذلك في هذا، فإن من آمن وعمل صالحا فله الأجر، والربح الوافر، واليسار المبين، ومن أعرض عن العمل الصالح فله التحسر والخسران المبين

(١) لطائف الإشارات (٣/ ٥٧٨).

)[١].

٣ / يعتبر قوله تعالى " تؤمنون بالله ورسوله " خبر بمعنى الأمر، وفي أمر المؤمنين هنا بالإيمان، إشارة إلى أهمية تخليص الإيمان مما يشوبه، وأن يكون إيماناً صادقاً جازماً، على الوجه الذي يريده الله، يقول الخطيب رحمه الله: (ودعوة المؤمنين إلى الإيمان بالله ورسوله، هو دعوة إلى إيمان خالص من الريب، مبرأ من الشرك.. فليس كل من دخل فى الإيمان كان مؤمنا حقّا)[٢].

٤ / في قوله تعالى " وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم..." تقديم الأموال على الأنفس في أكثر آيات الحث على الجهاد، وذلك لأهمية المال، وتأثيره في قوة المسلمين، ولأجل يسره والقدرة عليه من كل أحد، ولكونه مقدمة لبذل النفس والجود بها، يقول البقاعي رحمه الله: (" بأموالكم " وقدمها لعزتها في ذلك الزمان ولأنها قوام الأنفس والأبدان ، فمن بذل ماله كله لم يبخل بنفسه لأن المال قوامها)[٣]، وقال عطية محمد سالم رحمه الله: (وحقيقة الجهاد بذل الجهد والطاقة، والمال هو عصب الحرب وهو مدد الجيش، وهو أهم من الجهاد بالسلاح، فبالمال يشترى السلاح، وقد تستأجر

(١) تفسير الرازي (٢٩/ ٥٣١).
(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٩٣٧).
(٣) نظم الدرر (٧/ ٥٨٦).

الرجال كما في الجيوش الحديثة من الفرق الأجنبية، وبالمال يجهز الجيش، ولذا لما جاء الإذن بالجهاد أعذر الله المرضى والضعفاء، وأعذر معهم الفقراء الذين لا يستطيعون تجهيز أنفسهم، وأعذر معهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – إذ لم يوجد عنده ما يجهزهم به كما في قوله تعالى: " ليس على الضعفاء ولا على المرضى " إلى قوله: "ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون " وكذلك من جانب آخر، قد يجاهد بالمال من لا يستطيع بالسلاح كالنساء والضعفاء، كما قال صلى الله عليه وسلم: «من جهز غازيا فقد غزا»[(١)][(٢)].

٥ / يدل قوله تعالى " ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون " على أهمية العلم النافع، وأثره في الانتفاع بمواعظ الله، وبراهينه، وقد تكرر ذلك في القرآن كثيراً، ففي ثمانية مواضع من القرآن يعلق الله الانتفاع بآياته، والتأثر بها بالعلم كقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[(٣)] وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجهاد والسير) باب (فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير) حديث رقم (٢٨٤٣). وأخرجه مسلم واللفظ له كتاب (الإمارة) باب (فضل إعانة الغازي في سبيل الله بركوب وغيره) حديث رقم (١٨٩٥).

(٢) أضواء البيان (٨/ ١١٣).

(٣) سورة فصلت: ٣.

بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[١].

٦ / يدل قوله تعالى " وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب.." على أن النفس مجبولة على محبة العاجل، ورؤية ثمرة ونتاج سعيها، وعملها وجهادها، وهذا مما يقوي العزائم، وينشط الهمم لمزيد من البذل والعمل، قال ابن عطية رحمه الله: (ووصفها تعالى بأن النفوس تحبها من حيث هي عاجلة في الدنيا، وقد وكلت النفس لحب العاجل، ففي هذا تحريض)[٢].

ويقول سيد رحمه الله: (ولكن فضل الله عظيم. وهو يعلم من تلك النفوس أنها تتعلق بشيء قريب في هذه الأرض، يناسب تركيبها البشري المحدود. وهو يستجيب لها فيبشرها بما قدره في علمه المكنون من إظهار هذا الدين في الأرض، وتحقيق منهجه وهيمنته على الحياة في ذلك الجيل: «وأخرى تحبونها: نصر من الله وفتح قريب. وبشر المؤمنين»)[٣].

٧ / وفي قوله تعالى " نصر من الله وفتح قريب " وعد إلهي بتمكين هذا الدين، ورفعة شأنه، وعزة أهله على سائر الأديان والملل، وقد تحقق هذا الوعد العظيم، يقول المراغي رحمه الله: (وقد أنجز الله وعده، فرفعت الراية الإسلامية على جميع المعمور من العالم فى زمن وجيز لم يعهد التاريخ نظيره، وامتلكوا بلاد القياصرة والأباطرة، وساسوا العالم سياسة شهد لهم

(١) سورة يونس: ٥.
(٢) تفسير ابن عطية (٥/ ٣٠٤).
(٣) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٦٠).

بفضلها العدو قبل الصديق)[١].

(١) تفسير المراغي (٢٨/ ٩١).

المبحث الرابع

قدوة حسنة ، ونصر مبين (آية ١٤)

وفيــه خمسة مطالــب: -

- المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.
- المطلب الثاني: التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق.
- المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.
- المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.
- المطلب الخامس: ما ترشد إليه آيات الموضوع.

* * * * * *

﴿ قدوة حسنة ، ونصر مبين ﴾

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾(١)

(١) سورة الصف: ١٤.

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

هذا نموذج ضربه الله تعالى لأهل الإيمان، وحثهم على الاقتداء به، والتطلع إلى أن ينالوا، ويحظوا بما نالوه وحظوا به، وهم حواريو عيسى عليه السلام، حين التمس نصرتهم فكانوا على ما أمر الله وأحب من الاصطفاف، والالتفاف في نصرة نبيهم عليه السلام، ولصدقهم نصرهم الله على عدوهم، وأظهرهم عليهم.

المطلب الثاني: التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق.

لما كان موضوع الآيات السابقة دائر على بيان فضل الجهاد، وعلو مترلته وأهله في الدنيا والآخرة، أكَّد سبحانه هنا في هذا الموضوع على وجوب نصرة دينه، وجهاد المخالفين له، قال القرطبي رحمه الله: (أكد أمر الجهاد، أي كونوا حوارى نبيكم ليظهركم الله على من خالفكم كما أظهر حواري عيسى على من خالفهم)[١]، وقال البقاعي رحمه الله: (ولما هز سبحانه إلى الجهاد وشوق إليه بأنه متجر رابح ، ولوح إلى النذارة بالتنشيط بالبشارة ، فتهيأت النفوس إلى الإقبال عليه وانبعثت أي انبعاث ، حض عليه بالإيجاب المقتضي للثواب أو العقاب)[٢].

فهذا الموضوع تأكيد على موضوع الآيات السابقة، وذلك لعظم وقع الجهاد على النفوس، ومشقته عليها، لذا يأتي التأكيد عليه، والتكرار فيه، يقول سيد رحمه الله:(ولكن الله- سبحانه- يعلم أن النفس تضعف، وأن الاندفاع يهبط، وأن الجهد يكل وأن حب السلامة قد يهبط بتلك المشاعر كلها ويقودها إلى الرضى بالواقع الهابط، ومن ثم يجاهد القرآن هذه النفس ذلك الجهاد ويعالجها ذلك العلاج، ويهتف لها بالموحيات والمؤثرات ذلك الهتاف المتكرر المتنوع، في شتى المناسبات. ولا يكلها إلى مجرد الإيمان، ولا إلى نداء واحد باسم هذا الإيمان، فها هو ذا يختم السورة بنداء جديد، يحمل طابعا جديدا، وإغراء جديدا، وموحيا جديدا: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللَّهِ، كَما قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ: مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ؟ قالَ الْحَوارِيُّونَ: نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ. فَآمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ وَكَفَرَتْ طائِفَةٌ. فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ»)[٣].

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٨٩).
(٢) نظم الدرر (٧/ ٥٨٨).
(٣) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٦٠).

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ هذا أمر منه سبحانه وبحمده لعباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم، بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم(١).

" كونوا أنصار الله " صيغة تدل على وجوب دوام النصرة لدين الله، والثبات عليه(٢).

﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ هذا من ضرب المثل، وذكر القدوات الصالحة في طريق الجهاد في سبيل الله.

" كما قال " هذا تشبيه، أي: قلنا لكم كما قال عيسى لقومه، وفيه تهييج من الله تعالى لعباده للاقتداء بالصالحين في هذا المقام العظيم، مقام النصرة للدين(٣).

" للحواريين " هم الذين أخلَصُوا ونُقُّوا من كُل عَيْبٍ، وكذلك الدقيق الحوارَى من هذا، إنما سُمِّيَ لأنَّه يُنَقى من لُبَابِ البُرِّ وخالِصِه. وتأويله في الناس أنه الذي إذَا رُجِعَ في اختياره مَرة بعد مَرةٍ وُجِدَ نقيًّا مِنَ العُيُوب(٤).

" من أنصاري إلى الله " أي: معيني في الدعوة إلى الله.

---

(١) تفسير ابن كثير(٨/ ١١٣).
(٢) ينظر تفسير الرازي (٢٩ / ٥٣٢).
(٣) ينظر تفسير السعدي (٨٦١).
(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٦٥).

﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ هذا جواب خواص عيسى عليه السلام، وحواريوه، حيث أجابوه لما طلبهم، فقالوا: نحن أنصار الله على ما بعث به أنبياءه من الحق(١)، ولذا أثنى عليهم سبحانه بقوله:

﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾

هذا إخبار من الله تعالى بصدقهم في دعواهم، حيث حكم بإيمانهم، وأخبر بتأييده لهم (أَيَّدْنَا) أي: قَوَّينَا، واشتقاقه من الأيْدِ، والأيْدُ القوَّةُ(٢).

قال ابن عطية رحمه الله: (قيل ذلك قبل محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد فترة من رفع عيسى عليه السلام، رد الله تعالى الكرة لمن آمن به، فغلبوا الكافرين الذين قتلوا صاحبه الذي ألقي عليه الشبه، وقيل ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم، أصبح المؤمن بعيسى ظاهرا لإيمانه بمحمد صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه لا يؤمن أحد حق الإيمان بعيسى، إلا وفي ضمن ذلك الإيمان بمحمد لأنه بشر به، وحرض عليه، وقيل كان المؤمنون به قديما ظاهِرِينَ بالحجة، وإن كانوا مفرقين في البلاد، مغلوبين في ظاهر الحياة الدنيا)(٣)، وأياً كان معنى الآية فمفادها: نصر الله تعالى، وتمكينه لأهل الإيمان على عدوه وعدوهم من أهل الكفر والزيغ.

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٢٢).
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٦٦).
(٣) تفسير ابن عطية (٥/ ٣٠٥).

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع

هذا نداء من الله تعالى لعباده المؤمنين يؤكد عليهم فيه أمر الجهاد في سبيله – الجهاد بكل صوره وأشكاله – بعد أن حثهم عليه في الآيات السابقة، وذكرهم بفضله، وحسن عاقبته في الدنيا والآخرة، مذكرا عباده بموقف حواريي عيسى عليه السلام حين التمس نصرتهم، ووقوفهم معه لحمل هذا الدين، وتحمل تبعاته، فأجابوه لذلك فآمنوا بالله، وصدقوا في نصرة دينه، فأكرمهم الله تعالى جزاء صدقهم، وبذلهم، وتضحيتهم بنصره، وتمكينه، فأيدهم، وأظهرهم على عدوهم، وفي ذلك حث واضح جلي لهذه الأمة المحمدية المباركة أن يتحلوا بهذا المقام العظيم، مقام النصرة لدين الله، ليحظوا بنصره، وتأييده.

المطلب الخامس: ما ترشد إليه آيات الموضوع

١ / في قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله " " أنصار الله " هذا الوصف تكريم، وتشريف لأهل الإيمان الذين أخذوا على أنفسهم نصرة دين الله، حيث جعلهم الله أنصاراً له، وهو الغني عنهم وعن نصرهم، ولكنه التشريف، والتكريم، لمن وفقه الله لهذا المقام، مقام الجهاد والنصرة، يقول سيد رحمه الله: («يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللَّهِ».. في هذا الموضع الكريم الذي يرفعكم إليه الله. وهل أرفع من مكان يكون فيه العبد نصيرا للرب؟! إن هذه الصفة تحمل من التكريم ما هو أكبر من الجنة والنعيم)[١].

٢ / " قال الحواريون نحن أنصار الله " الحواريون قيل: كانوا صيادين[٢]، وقيل :كانوا غسالين[٣]، وفي هذا دلالة على أن رفعة المرء، وعزه، وشرفه في الدنيا والآخرة في نصرته لدين الله، بصدق تمسكه به، والذب عن حياضه.

٣ / في تفسير مجاهد رحمه الله لقوله تعالى عن عيسى عليه السلام " من أنصاري إلى الله " أي: من يتبعني إلى الله[٤]، دلالة على أن من أهم وسائل نصرة هذا الدين العظيم، ونبيه الخاتم الكريم هو: تمثل هديه، والتزام منهجه، وأثر ذلك في رفعة الدين معلوم ظاهر لا يخفى.

---

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٦٠)

(٢) نسبه ابن أبي حاتم إلى ابن عباس رضي الله عنهما. تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٩)

(٣) نسبه ابن أبي حاتم إلى الضحاك. تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٩)

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٢١)

الخاتمـــــة

الخاتمة

وفيه مطلبان: –

- **المطلب الأول: النتائج.**
- **المطلب الثاني: التوصيات.**

النتائج

في ختام هذه الدراسة لهاتين السورتين الكريمتين من حيث التناسق الموضوعي فقد توصلت لعدة نتائج من أهمها:

أولا: يعد مصطلح (التناسق الموضوعي) مصطلحاً حادثاً كمصطلح مركب من هاتين الكلمتين، ولكنه قديم من حيث وجوده مبثوثاً في كلام المفسرين الأوائل، وكتبهم..

ثانياً: عناية جمع من المفسرين قديماً، وحديثاً بإبراز التناسق بين موضوعات السورة الواحدة، وكذلك المناسبة بين آياتها، وجملها.

ثالثاً: إن إبراز التناسق بين موضوعات السورة الواحدة، والتناسب بين آياتها، وجملها يزيد يقين المؤمن بعظمة هذا القرآن الذي أحكمت آياته من لدن حكيم خبير.

رابعاً: بعد النظر، والتأمل، والرجوع إلى كلام المفسرين يتضح أن المحور الرئيس الذي تدور حوله سورة الممتحنة هو: تجريد القلب لله تعالى حباً له وفيه، وبغضاً لمن كفر به، وقطع كل وشيجة وعلقة قائمة على محادة الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم.

خامساً: وكذلك بعد النظر، والتأمل، والرجوع إلى كلام المفسرين يتضح أن المحور الرئيس الذي تدور حوله سورة الصف هو: التأكيد على اهتمام أهل الإسلام بمبدأ الاصطفاف، والالتئام، في جهادهم في سبيل الله أعدائه من الكفرة المعتدين.

سادساً: إن من أهم نتائج دراسة التناسق الموضوعي لهاتين السورتين الكريمتين زيادة اليقين بأهمية هذا الفن، وأثره في فهم كلام الله تعالى..

سابعاً : هذا الفن يبرز لوناً من ألوان إعجاز هذا القرآن العظيم في نظمه، وتناسقه، وأنه بعد طول تأمل، ونظر، يبدو كعقد انتظمت حلقاته فكل واحدة آخذة بأختها، من أوله إلى آخره..

ثامناً: استبان لي – بفضل الله – من خلال النظر، والدراسة التناسقية لهاتين السورتين الكريمتين، تناسق كل منهما من حيث الموضوعات، والتناسب التام من حيث الجمل والآيات، وارتباط كل موضوع بمحور السورة العام، وموضوعها الرئيس..

تاسعاً: من خلال النظر إلى واقع السورتين الكريمتن، وأسباب النزول فيهما، يتجلى لنا قوة إيمان، ويقين أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم، وسرعة استجابتهم، وانقيادهم، وقبولهم، وانشراحهم لأمر الله تعالى، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، مهما عظُم ذلك على النفوس، وشق، الأمر الذي أهلهم – بعد توفيق الله – أن يكونوا خير قرون هذه الأمة المحمدية المباركة.

عاشراً: ومن نتائج البحث أن الاسم التوقيفي لسورة الممتحنة هو: الممتحنة بأحد ضبطيه

الذين ذكرهما أهل العلم "بكسر الحاء" أي المختبرة، أضيف الفعل إليها مجازا، كما

سميت سورة "التوبة" المبعثرة والفاضحة ؛ لما كشفت من عيوب المنافقين

أو الممتحنة "بفتح الحاء" فإنه أضافها إلى المرأة التي نزلت فيها ، وهي أم كلثوم بنت عقبة بن

أبي معيط رضي الله عنها.

الحادي عشر: والاسم التوقيفي لسورة الصف هو: (الصف) وهو الاسم الذي وردت الأحاديث والآثار، وبه ورد تعريفها في المصاحف وعامة كتب التفسير، وبه بوب بعض علماء الحديث في مصنفاتهم حين الحديث عن هذه السورة..

الثاني عشر: وضوح الغاية العظمى من كيد الكفار، ومكرهم الكبار، وهي: صد أهل الإيمان عن دينهم..

الثالث عشر: يتجلى من خلال السورتين أهمية القدوة الصالحة، والأنموذج الأمثل في تعزيز القيم، وترسيخها..

الرابع عشر: كما يتجلى أثر الإيمان باليوم الآخر، واستشعار المقام بين يدي الله تعالى في تعزيز القيم، والثبات عليها.

الخامس عشر: من خلال النظر في سورة الممتحنة يتضح أن أهل الكفر ليسوا على درجة سواء في عدائهم لأهل الإسلام، وعليه فالتعامل مع الكفرة لا يكون برتبة واحدة، بل يختلف المقاتل عن غيره في التعامل بالبر، والصلة.

السادس عشر: قوة اليقين في الله أن يشرح صدور فئام من أهل الكفر، وأن يردهم إلى الإسلام رداً جميلاً، مما يؤكد ضرورة العناية بدعوتهم، والإحسان إليهم، والديمومة على ذلك..

السابع عشر: ظهور كمال الشريعة، وشمولها لكل مناحي الحياة، فلا يطرأ على أهل الإسلام أمر إلا وجدوا في شريعتهم له بياناً شافياً..

الثامن عشر: ضعف المرأة، وقلة صبرها، وعدم تحملها من الفتنة، والبلاء ما يتحمله الرجل، وبالتالي تكون العناية بها، وحمايتها من الفتن التي تحيط بها من أوجب واجبات المجتمع المسلم الذي تعيش فيه..

التاسع عشر: يتجلى لنا من خلال دراسة هاتين السورتين كيف قامت أحكام الشريعة على العدل، والحكمة، ومراعاة مصالح العباد في عاجلهم، وآجلهم.

العشرون: عدم لزوم العمل ببيعة النساء، والشروط الواردة فيها، إما لنسخها، أو لكونها قد تقررت، وعلمت من الشريعة بالضرورة.

التوصيات

كما أوصي في نهاية هذه الدراسة بما يلي:

أولاً: ضرورة العناية بهذا الفن (التناسق الموضوعي لسور القرآن) وإفراد التأليف فيه.

ثانياً: إبراز جهود علماء التفسير قديماً وحديثاً فيما يتعلق بهذا الفن، خصوصاً المعتدل منه، وتقريب ذلك لعموم المسلمين الذين ربما عزَّ عليهم الوقوف على ذلك، وتحصيله، لما لذلك من أثر في تدبر القرآن، وإدراك معانيه، والوقوف على شيء من مقاصده.

ثالثاً: عناية الجامعات ممثلة في الأقسام التي تعنى بالقرآن وعلومه بعقد اللقاءات، والندوات العلمية لإحياء هذا الفن، وتأصيله، ووضع ضوابطه.

رابعاً: من خلال النظر في السورتين الكريمتين أوصي بضرورة العناية ببعض القيم التي وردت فيهما، والإفادة منها في مقام تربية الجيل، واستصلاح النشء، ومن ذلك:

- قيمة المراقبة لله تعالى.
- قيمة استشعار، واستحضار اليوم الآخر، والمثول بين يدي الله تعالى.
- قيمة القدوة الحسنة، والأسوة الصالحة.

خامساً: في سورة الممتحنة نبراس عظيم لمن يحملون هم الدعوة إلى الله تعالى، أوصي بالإفادة منه، والتفقه فيه، لما له من أثر بالغ في نجاح دعوتهم، وتأثيرها، من ذلك: ما أشار إليه قوله تعالى عن الكفار المناوئين ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً

وَٱللَّهُ قَدِيرٌۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] ، فلا يأس في دعوة الكافر، مهما اشتد عناده، وقوي للحق جلاده.

ومن ذلك: ما أوصى به الله تعالى في قوله: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾[2] ، وأثر ذلك في تحبيبهم في الإسلام، وترغيبهم فيه.

وبعد: فقد انتهى المراد من دراسة هاتين السورتين الكريمتين(الممتحنة والصف) من حيث التناسق الموضوعي، وقد بذلت في تحرير هذه الدراسة وسعي، ولزمت الإلحاح على ربي تبارك وتعالى أن يلهمني الصواب، وأن يوفقني للسداد في ما أُقيد من مباحث هذه الدراسة، وحسبي أني كنت بعد توفيق الله وتسديده في كنف عالم بصير بكتاب الله – أحسبه – لم يأل جهداً في توجيهي، وإرشادي، ذاك هو شيخي ووالدي الأستاذ الدكتور/ جمال مصطفى النجار جزاه الله عني خير ما جزا شيخاً حفياً بأبنائه، حريصاً عليهم.

انتهت الدراسة فما كان فيها من صواب فهو محض امتنان والله وتوفيق من الله لا حول لي فيه ولا قوة، وإن كان من خطأ فمن نفسي المشتتة، والشيطان المتربص، والله تعالى ورسوله منه بريئان، والحمد لله أكرم بالانتهاء، كما تفضل وجاد بالابتداء، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) سورة الممتحنة: ٧

(٢) سورة الممتحنة: ٨

الفهـــارس

الفهارس

۞ ١- فهرس الآيات القرآنية .

۞ ٢- فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

۞ ٣- فهرس الأعلام .

۞ ٤- فهرس المصادر والمراجع.

۞ ٥- الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الأية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾	[البقرة:١٠٩]	٢	١١٦
﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾	[البقرة:١٩٠]	٢	٢٤٦
﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾	[آل عمران: ١٦٤]	٣	٩
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	[الأنفال: ٢٨]	٨	١٢٢
﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	[يونس: ٥]	١٠	٣٢٥
﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	[هود:١]	١١	٩
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	[الحجر:٤٦]	١٥	١٦٨
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾	[الفرقان:٣٢]	٢٥	١٥٠

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الأية	رقم السورة	الصفحة
﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾	[الأحزاب:٦]	٣٣	١١٧
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾	[سبأ:٣٣]	٣٤	١٢٠
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾	[ص:٢٩]	٣٨	٨٦
﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾	[فصلت:٣]	٤١	٣٢٥
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾	[محمد:٢٤]	٤٧	٨٦
﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾	[الحشر:٩-١٠]	٥٩	٨٦

الآيـــــــــــــــة	السورة ورقم الأية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾	[الحشر:١١]	٥٩	٨٧
﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	[الممتحنة:٣]	٦٠	٧٨، ٩٨، ١٠٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	[الممتحنة:١٠]	٦٠	٤٤، ٩١، ١٦٩، ١٧٦

الآيـــــــــــــــة	السورة ورقم الأية	رقم السورة	الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾	[الممتحنة:١]	٦٠	١٩٧، ٣١٤ ٣٣، ٢٣٧ ٢٤٠، ٢٤٥ ٨١، ٢٤٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾	[الممتحنة:١٣]	٦٠	٢٢١، ٢٤٢ ٢٢٢، ٢٢٧
﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾	[الممتحنة:٢]	٦٠	٧٧، ٩٨ ١٠٧
﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾	[الممتحنة:٤]	٦٠	٧٨، ٩٠ ١٢٤، ١٣١
﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	[الممتحنة:٧]	٦٠	٩٢، ١٢٤ ١٤٢، ٣٤٢
﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾	[الممتحنة:٨]	٦٠	١١٩، ١٥١ ١٥٦، ١٧٢ ٣٤٣

الآيـــــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥ ﴾	[الممتحنة:٥]	٦٠	١٢٤ ، ١٣٨
﴿ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦ ﴾	[الممتحنة:٦]	٦٠	١٢٤ ١٤٠
﴿ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩ ﴾	[الممتحنة:٩]	٦٠	١٥١ ، ١٦٠
﴿ وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ١١ ﴾	[الممتحنة:١١]	٦٠	١٦٩ ، ١٨٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	[الممتحنة:١٢]	٦٠	١٩٨ ، ٢٠٢

الآيـــــــــــــــة	السورة ورقم الأية	رقم السورة	الصفحة
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾	[الصف:٤]	٦١	٢٣٨، ٢٥٢ ٢٦٨ ، ٢٧٥ ٢٨٣ ، ٢٩٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾	[الصف:١٤]	٦١	٢٣٩، ٢٦٩ ٣٢٩، ٣٣٢
﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ٦ ﴾	[الصف:٦]	٦١	٢٥٢ ٢٩٤ ، ٣٠٠
﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	[الصف:١]	٦١	٢٦٨ ٢٧٥ ٢٨٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ٢ ﴾	[الصف:٢]	٦١	٢٦٨ ، ٢٧٥ ٢٨١ ، ٢٨٩
﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾	[الصف:٣]	٦١	٢٦٨ ، ٢٧٥ ٢٨٢ ، ٢٨٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ١٠ ﴾	[الصف: ١٠]	٦١	٢٦٨ ، ٣١٥ ٣١٨
﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١١ ﴾	[الصف:١١]	٦١	٢٦٨ ، ٣١٥ ٣١٨

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ ﴾	[الصف:١٢]	٦١	٢٦٨ ٣١٥
﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥ ﴾	[الصف:٥]	٦١	٢٩٤، ٢٩٩
﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧ ﴾	[الصف:٧]	٦١	٢٩٤
﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨ ﴾	[الصف:٨]	٦١	٢٩٤
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩ ﴾	[الصف:٩]	٦١	٢٩٤، ٣٠٥
﴿ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾	[الصف:١٣]	٦١	٣١٥ ٣٢١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ ﴾	[التغابن:١٤-١٥]	٦٤	١٢٢

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
١	إذا سأل أحدكم صاحبه: كيف يقرأ آية كذا وكذا، فليسأله عما قبلها	٨٤
٢	أعطيت مكان التوراة السبع و أُعطيت مكان الزبور المئين وأُعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل	٤٩
٣	اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرءوا الزهـــراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان	٤٢
٤	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَمْتَحِنُهُنَّ وَبَلَغْنَا أَنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرُدُّوا إِلَى الْمُشْرِكِينَ مَا أَنْفَقُوا عَلَى مَنْ هَاجَرَ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ	١٧٥
٥	أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة: مكة والمدينة والشام	٦٠
٦	انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها	١٠٠
٧	إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنـــار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام	٦٨
٨	أنه لما كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو يوم الحديبية على قضية المدة، وكان فيما اشترط سهيل	١٧٣
٩	إني لأعلم ما نزل من القرآن بمكة، وما أنزل بالمدينة، فأما ما نزل بمكة فضرب الأمثال، وذكر القرون، وأما ما نزل بالمدينة فالفرائض، والحدود، والجهاد	٦٢
١٠	آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّث كَذَبَ، إِذَا وَعَد أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ	٢٩٠

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
١١	بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه	٢٠٨
١٢	تَذَاكَرْنَا أَيُّكُمْ يَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْأَلَهُ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ مِنَّا فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَجَمَعَنَا فَقَرَأَ عَلَيْنَا هَذِهِ السُّورَةَ يَعْنِي سُورَةَ الصَّفِّ كُلَّهَا	٢٣٨
١٣	ثُمَّ جَاءَهُ نسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ حَتَّى بَلَغَ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ"	١٧٤
١٤	خيركم من تعلم القرآن وعلمه	١١
١٥	رحمة الله على موسى: لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر	٣٠٩
١٦	شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت	٤١
١٧	ضعوها في السورة التي يذكر فيها كذا	٤٢
١٨	فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده	١١٧
١٩	في كل ذات كبد حرّاء أجر	١٦٣
٢٠	قَالَ أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ	٢٤١
٢١	قَعَدْنَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَذَاكَرْنَا فَقُلْنَا: لَوْ نَعْلَمُ أَيَّ الْأَعْمَالِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَعَمِلْنَاهُ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى { سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا } حَتَّى خَتَمَهَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى خَتَمَهَا)	٢٧٧
٢٢	قل سورة النضير	٤٣

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
٢٣	كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنـــا أن الله دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به	٢٧٧
٢٤	كَانَ يَقْرَأُ الْمُسَبِّحَاتِ قَبْلَ أَنْ يَرْقُدَ وَقَالَ إِنَّ فِيهِنَّ آيَةً أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ	٢٤١
٢٥	لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتي مكة، أسر إلى ناس من أصحابه أنه يريد مكة فيهم حاطب بن أبي بلتعة، وأفشى في الناس أنه يريد خيبر، فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة	٥٧
٢٦	ما كان: يا أيها الذين آمنوا أنزل بالمدينة، وما كان: يا أيها الناس فبمكة	٦٢
٢٧	ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الـــذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة	٩
٢٨	من جهز غازيا فقد غزا	٣٢٥
٢٩	من قرأ سورة الممتحنة كان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء يوم القيامة	**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
٣٠	ناسِقوا بين الحجِّ والعُمرة	٢٩
٣١	نعم، صلي أمك	١٥٥
٣٢	هذه آية مكية نسختها آية مدنية "ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا"	٦٥
٣٣	والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله، تبلغه الإبل لركبت إليه	٥٥

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
٣٤	والله لَيتَمَّن هذا الأمرُ حتى يسيرَ الراكبُ من صنَعاء إلى حضرَموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون	٣٠٥
٣٥	يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء	٤١

فهرس الأعلام

م	اسم العلـــــــــــــــم	الصفحة
١	إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبريّ، أبو إسحاق	٣٨
٢	إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي	٦٤
٣	ابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا القزويني	٣١
٤	أبو الحسن، علي بن إسماعيل المرسي	٢٨
٥	أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوريّ	٤٤
٦	أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب	٦٦
٧	أحمد بن محمد أبو العباس المهدوي	٢١٤
٨	أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق	**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
٩	أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة، الحسني الأنجري	١١٨
١٠	أحمد بن محمد بن علي الشوكاني	١٧٨
١١	أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري	٢٤٣
١٢	إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر	٢٨
١٣	إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدين	٦٠
١٤	إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الخلوتي	١٩١
١٥	أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي	٥٨
١٦	جَرِيْرٌ أَبُو حَزْرَةَ بنُ عَطِيَّةَ بنِ الخَطَفَى التَّمِيْمِيُّ	٣٧

م	اسم العلـــــــــــــــم	الصفحة
١٧	حاطب بن أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي المكي	٥٦
١٨	حرملة بن المنذر بن معدي كرب بن حنظلة الطائي: أبو زبيد	٢٩
١٩	الْحسن بن مُحَمَّد بن الْحسن بن حبيب أَبُو الْقَاسِم	٥٥
٢٠	الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب، أبو القاسم النيسابوريّ	٦٧
٢١	الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، الشافعي	١٠١
٢٢	الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري	٢٨
٢٣	زياد بن معاوية بن خباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة	٣٨
٢٤	سعيد بن جبير الأسدي –بالولاء– الكوفي أبو عبدالله	٤٣
٢٥	سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي، الشامي، الطبراني	٦٠
٢٦	سيد قطب بن إبراهيم	٧٢
٢٧	صدي بن عجلان بن وهب الباهلي، أبو أمامة	٦٠
٢٨	صديق خان بن حسن بن علي ابن لُطْف الله الحسيني البخاري القنوجي	٢١٠
٢٩	عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي	٥٦
٣٠	عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي	٣٨
٣١	عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج	**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
٣٢	عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة	٤٥
٣٣	عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري	٨٤
٣٤	عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد، أبو القاسم القشيري النيسابوري	١٩٢
٣٥	عبد الكريم محمود يونس الخطيب	٨٨

م	اسم العلـــــــــــــــم	الصفحة
٣٦	عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد بن عَليّ أَبُو الْخَيْر القَاضِي نَاصِر الدّين الْبَيْضَاوِيّ	١٨٠
٣٧	عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، مولاهم، الكوفي، أبو بكر	٦٢
٣٨	عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري	٣٧
٣٩	عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي، أبو عبد الله المعروف بابن الفرس	٦٢
٤٠	عبدالرحمن بن ناصر السعدي	١٣٥
٤١	عثمان بن سعيد بن عثمان، أَبُو عمرو الداني	٥١
٤٢	عطية محمد سالم	١٥٧
٤٣	علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي	١٠١
٤٤	علي بن محمد بن عبد الصمد الهمدانيّ المصري السخاوي الشافعيّ، أبو الحسن	٤٥
٤٥	عَليّ بن مُحَمَّد بن عَليّ الْحَنَفِيّ الشريف الْجِرْجَانِيّ	٣١
٤٦	القاسم بن سلاَّم الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي، أبو عُبيد	٦١
٤٧	قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري	٥٦
٤٨	الليث بن المظفر بن نصر بن سيار صاحب الخليل	٢٩
٤٩	مالك بن مالك بن جعشم المدلجيّ	١٦٣
٥٠	المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، أبو السعادات، مجد الدين	٢٩
٥١	محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين	٧٦
٥٢	محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي	٤٣

م	اسم العلـــــــــــــــم	الصفحة
٥٣	محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله	٦٦
٥٤	محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه	**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
٥٥	محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين	٣٧
٥٦	محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري	٤٢
٥٧	محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي محيي الدين، أبو عبد الله الكافيجي	٣٩
٥٨	محمد بن عبيدالله بن محمد، أبو بكر ابن منظور القيسي	٣٠
٥٩	محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ	٨٥
٦٠	محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد	٧٦
٦١	محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدى، أبو الفيض، الملقب بمرتضى	٢٩
٦٢	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي	١٣١
٦٣	محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي	١٠٣
٦٤	محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حَيَّان الغرناطي الأندلسي الجياني، النِّفْزي، أثير الدين، أبو حيان	٨٧
٦٥	محمد سيد عطية طنطاوي	١٢٦
٦٦	محمد عبد العظيم الزرقاني	٣٠
٦٧	محمد عبد العظيم الزرقاني	٣٩
٦٨	محمد عزت بن عبد الهادي دروزة	٢٥١

م	اسم العلـــــــــــــــــم	الصفحة
٦٩	محمد محمد أبو شهبة	٢٤٦
٧٠	محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء	٧٠
٧١	مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوريّ، أبو الحسين	**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
٧٢	مسلم بن يسار الأموي بالولاء، أبو عبد الله	٨٤
٧٣	مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن	٤٥
٧٤	مكى بن أبى طالب حمّوش بن محمدبن مختار القيسىّ المقرئ	٢١٤
٧٥	ميمون بن مهران الرقي، أبو أيوب	٦٢
٧٦	نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي	٢٤٤
٧٧	النعمان (الثالث) ابن المنذر (الرابع) ابن المنذر بن امرئ القيس اللخمي أبو قابوس	٣٨
٧٨	هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي، أبو القاسم	٤٥
٧٩	هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو المنذر	٦٢
٨٠	وهبة بن مصطفى الزحيلي	٨٧

فهرس المصادر والمراجع

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
١	القرآن الكريم				
٢	الإتقان في علوم القرآن	السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)	الهيئة المصرية العامة للكتاب	سنة	١٣٩٤هـ
٣	إتمام الدراية لقراء النقاية	جلال الدين السيوطي	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤٠٥هـ
٤	أحكام القرآن	لابن العربي	دار الكتب العلمية	الثالثة	١٤٢٤ هـ
٥	أحكام القرآن	الجصاص	دار إحياء التراث العربي	سنة	١٤٠٥هـ
٦	إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)	أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)	دار إحياء التراث العربي	الرابعة	١٤١٤هـ
٧	أسباب النزول	الواحدي، النيسابوري	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤١١ هـ
٨	الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر	دار الجيل، بيروت	الأولى	١٤١٢ هـ
٩	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي	دار الفكر للطباعة	سنة	١٤١٥ه
١٠	الأعلام	الزركلي	دار العلم للملايين	الخامسة عشر	٢٠٠٢ م

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
١١	إعلام الموقعين عن رب العالمين	ابن القيم	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤١١هـ
١٢	إنباه الرواة على أنباه النحاة	جمال الدين أبو الحسن القفطي (٦٤٦هـ)	المكتبة العنصرية	الأولى	١٤٢٤ هـ
١٣	البحر المحيط في التفسير	أبو حيان محمد الأندلسي	دار الفكر	سنة	١٤٢٠ هـ
١٤	البحر المديد في تفسير القرآن المجيد	ابن عجيبة الفاسي	دار الكتب العلمية	الثانية	١٤٢٣ هـ
١٥	البداية والنهاية	ابن كثير	دار هجر	الأولى	١٤١٨ هـ
١٦	البرهان في علوم القرآن	الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)	دار إحياء الكتب العربية	الأولى	١٣٧٦ هـ
١٧	بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز	الفيروزآبادى	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة	سنة	١٩٧٣ م ١٩٩٢ م ١٩٩٦ م
١٨	بغية الوعاة	السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)	المكتبة العصرية	سنة	١٩٩٨ م
١٩	البيان في عد آي القرآن	أبو عمرو الداني	مركز المخطوطات والتراث	الأولى	١٤١٤هـ
٢٠	تاج العروس من جواهر القاموس	مرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)	دار الهداية	–	–

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٢١	تاريخ الخلفاء	جلال الدين السيوطي	مكتبة نزار مصطفى الباز	الأولى	١٤٢٥هـ
٢٢	تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)	دار الغرب الإسلامي – بيروت	الأولى	١٤٢٢هـ
٢٣	تاريخ بغداد وذيوله ١- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ٢- المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي، للذهبي ٣ - ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار ٤ - المستفاد من تاريخ بغداد، لابن الدمياطي ٥- الرّد على أبي بكر الخطيب البغدادي، لابن النجار	الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤١٧ هـ
٢٤	تتمة الأعلام للزركلي يليه المستدرك الأول والثاني	محمد خير رمضان	دار ابن حزم	الثانية	١٤٢٢
٢٥	التحرير والتنوير	ابن عاشور التونسي	الدار التونسية للنشر	سنة	١٩٨٤ هـ
٢٦	التسهيل لعلوم التنزيل (تفسير ابن جزي)	أبو القاسم ابن جزي الكلبي	شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم	الأولى	١٤١٦ هـ
٢٧	التعريفات	الجرجاني	دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة:	الأولى	١٤٠٣هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٢٨	تفسير ابن أبي حاتم	الرازي ابن أبي حاتم	مكتبة نزار مصطفى الباز	الثالثة	١٤١٩ هـ
٢٩	تفسير ابن كثير	ابن كثير	دار طيبة للنشر والتوزيع	الثانية	١٤٢٠هـ
٣٠	التفسير الحديث	دروزة محمد عزت	دار إحياء الكتب العربية	سنة	١٣٨٣ هـ
٣١	تفسير الخازن	أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤١٥ هـ
٣٢	تفسير الراغب	الراغب الأصبهاني	كلية الآداب – جامعة طنطا	الأولى	١٤٢٠ هـ
٣٣	تفسير السمعاني	أبو المظفر، منصور بن محمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)	دار الوطن	الأولى	١٩٩٧م
٣٤	تفسير الطبري	ابن جرير الطبري	مؤسسة الرسالة	الأولى	١٤٢٠ هـ
٣٥	تفسير القرآن العزيز	ابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)	الفاروق الحديثة	الأولى	١٤٢٣هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٣٦	التفسير القرآني للقرآن	عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)	دار الفكر العربي	بدون	بدون
٣٧	تفسير اللباب	أبو حفص عمر بن على ابن عادل الدمشقى الحنبلى	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤١٩هـ
٣٨	تفسير الماوردي = النكت والعيون	أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)	دار الكتب العلمية	بدون	بدون
٣٩	تفسير المراغي	أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)	شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر	الأولى	١٣٦٥ هـ
٤٠	التفسير المنير	د وهبة بن مصطفى الزحيلي	دار الفكر المعاصر	الثانية	١٤١٨ هـ
٤١	تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)	أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)	دار الكلم الطيب	الأولى	١٤١٩ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٤٢	التفسير الوسيط للقرآن الكريم	محمد سيد طنطاوي	دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة	الأولى	١٩٩٧
٤٣	تفسير مقاتل	مقاتل بن سليمان	دار إحياء التراث	الأولى	١٤٢٣ هـ
٤٤	توفيق الرحمن في دروس القرآن	فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)	دار العاصمة	الأولى	١٤١٦ هـ
٤٥	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)	عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي	مؤسسة الرسالة	الأولى	١٤٢٠هـ
٤٦	الجامع لأحكام القرآن	القرطبي	دار الغد الجديد	الأولى	٢٠١٠م
٤٧	الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي	شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ)	دار الكتب المصرية	الثانية	١٣٨٤هـ
٤٨	جمال القراء وكمال الإقراء	السخاوي بتحقيق عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي	مؤسسة الكتب الثقافية	الأولى	١٩٩٩ م
٤٩	جمهرة اللغة	ابن دريد الأزدي	دار العلم للملايين	الأولى	١٩٨٧م

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٥٠	جهود العلماء في اسنباط مقاصد القرآن	الدكتور مسعود بودوخة	المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه	سنة	٢٠١١م
٥١	جواهر البيان في تناسب سور القرآن	عبد الله الغماري	عالم الكتب	سنة	١٩٨٦م
٥٢	جواهر القرآن	أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)	دار إحياء العلوم	الثانية	١٤٠٦ هـ
٥٣	حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي	الخفاجي	دار الكتب العلمية	الأولى	١٩٩٧م
٥٤	حجة القراءات	عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)	دار الرسالة	بدون	بدون
٥٥	الدر المصون في علوم الكتاب المكنون	أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)	دار القلم	بدون	بدون
٥٦	الدر المنثور في التفسير	جلال الدين السيوطي	دار الفكر	بدون	بدون

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٥٧	دلائل النبوة	أحمد أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤٠٥ هـ
٥٨	دلائل النظام	عبد الحميد الفراهي الهندي	المطبعة الحميدية	سنة	١٣٨٨هـ
٥٩	روح البيان	إسماعيل حقي المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)	إحياء التراث	بدون	بدون
٦٠	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني	شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحق	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤١٥ هـ
٦١	زاد المسير في علم التفسير	جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)	دار الكتاب العربي	الأولى	١٤٢٢ هـ
٦٢	زاد المعاد في هدي خير العباد	ابن القيم الجوزية	مؤسسة الرسالة	السابعة والعشرون	١٤١٥هـ
٦٣	سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة	الألباني	المعارف	الأولى	١٤١٢هـ
٦٤	سنن ابن ماجه	الإمام ابن ماجه	دار الكتب العلمية	الأولى	٢٠٠٩م
٦٥	سنن أبي داود	الإمام أبو داود	الرسالة	الأولى	٢٠١٢م

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٦٦	سنن الترمذي	الإمام الترمذي	الرسالة العالمية	الأولى	١٤٣٠ هـ
٦٧	سنن الدارقطني	الإمام الدارقطني	مؤسسة الرسالة	الأولى	١٤٢٤ هـ
٦٨	السنن الصغرى	البيهقي	دا ر المعرفة	الأولى	١٩٩٩م
٦٩	السنن الكبرى	البيهقي	دار الكتب العلمية	الثالثة	١٤٢٤ هـ
٧٠	السنن الكبرى	النسائي	مؤسسة الرسالة	الأولى	١٤٢١ هـ
٧١	سنن النسائي	الإمام النسائي	مكتب المطبوعات الإسلامية	الثانية	١٤٠٦هـ
٧٢	سير أعلام النبلاء	الذهبي	دار الحديث	سنة	١٤٢٧هـ
٧٣	صحيح البخاري	الإمام البخاري	دار ابن كثير	الثالثة	١٤٠٧هـ
٧٤	صحيح مسلم	الإمام مسلم	الرسالة	الأولى	٢٠١٢م
٧٥	صفحات من حياة علامة القصيم	دكتور عبد الله بن محمد الطيار	دار ابن الجوزي	الأولى	١٤١٣هـ
٧٦	عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل النبوية	الصابوني، أبو عثمان إسماعيل	ط محمد أمين	سنة	١٩٧٠م
٧٧	فتاوى اللجنة الدائمة	مجموعة من كبار العلماء في السعودية	رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء	بدون	بدون
٧٨	فتح البيان في مقاصد القرآن	القنوجي	دار الكتب العلمية	الأولى	١٩٩٩

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٧٩	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير	محمد بن علي الشوكاني	دار الكتاب العربي	الأولى	١٤٢٠هـ
٨٠	فضائل القرآن	لابن كثير	مكتبة ابن تيمية	الأولى	١٤١٦ هـ
٨١	فضائل القرآن	للقاسم بن سلام	دار ابن كثير	الأولى	١٤١٥ هـ
٨٢	الفقيه والمتفقه	للخطيب البغدادي	دار ابن الجوزي	الثانية	١٤٢١هـ
٨٣	فهم القرآن	الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٤٣هـ)	دار الكندي ، دار الفكر	الثانية	١٣٩٨
٨٤	في ظلال القرآن	سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)	دار الشروق	السابعة عشر	١٤١٢ هـ
٨٥	الكشاف	الزمخشري	دار الكتاب العربي	الثالثة	١٤٠٧ هـ
٨٦	الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)	الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)	دار إحياء التراث العربي	الأولى	١٤٢٢ هـ
٨٧	اللباب في علوم الكتاب	أبو حفص سراج الدين الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤١٩ هـ -

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٨٨	لسان العرب	ابن منظور الإفريقى (٧١١هـ)	دار صادر – بيروت	الثالثة	١٤١٤ هـ
٨٩	المبسوط في القراءات العشر	أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني أبو بكر	مجمع اللغة العربية	بدون	بدون
٩٠	مجموع الفتاوى	ابن تيمية	مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية	سنة	١٩٩٥م
٩١	المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))	النووي	دار الفكر	بدون	بدون
٩٢	محاسن التأويل (تفسير القاسمي)	محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)	دار الكتب العلميه	الأولى	١٤١٨ هـ
٩٣	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)	ابن عطية الأندلسي المحاربي	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤٢٢ هـ
٩٤	المحكم والمحيط الأعظم	أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤٢١ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٩٥	مستخرج أبي عوانة	أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (المتوفى: ٣١٦هـ)	دار المعرفة	الأولى	١٤١٩هـ
٩٦	المستدرك	الحاكم	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤١١هـ
٩٧	مسند الإمام أحمد	الإمام أحمد	دار الكتب العلمية	الأولى	٢٠٠٩م
٩٨	مسند الدارمي	أبو محمد الدارمي، السمرقندي (٢٥٥هـ)	دار المغني	الأولى	١٤١٢ هـ
٩٩	مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"	إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)	مكتبة المعارف	الأولى	١٤٠٨ هـ
١٠٠	المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي	محمد (أو عبد الله) بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسن الأنصاري، أبو عبد الله، جمال الدين ابن حديدة (المتوفى: ٧٨٣هـ)	عالم الكتب	بدون	بدون

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
١٠١	مصنف ابن أبي شيبة	أبو بكر	مكتبة الرشد	الأولى	١٤٠٩هـ
١٠٢	مصنف عبد الرزاق الصنعاني	أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني	المكتب الإسلامي	الثانية	١٤٠٣هـ
١٠٣	معالم التنزيل (تفسير البغوي)	الحسين بن مسعود البغوي	دار طيبة للنشر	الرابعة	١٤١٧هـ
١٠٤	معاني القرآن وإعرابه	الزجاج	دار الكتب العلمية	الأولى	٢٠٠٧م
١٠٥	معجم الأدباء	شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)	دار الغرب الإسلامي	الأولى	١٤١٤ هـ
١٠٦	معجم البلدان	ياقوت الحموي (٦٢٦هـ)	دار صادر	الثانية	١٩٩٥ م
١٠٧	المعجم الجامع في تراجم المعاصرين	أعضاء ملتقى أهل الحديث	www.ahlalhdeeth.com		
١٠٨	المعجم الوسيط	مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)	دار الدعوة	بدون	بدون

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
١٠٩	المغازي	محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)	دار الأعلمي	الثالثة	١٩٨٩م
١١٠	مفاتيح الغيب (التفسير الكبير - تفسير الرازي)	فخر الدين الرازي	دار إحياء التراث العربي	الثالثة	١٤٢٠ هـ
١١١	المفردات في غريب القرآن	الراغب	دار الأميرة	الأولى	٢٠١٠م
١١٢	مقاصد القرآن من تشريع الأحكام	عبد الكريم حامدي	دار ابن حزم	الأولى	١٤٢٩هـ
١١٣	مقاييس اللغة	ابن فارس	مؤسسة الأعلمي	الأولى	٢٠١٢م
١١٤	مناهل العرفان في علوم القرآن	محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)	مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه	الثالثة	-
١١٥	الموافقات	الشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)	دار ابن عفان	الأولى	١٤١٧هـ
١١٦	الموسوعة القرآنية خصائص السور	جعفر شرف الدين	دار التقريب بين المذاهب الإسلامية	الأولى	١٤٢٠ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
١١٧	الموضوعات	جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـــ)	محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية	الأولى	١٩٦٦ م
١١٨	الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة على الشبكة	http://shamela.ws/index.php			
١١٩	الناسخ والمنسوخ	للمقري	المكتب الإسلامي	الأولى	١٤٠٤ هـــ
١٢٠	الناسخ والمنسوخ	للنحاس	مكتبة الفلاح	الأولى	١٤٠٨هـــ
١٢١	النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم	محمد بن عبد الله دراز (المتوفى : ١٣٧٧هـــ)	دار القلم	سنة	٢٠٠٥م
١٢٢	نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور – العلمية	إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـــ)	دار الكتاب الإسلامي	بدون	بدون
١٢٣	النهاية في غريب الحديث والأثر	الجزري	الرسالة	الأولى	٢٠١٢م
١٢٤	نيل المرام	أبو الطيب محمد صديق خان ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي	دار الكتب العلمية	سنة	٢٠٠٣م

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
١٢٥	الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه	أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القرطبي المالكي	مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة	الأولى	١٤٢٩ هـ
١٢٦	الوسيط في تفسير القرآن المجيد	الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)	دار الكتب العلمية،	الأولى	١٤١٥ هـ
١٢٧	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان	أبو العباس ابن خلكان (٦٨١هـ)	دار صادر	الأولى	١٩٩٤

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
ملخص الرسالة	٣
	٤
الإهداء	٥
شكر وتقدير	٦
المقدمـــة	٧
أهمية الموضوع	١٠
أسباب اختيار الموضوع	١١
الدراسات السابقة	١٢
منهج البحث	١٥
هيكل البحث	١٧
التمهيد: التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة لغة واصطلاحاً	٢٦
الباب الأول: سورة الممتحنة والتناسق الموضوعي بين موضوعاتها	٣٣
الفصل الأول: بين يدي السورة الكريمة	٣٤
المبحث الأول: اسم السورة وما اشتهر لها من أسماء	٣٦
المبحث الثاني: ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها	٤٦
المبحث الثالث: عدد آيات السورة واختلاف العلماء في ذلك	٥٠
المبحث الرابع: تاريخ نزول السورة	٥٤

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
المبحث الخامس: مكية السورة أو مدنيتها ، ووجه اختصاصها بما اختصت به	٥٩
المبحث السادس: مقاصد السورة	٧٤
المبحث السابع: الوحدة الموضوعية للسورة	٨١
المبحث الثامن: مناسبات السورة الكريمة	٨٣
الفصل الثاني: التناسق الموضوعي لموضوعات سورة الممتحنة	٩٥
المبحث الأول: البراء من الكافرين.(الآيات من ١ــ٣)	٩٧
المبحث الثاني: نموذج سام للولاء والبراء ، (الآيات من ٤ــ ٧)	١٢٣
المبحث الثالث: قاعدة إسلامية في العلاقات الفردية والدولية.(الآيتان ٨،٩)	١٥٠
المبحث الرابع: قطع الوشيجة بين المؤمنة وزوجها الكافر (الآيتان ١٠،١١)	١٦٨
المبحث الخامس: مبايعة النساء على العقيدة ،ومقومات الحياة السعيدة (الآية ١٢)	١٩٧
المبحث السادس: النهي عن موالاة اليهود (الآية : ١٣)	٢٢١
الباب الثاني: سورة الصف والتناسق الموضوعي بين موضوعاتها	٢٣٤
الفصل الأول: بين يدي السورة الكريمة	٢٣٥
المبحث الأول: اسم السورة، وما اشتهر لها من أسماء	٢٣٧
المبحث الثاني: ما ورد في فضل السورة أو في بعض آياتها	٢٤٠
المبحث الثالث: عدد آيات السورة	٢٤٢
المبحث الرابع: تاريخ نزول السورة	٢٤٥
المبحث الخامس: مكية السورة أو مدنيتها .	٢٤٩
المبحث السادس: مقاصد السورة	٢٥٤

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
المبحث السابع: الوحدة الموضوعية للسورة	٢٥٨
المبحث الثامن: مناسبات السورة الكريمة	٢٦١
الفصل الثاني: التناسق الموضوعي بين موضوعات سورة الصف	٢٧٢
المبحث الأول: الإخلاص لله شعار كون الله	٢٧٤
المبحث الثاني: الدين الحق هو دين الله جميعاً (الآيات من٩:٥)	٢٩٣
المبحث الثالث: التجارة الرابحة ، مقوماتها ، وثمراتها (الآية ١٠)	٣١٤
المبحث الرابع: قدوة حسنة ، ونصر مبين (آية ١٤)	٣٢٨
الخاتمـــة	٣٣٦
الفهـــارس	٣٤٤
فهرس الآيات القرآنية	٣٤٦
فهرس الأحاديث النبوية والآثار	٣٥٣
فهرس الأعلام	٣٥٧
فهرس المصادر والمراجع	٣٦٢
فهرس الموضوعات	٣٧٨